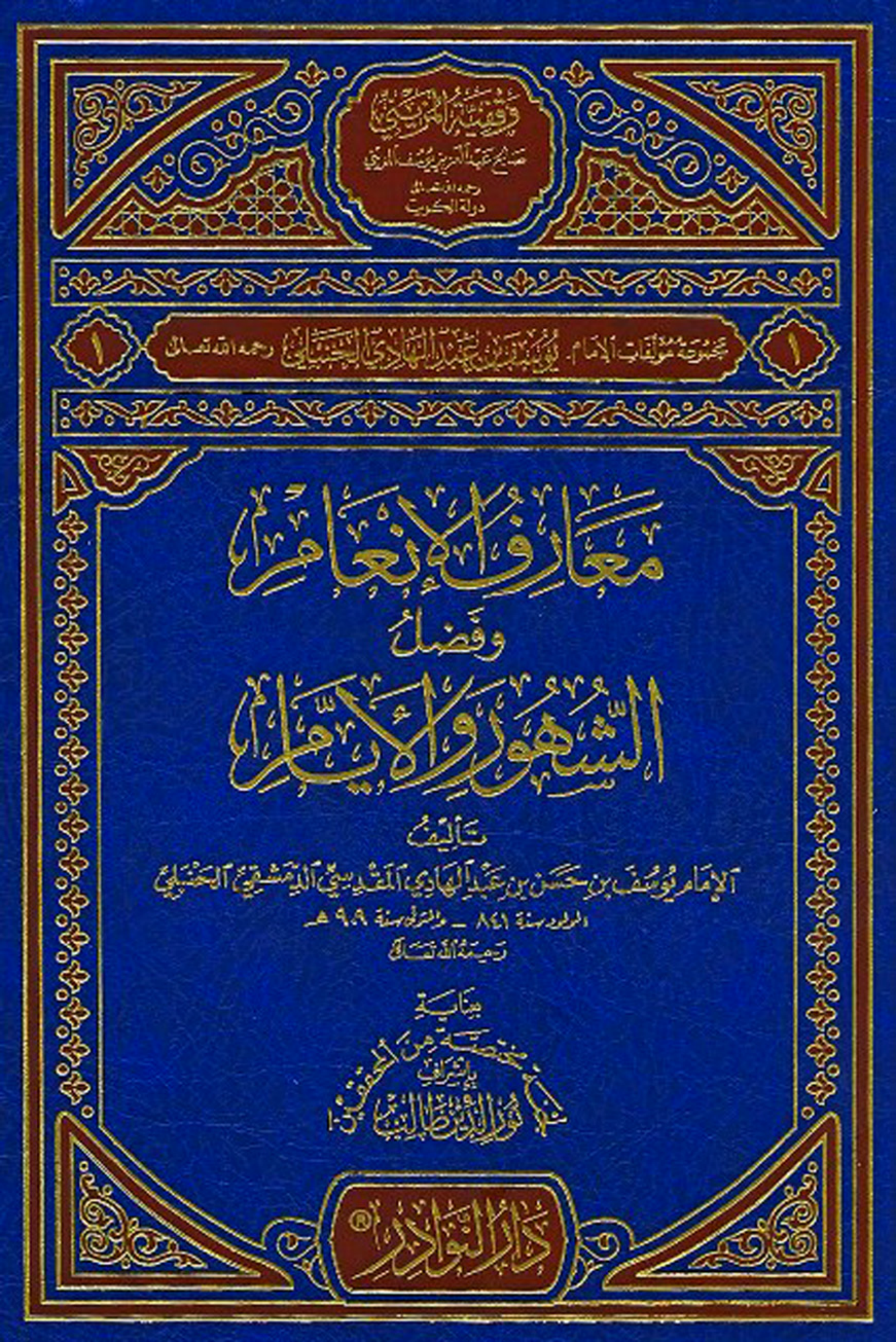
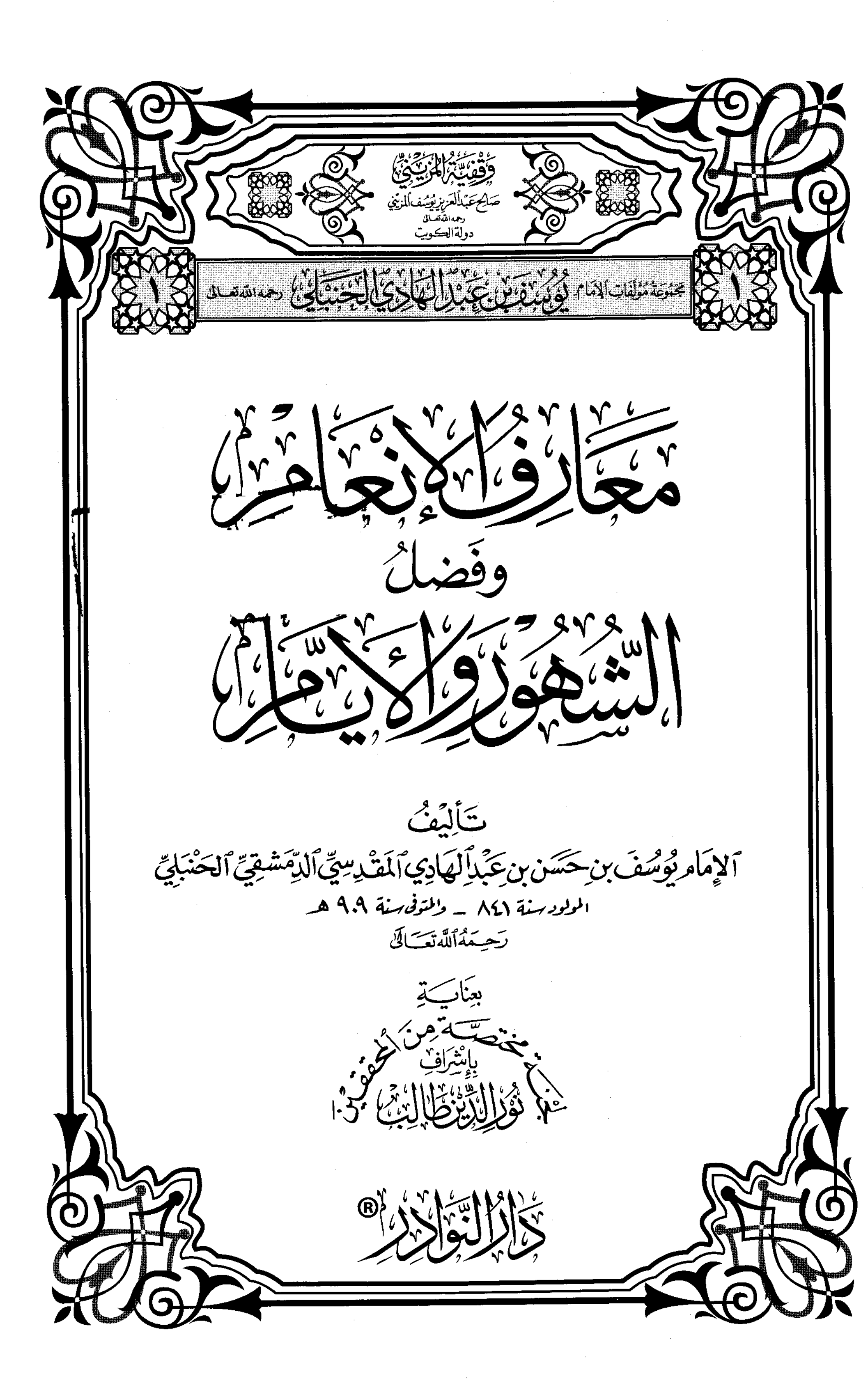


وقفية المزيني
صالح عبد العزيز يوسف المزيني
رحمه الله تعالى
دولة الكويت
مجموعة مؤلفات الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبلي رحمه الله تعالى
1
معارف الإنعام
وفضل
الشهور والأيام
تأليف
الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي الحنبلي
المولود سنة ٨٤١ - والمتوفى سنة ٩٠٩ هـ
رحمه الله تعالى
بعناية
مختصة من المحققين
بإشراف
أ.د. نور الدين طالب
دار النوادر



وقفية المزيني
صالح عبد العزيز يوسف المزيني
رحمه الله تعالى
دولة الكويت

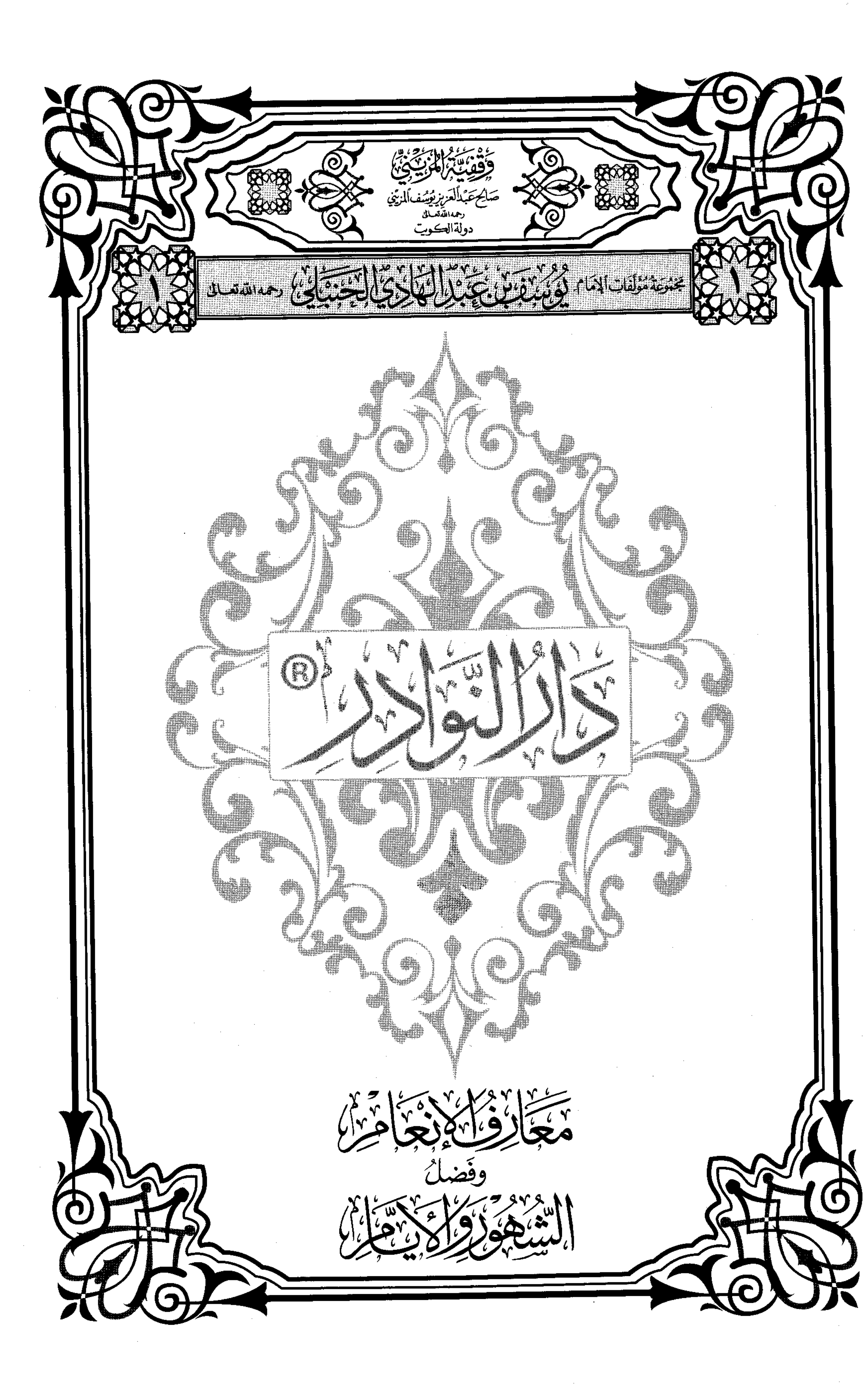
١ مجموعة مؤلفات الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبلي رحمه الله تعالى ١

معارف الإنعام وفضل الشهور والأيام

تأليف
الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي الحنبلي
المولود سنة ٨٤١ - والمتوفى سنة ٩٠٩ هـ
رحمه الله تعالى

بعناية
لجنة مختصة من المحققين
بإشراف
نور الدين طالب

دار النوادر ®



وقفية المزيني
صالح عبد العزيز يوسف المزيني
رحمه الله تعالى
دولة الكويت
١
مجموعة مؤلفات الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبلي رحمه الله تعالى
دار النوادر
معارف الإنعام
وفضل
الشهور والأيام



ٱلطَّبْعَةُ ٱلأُولَىٰ
١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

ردمك : ٨ ـ ١٧ ـ ٤١٨ ـ ٩٩٣٣ ـ ٩٧٨ : ISBN
9789933418178



سورية ـ لبنان ـ الكويت

مُؤسسة دار النوادر م. ف ـ سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش. م. م ـ لبنان * شركة دار النوادر الكويتية ذ. م. م ـ الكويت

سورية ـ دمشق ـ ص. ب: ٣٤٣٠٦ ـ هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ ـ فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

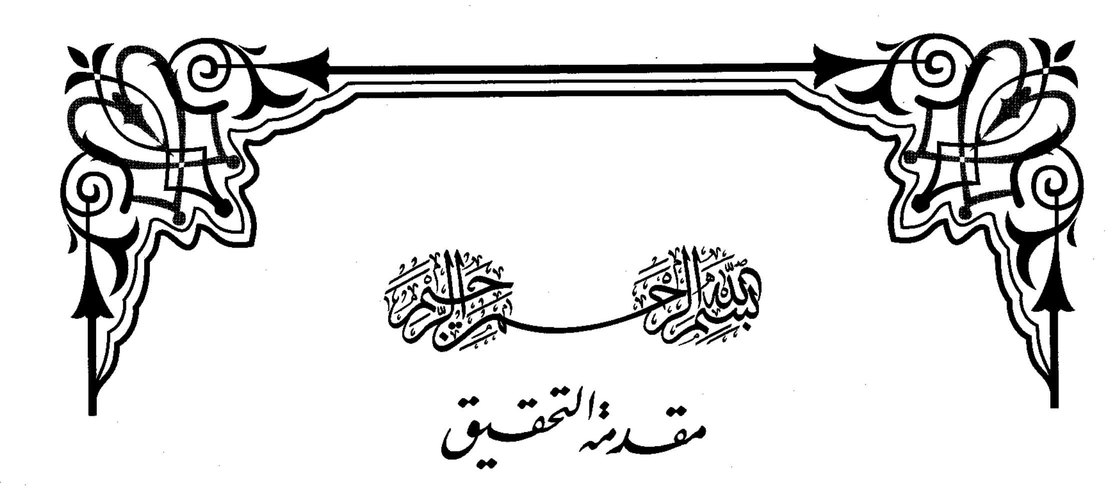
لبنان ـ بيروت ـ ص. ب: ١٤/٥١٨٠ ـ هاتف: ٦٥٢٥٢٨ ـ فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت ـ الصالحية ـ برج السحاب ـ ص. ب: ٤٣١٦ حولي ـ الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦

هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ ـ فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)

www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسسها سنة: ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م نور الدين طالب المدير العام والرئيس التنفيذي



مقدمة التحقيق

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ، ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بٱللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنا ، وسيئاتِ أعمالنا ، مَنْ يهدِهِ ٱللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إلـهَ إلا ٱللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه .

أمّا بعد :

فقد روىٰ ابنُ أبي الدُّنيا عن بكر بن عبد ٱلله المُزني رَحِمَهُ ٱللهُ : أنه قال : ما مِنْ يومٍ أخرجه ٱللهُ إلىٰ أهل الدُّنيا إلا يُنادي : ابنَ آدمَ ! اغتنمني ، لعلَّه لا يومَ لك بعدي ، ولا ليلةٍ إلا تُنادي : ابنَ آدم ! اغتنمني ، لعلَّه لا ليلةَ لك بعدي .

وروىٰ عن الحسن : أنه كان يقول : يا بنَ آدمَ ! اليومُ ضيفُك ، والضيفُ مُرْتَحِلٌ ، يَحْمَدُك أو يَذُمُّك ، وكذٰلك الليل .

ومن هنا حَرَصَ السَّلَفُ الصالح أشدَّ الحرصِ علىٰ الأوقات خصوصاً فيها الأعمال التي حَبَاها ٱللهُ تعالىٰ بمزيد فضلٍ ونَوَالٍ علىٰ غيرها من القُربات ؛ مِنْ صلاةٍ وصيام وذكرٍ وقيامٍ ونحوِها مِنَ المَبرَّات ، وقد خصَّ ٱللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ كلَّ وقت منها بوظيفة من الوظائف التي تُؤدَّىٰ

في الشهور والأيام والسَّاعات ، فالسعيدُ مَنِ اغتنمها ، والشَّقيُّ مَنْ فَرَّط بها وحُرِمَها .

وقد صنَّفَ الحافظُ الإمامُ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ كتاباً بديعاً لا مثيلَ له في المحافظة على تلك الأوقات ، واغتنام فعلِ الوظائف الموظَّفة لكلٍّ واحدة منها ، سماه : « لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف » ، انتهج فيه نَهْجَ ابنِ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كثيرٍ من كلامه وجمله ، وتأثَّر بوعظ الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

ثم جاء الإمامُ يُوسفُ بنُ عبد الهادي فَنَهلَ من مَعينِ هٰذه المدرسة العظيمة ، واقتبس من جواهر كلامهم عُيوناً من الحِكَم والآداب والمواعظ ، وأودعه كتابَه الذي سمَّاه : « معارفَ الإنعامِ وفضل الشُّهور والأيام » ؛ فجاءت جملُ كتابهِ رقيقةً عَذْبة ، سَهْلة واضحة ، مُوقِظة للمقصِّرين والغافلين ، مَشْحَذَة للعابدين والصالحين ، داعيةً إلى السِّباق واللَّحاق بِرَكْبِ الأنبياء والصِّدِّيقين ، ولسانُ حالِ تلك العبارات قائل :

مضى أمسُكَ الماضي شهيداً معدلاً
وأعقبه يومٌ عليكَ جديدُ
فيومُكَ إنْ أغنيتَهُ عادَ نفعُهُ
عليكَ وماضي الأمسِ ليسَ يعودُ
فإن كنتَ بالأمسِ اقترفتَ إساءةً
فَثَنِّ بإحسانٍ وأنتَ حَميدُ

فـلا تُـرْجِ فِعْـلَ الخيـر يـومـاً إلـى غَـدٍ
لعـــلَّ غـــداً يـــأتـــي وأنـــتَ فَقيـــدُ

ولله درُّ القائلِ :

قطعـــتَ شهـــورَ العـــامِ لَهْـــواً وغَفْلَـــةً
ولـــم تحتـــرِمْ فيمـــا أتيـــتَ المُحـــرَّمـــا
فـــلا رَجَبـــاً وافيـــتَ فيـــه بحقِّـــهِ
ولا صُمْـتَ شهـرَ الصَّـومِ صَـومـاً متمَّمـا
ولا فـي ليـالـي عشـرِ ذي الحِجَّـةِ الـذي
مَضَـىٰ كنـتَ قـوَّامـاً ولا كنـتَ مُحْـرِمَـا
فهـلْ لـكَ أنْ تمحـو الـذنـوبَ بعَبْـرةٍ
وتبكـــي عليهـــا حَسْـــرَةً وتنـــدُّمـــا
وتستقبـــلَ العـــامَ الجـــديـــدَ بتـــوبـــةٍ
لعلَّـــكَ أنْ تمحـــوْ بهـــا مـــا تَقَـــدَّمـــا

* * *

هٰذا وقد تمَّ ـ بفضل ٱلله تعالىٰ ـ الوقوفُ علىٰ النسخة الخطيَّة الفريدة لهٰذا الكتاب ، وهي النسخةُ المحفوظة بدار الكتب الظاهرية بدمشق ، تحت رقم (١٤٦٣) ، وتقع في (٧٥) لوحة .

وهي بخطِّ المؤلف المعروف بغرابة الشَّكْل ، وصعوبةِ القراءة ،

وتُعَدُّ هـٰذه النسخة مِنْ أصعبِ كتب الإمام ابن عبد الهادي التي كتبها بخطِّه ؛ ذٰلك أنَّه ألَّفَ كتابَه هـٰذا في مُقْتَبَل عُمره ـ ولعلَّه من أوائل ما صنَّف ـ ؛ إذ كان عُمره تسعةَ عشر عاماً تقريباً ، إلىٰ جانب رَداءة النسخة الخطيَّة وتعرُّضِها للرُّطوبة ، وكثرة التصحيفات والتحريفات فيها .

وقد حصل فيها خَرْمٌ قليل في أولها تضمَّن الكلامَ عن صدر الفصل الأول من الكتاب وهو شهر رمضان المبارك .

وقد أُثبت في آخرها سماعاتُ الكتاب لعددٍ من أولاد المؤلف وتلامذته بخط يده .

* * *

*** هـٰذا وقد تمَّ تحقيقُ هـٰذا الكتاب وفق الخطة الآتية :**

١ ـ نسخُ الأصل المخطوط اعتماداً علىٰ النسخة الخطيَّة المُشَار إليها آنفاً ، وذٰلك بحسب رسم وقواعد الإملاء الحديثة .

٢ ـ معارضةُ المنسوخِ بالمخطوط ؛ للتأكُّد من صحة النصِّ وسلامته .

٣ ـ مقابلة المنسوخ بالمصادر المطبوعة التي نَقَل عنها المؤلف ؛ وأكثرها من كتابي ابنِ الجوزي المسمَّىٰ بـ : « التَّبصرة » ، وابنِ رجب الحنبلي المسمَّىٰ بـ : « لطائف المعارف » ، وذٰلك للتأكد من سلامة النص ومعناه .

٤ ـ عزوُ الآيات القرآنية الكريمة في صُلْب النص ، وإدراجها برسم المصحف الشريف .

٥ ـ تخريجُ الأحاديث النبوية الشريفة تخريجاً لائقاً بالنصِّ المحقق .

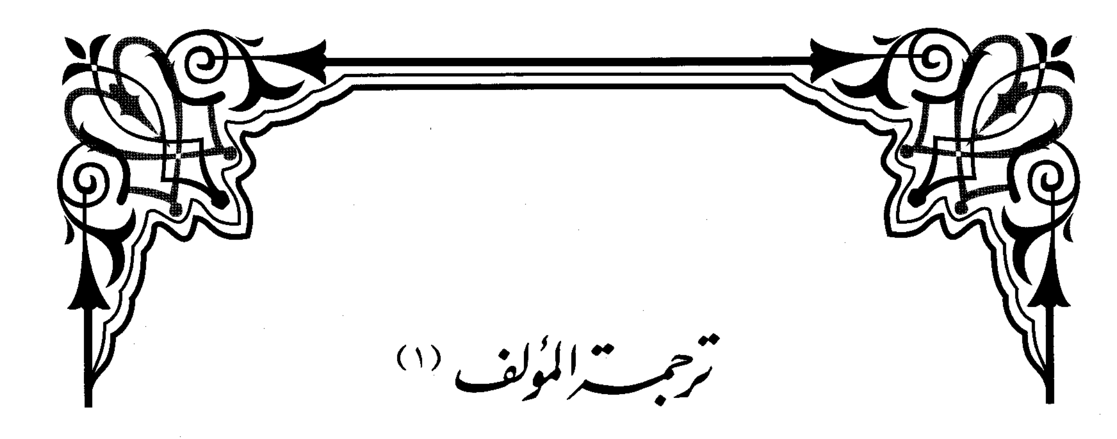
٦ ـ ضبطُ الأحاديثِ والأشعارِ والأقوال بالشكلِ المناسب .

٧ ـ كتابة مقدمةٍ للكتاب مشتملةٍ علىٰ ترجمة مختصرة للمؤلف ، وتَقْدِمة موجزة للكتاب .

هـٰذا وصلىٰ ٱلله علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم .



❐ ❐ ❐



ترجمة المؤلف (١)

* هو الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الأصل ، الدمشقي المولد ، الحنبلي المذهب ، المعروف بـ : « ابن عبد الهادي » ، والملقب بـ : « ابن المِبْرَد » .

* ولد سنة (٨٤١ هـ) في أول يوم منها ، وقد نشأ في بيئة علمية معروفة ، فتفقه علىٰ أبيه وجده ، وسمع عليهما الحديث .

وكان ملازماً للعلماء والصالحين ؛ فحفظ « المقنع » لابن قدامة

---

(١) انظر ترجمته في :
* « السحب الوابلة » لابن حميد (٣ / ١١٦٦) .
* « النعت الأكمل » للغزي (ص : ٦٨) .
* « شذرات الذهب » لابن العماد (٨ / ٤٣) .
* « مختصر طبقات الحنابلة » للشطي (ص : ٧٤) .
* « فهرس الفهارس » للكتاني (٢ / ١١٤١) .
* « مقدمة ثمار المقاصد » للدكتور أسعد طلس .
* « الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبلي وأثره في الفقه الإسلامي » للدكتور محمد عثمان شبير .
* « الإمام يوسف بن عبد الهادي وآثاره الفقهية » للدكتور صفوت عبد الهادي .

علىٰ عدد من العلماء ، وقرأ علىٰ مشايخ كثر « صحيح البخاري » ، و« مسند الحميدي » ، و« الدارمي » ، وغيرها .

* **فمن مشايخه الذين قرأ وحفظ عليهم** : الشيخ علاء الدين المرداوي صاحب « الإنصاف » ، وتقي الدين ابن قندس صاحب الحاشية المشهورة علىٰ « الفروع » ، وزين الدين أبو الفرج ابن الحبال ، وغيرهم .

* وقد تخرج علىٰ يديه جماعات من التلامذة ؛ الذي صاروا فيما بعد أعلاماً كباراً ؛ كـ : ابن طولون ، وعبد القادر النعيمي ، وغيرهما .

* أثنىٰ عليه جماعة من أهل العلم ، ووصفوه بالإمامة والحفظ والإتقان :

قال فيه تلميذه ابن طولون : « هو الشيخ الإمام ، علم الأعلام ، المحدث الرحالة ، العلامة الفهامة ، العالم العامل ، المتقن الفاضل » .

وقال فيه ابن العماد : « كان إماماً علامة ، يغلب عليه علم الحديث والفقه ، ويشارك في النحو والتصريف والتفسير ، وله مؤلفات كثيرة » .

وقال الشطي : « أجمعت الأمة علىٰ تقدمه وإمامته ، وأطبقت الأئمة علىٰ فضله وجلالته » .

* ترك الإمام ابن عبد الهادي كتباً كثيرة بلغت أسماؤها مجلداً ، كما قال ابن طولون ، ومن أهم تلك الكتب :

١ ـ « جمع الجوامع في الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد » في ثلاثة وسبعين مجلداً ، غالبه مفقود .

٢ ـ « الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي » .

٣ ـ « مغني ذوي الأفهام » في الفقه .

٤ ـ « هداية الإنسان إلى الاستغناء بالقرآن » .

٥ ـ « إرشاد السالك إلى مناقب مالك » .

٦ ـ « الدر النفيس في أصحاب محمد بن إدريس » .

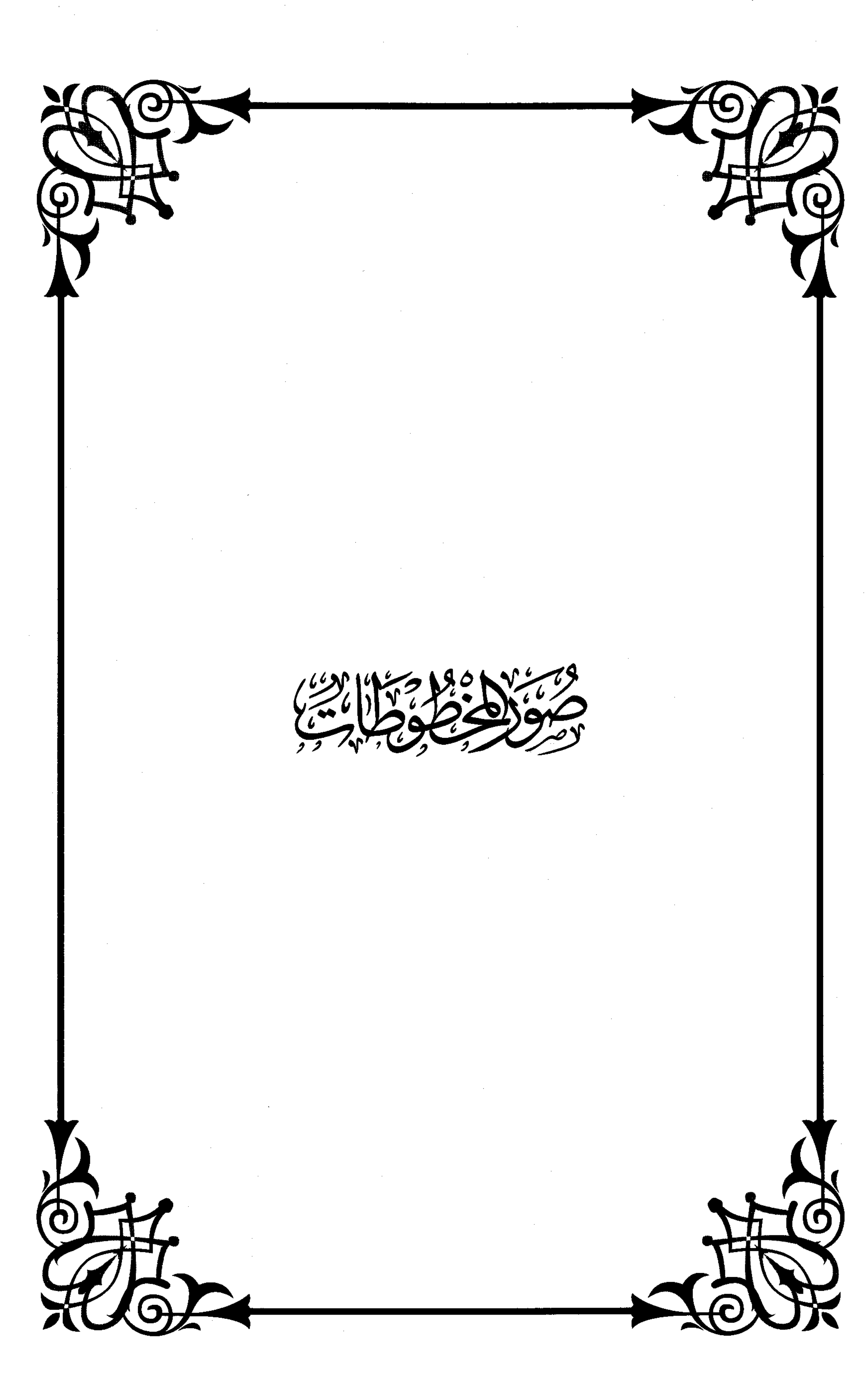
٧ ـ « محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » .

٨ ـ « زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم » .

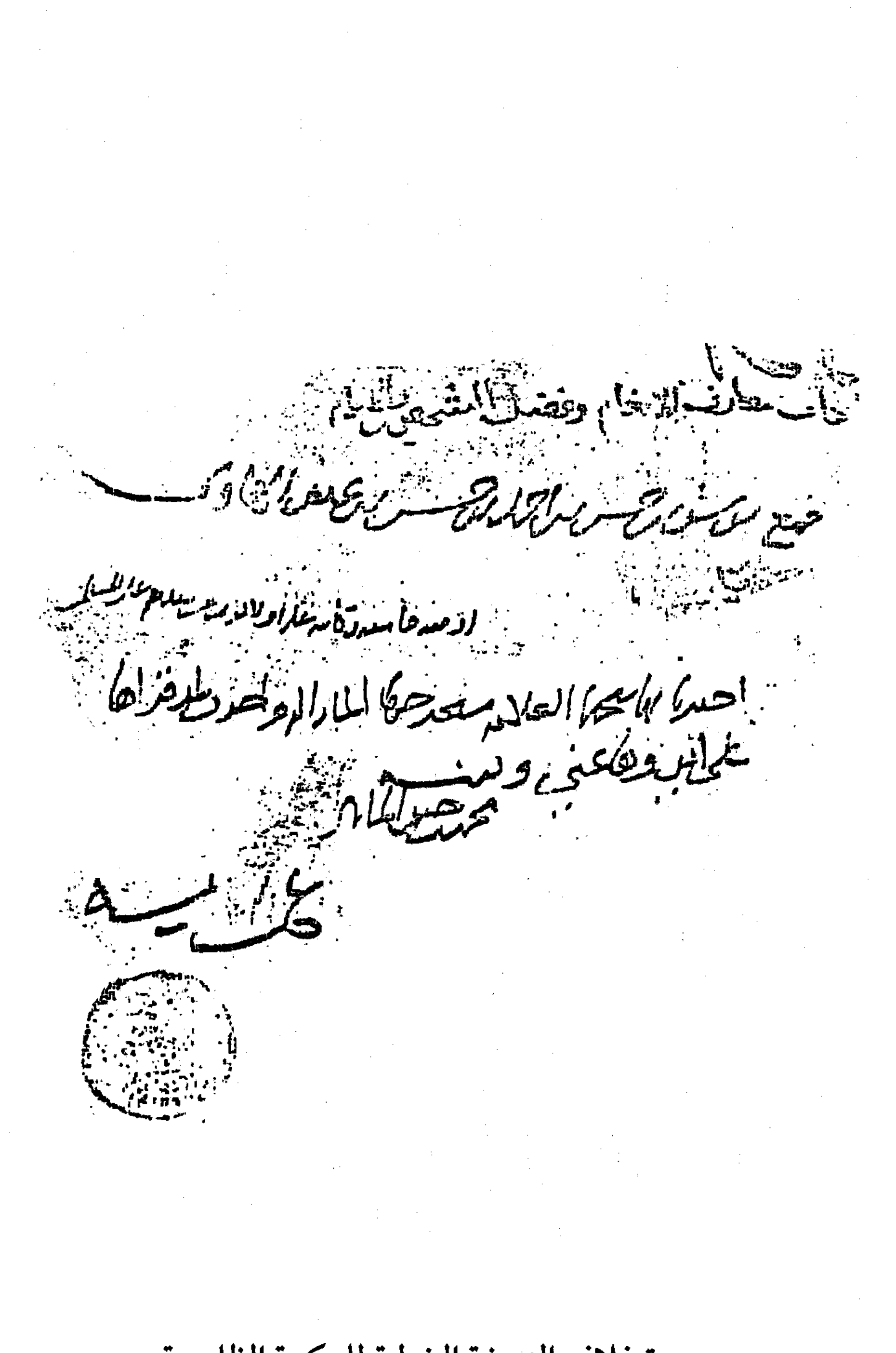
٩ ـ « زينة العرائس من الطرف والنفائس » .

* توفي رحمه الله بصالحية دمشق ، سادس عشر المحرم ، من سنة تسع وتسع مئة ، وصلي عليه بجامع الحنابلة ، ودفن بسفح جبل قاسيون رحمه الله ، ورضي عنه .





صور المخطوطات



صورة غلاف النسخة الخطية للمكتبة الظاهرية

صورة اللوحة الأولىٰ من النسخة الخطية للمكتبة الظاهرية

صورة اللوحة قبل الأخيرة من النسخة الخطية للمكتبة الظاهرية

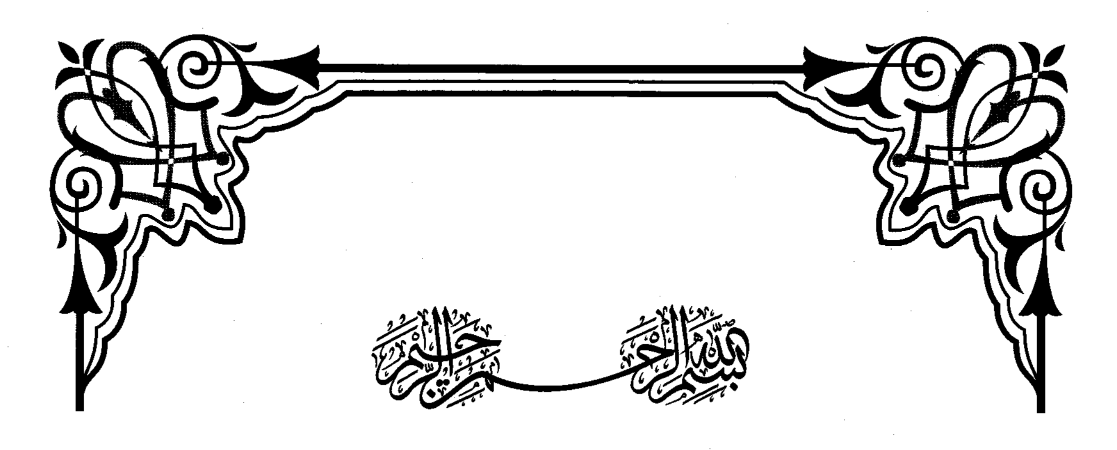
صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية للمكتبة الظاهرية
ويظهر فيها سماعات الكتاب علىٰ المؤلف بخطه



تأليف

الإمام يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الدمشقي الحنبلي
المولود سنة ٨٤١ - والمتوفى سنة ٩٠٩ هـ
رحمه الله تعالى





رَبِّ يَسِّرْ يَا كَرِيم

الحمدُ لله العليِّ الكريم ، العفوِّ الرحيم ، القديرِ العليم ، ذي الفضلِ العميم ، و الجودِ القديم ، والخيرِ الجسيم ، الأولِ والآخرِ ، والظاهرِ والعليمِ ، والرؤوفِ الرحيمِ ، والقاهرِ والحليمِ ، الذي خلق الإنسانَ في أحسنِ تقويم .

وأشهدُ أَنْ لا إلـٰهَ إلا ٱلله وحدَه لا شريكَ له ، إلـٰهاً واحداً قديماً ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه ، المبعوثُ بالإرشادِ والتعليم ، صلَّىٰ ٱلله عليه ، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليماً .

أمّا بعد :

فهـٰذه نبذة يسيرةٌ ، ومنافعُها كثيرة ، وٱلله الموفق ، ولنا ولجميع المسلمين من النار يُعتق ، ورضيَ ٱلله عن أبي بكرٍ صاحبِ الغار ، وعمرَ صاحبِ الأنوار ، وعلىٰ عليٍّ الذي كان علىٰ الكفارِ كالنار ، وعلىٰ جميع

الصحابة الأطهار ، وعلىٰ جمع المهاجرين والأنصار ، برحمتك يا كريم يا جبار ، وارضَ عن الإمام أحمدَ وأصحابه ، والشافعيِّ وأحبابه ، وأبي حنيفة ، ومالك ، ونيابه ، وحسبُنا ٱلله ونِعْمَ الوكيل .

وجعلتُ فيه أصلاً ثمانيةَ عشرَ فصلاً ، وسميته :



الفصل الأول : فيما روي في رمضان ، والجودِ فيه ، وقراءة القرآن ، وليلة القدر .

الفصل الثاني : في شهر شوّال .

الفصل الثالث : في ذكر الحجِّ وفضله .

الفصل الرابع : في ذكر شهر ذي القعدة .

الفصل الخامس : في ذكر ذي الحجة ، وعشره المبارك .

الفصل السادس : في ذكر عاشوراء وفضله .

الفصل السابع : في قدوم الحاج .

الفصل الثامن : في ذكر شهر صفر .

الفصل التاسع : في ذكر شهر ربيع الأول .

الفصل العاشر : في ذكر وفاة النبيِّ ﷺ[1] .

---

(١) حصل هنا خرم في الأصل الخطي المصور لدينا ، وهو مشتمل علىٰ تتمة ذكر الفصول التي بدأ بها المؤلف ، وعلىٰ صدر الفصل الأول من الكلام عن شهر رمضان والجود فيه ، وقراءة القرآن ، وليلة القدر ، وقد أُثبتت تتمة الفصول بين معكوفتين اعتماداً=

[**الفصل الحادي عشر** : في ذكر شهر رجب .

الفصل الثاني عشر : في ذكر شهر شعبان .

الفصل الثالث عشر : فيما جاء في ليلة النصف من شعبان .

الفصل الرابع عشر : في ذكر يوم الجمعة .

الفصل الخامس عشر : في ذكر الخميس والإثنين .

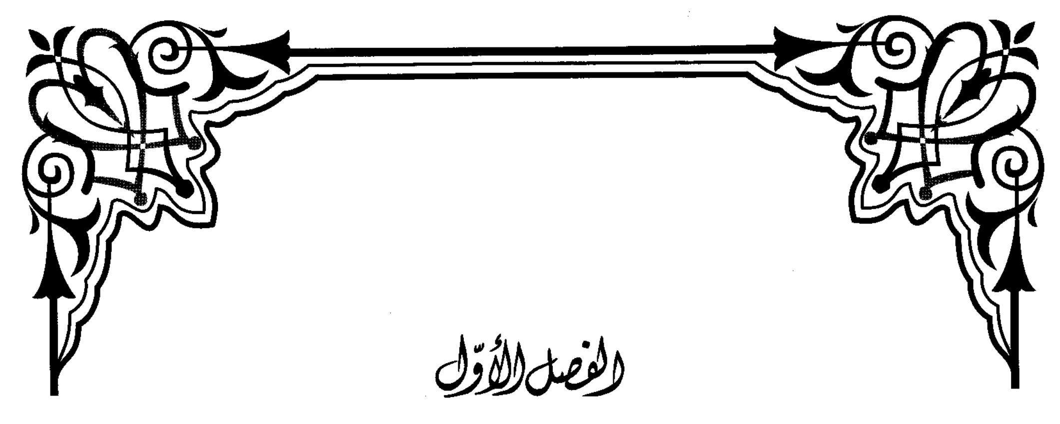
الفصل السادس عشر : في ذكر أيام البيض .

الفصل السابع عشر : في ذكر المعراج .

الفصل الثامن عشر : وفيه عشرون فصلاً] .

❐ ❐ ❐

= علىٰ ذكرها لدىٰ المؤلف في ثنايا مؤلَّفه هـٰذا .



الفصل الأول

فيما روي في رمضان

والجودِ فيه ، وقراءة القرآن ، وليلة القدر

سَــلامٌ مِــنَ الــرحمٰــن كُــلَّ أَوَانِ
عَلَـىٰ خَيْـرِ شَهْـرٍ [قَـد] مَضَـىٰ وَزَمَـانِ
سَــلامٌ عَلَــىٰ شَهْــرِ الصِّيَــامِ فَــإِنَّــهُ
أَمَــانٌ مِــنَ الــرحمٰــن أَيَّ أَمَــانِ
لَئِــنْ فَنِيَــتْ أَيَّــامُــه الغُــرُّ بَغْتَــةً
فَمــا الحُــزْنُ مِــنْ قَلْبِــي عَلَيْــكَ بِفَــانِ

إخواني ! شهرُ رمضان ، أولُه رحمة ، وأوسطُه مغفرة ، وآخره عتقٌ من النار ، كيف لا تجري للمؤمن علىٰ فراقه دموع ، وهو لا يدري هل يبقىٰ له من عمره رجوع ؟!

لقد ذهبت أيامُه وما أَطَعْتُم ، وكُتبت عليكم آثامه وما أضعتم ، فكأنكم بالمشمِّرين فيه قد وصلوا وانقطعتم ، أترىٰ ما هـٰذا التوبيخ لكم لو سمعتم ؟ إذا كانَ هـٰذا جزعُ من يربح فيه ، فكيف حالُ من خسرَ أيامه

ولياليه ؟ ما ينفع المفرِّطَ فيه بكاؤه ، وقد عظُمتْ فيه مصيبته ، وجلَّ عزاؤه ، كم نُصح المسكين فما قبل النصح ! كم دُعي إِلَىٰ المصالحة ، فما أجاب إِلَىٰ الصلح !

كم شهدَ الواصلينَ فيه وهو متباعد ! وكم مرت به زُمَرُ السائرين وهو قاعد ! حَتَّىٰ إذا ضاق به الوقت ، وحاقَ به المقت ، ندم علىٰ التفريط حين لا ينفعه الندم ، وطلب الاستدراك في وقت العدم .

أَتَتْـــرُكُ مَـــنْ تُحِـــبُّ وَأَنْـــتَ جَـــارُ
وَتَطْلُبُهُـــــمْ إِذَا بَعُــــدَ المَــــزَارُ
وَتَبْكِـــي بَعْـــدَ نَـــأْيِهِـــمُ اشْتِيَـــاقـــاً
وَتَسْـــأَلُ فـــي المَنَـــازِلِ أَيْـــنَ سَـــارُوا
تَـــرَكْـــتَ سُـــؤَالَهُـــمْ وَهُـــمُ حُضُـــورٌ
وَتَـــرْجُـــو أَنْ تُخَبِّـــرَكَ الـــدِّيَـــارُ
فَنَفْسَـــكَ لُـــمْ وَلا تَلُـــمِ المَطَـــايَـــا
وَمُـــتْ كَمَـــداً فَلَيْـــسَ لَـــكَ اعْتِـــذَارُ

إخواني ! ليلةُ القدر ليلةٌ يُفتح فيها الباب ، وتقرب فيها الأحباب ، ويسمع الخاطب ، ويرد الجواب ، ويسني العاملين عظمُ الأجر ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر : ٥] .

يَسْعَدُ بها المواصل ، ويتقي فيها الجاهل ، ويقبل فيها ربح العامل في التجر ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر : ٥] .

ليلة تتلقىٰ فيها الوفود ، ويحصل علىٰ المقصود ، والقبول وافىٰ

السعود ، أترىٰ عائد فيها المطرود هـٰذا الهجر ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر : ٥] .

هـٰذه أوقاتٌ يربح فيها من فهمَ ودرىٰ ، ويصل إِلَىٰ مراده مَنْ جَدَّ وسرىٰ ، ويُفك فيها العاني ، وتُطلق الأُسَرا ، تقدّمَ القومُ وأنتَ راجعٌ إِلَىٰ ورا ، أليس هـٰذا كلُّه قد جرىٰ ؟ ! ، وكأنه لم يجر ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر : ٥] .

* * *

فصل

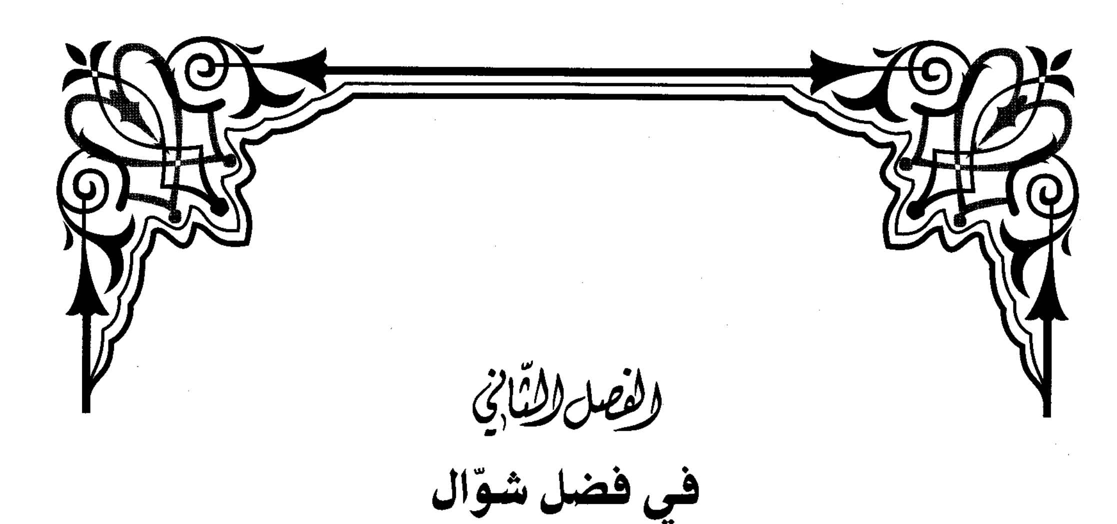
صومُ رمضان واجبٌ ؛ بالكتاب والسنة والإجماع :

القرآن : في قوله : ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

والسنة : قوله ﷺ : « بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ . . . » ، فذكر فيها : « الصَّوْم »(١) .



(١) رواه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦) ، عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما .



الفصل الثاني

في فضل شوّال

خَرَّجَ مسلمٌ من حديثِ أبي أيوبَ الأنصاريِّ ، عن النبي ﷺ ، قَالَ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِستَّةٍ مِنْ شَوَّالٍ ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ »(1) .

وقد روي من حديث أبي هريرةَ ، مرفوعاً : « مَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بَعْدَ الفِطْرِ مُتَتَابِعَة ، كَأَنَّما صَامَ السَّنَةَ »(2) ، وطريقه ضعيف .

وعن الشعبيِّ ، قَالَ : لأَنْ أصومَ يوماً بعدَ رمضانَ ، أحبُّ إليَّ من أن أصوم الدهرَ كلَّه .

وأما صيامُ شوال ، ففي حديثِ رجلٍ من قريش ، سمعَ النبيَّ ﷺ يقول : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَشَوَّالاً ، وَالأَرْبِعَاءَ وَالخَمِيسَ ، دَخَل الجَنَّة » خرجه الإمامُ أحمدُ ، والنَّسائيُّ(3) .

---

(1) رواه مسلم (١١٦٤) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

(2) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(3) رواه النسائي (٢٧٧٨) والإمام أحمد في « المسند » (٣/ ٤١٦) عن عريف من عرفاء قريش ، عن أبيه .

يا طَالِبَ الدُّنْيا إِلَىٰ كَمْ خَلْفَهَا تَجْرِي ، أَما سَمِعْتَ واعِظَ زجري ، أتعلمُ أنك تعيشُ إِلَىٰ الفَجْرِ ، فكم مِنْ متلذِّذٍ عيشٍ طيِّب غدا منه إلىٰ القبرِ ، [. . . . .] ولـكن لا يدري متىٰ يَسْري .

إِذَا كَـــانَ شُكْـــرِي نِعْمَـــةَ ٱللهِ نِعْمَـــةً
عَلَـــيَّ لَـــهُ فـــي مِثْلِهـــا يَجِـــبُ الشُّكْـــرُ
فَكَيْـــفَ بُلُـــوغُ الشُّكْـــرِ إِلا بِفَضْلِـــهِ
وَإِنْ طَـــالَـــتِ الأَيَّـــامُ وَاتَّصَـــلَ العُمْـــرُ

عن ثوبانَ : أن رسولَ ٱلله ﷺ قَالَ : « صِيَامُ رَمَضَانَ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بِشَهْرَيْنِ »[1] .

يا هـٰذا ! مَنْ للقبر وأنت واني ، إِلَىٰ متىٰ هـٰذا التواني ؟ أَتَحْسَبُ أَنَّكَ لَسْتَ بِفانٍ ، وَها أَنْتَ إِلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ دَاني ، أَتَدْرِي إِلَىٰ النَّارِ تَسْكُنُ أَمْ إِلَىٰ الجِنَانِ ؟

عِيـــدِي مُقِيـــمٌ وَعِيـــدُ النـــاسِ مُنْصَـــرِفُ
وَالقَلْـــبُ مِنِّـــي عَـــنِ اللَّـــذَّاتِ مُنْحَـــرِفُ
وَلِـــي قَـــرِينَـــانِ مـــا لِـــي مِنْهُمـــا خَلَـــفٌ
طُـــولُ الحَنِيـــنِ وَعَيْـــنٌ دَمْعُهَـــا يَكِـــفُ

يا مَنْ يفرح في العيد بتزيين لباسِه ، ويوقن بالموتِ وما استعدَّ لِبَاسِه ، ويعتبر بإخوانه وأقرانه وجُلَّاسه ، وكأنه قد أمنَ سرعةَ اختلاسِه ، كيف تقرّ بالعيد عينُ مطرودٍ عن الصلاح ؟! كيف تضحك سِنٌّ مردودٍ عن

(١) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » (٢١١٥) .

الفلاح ؟ ! كيف يُسَرُّ من يُصِرُّ علىٰ الفِعَال القِباح ؟ ! كيف لا يبكي من فاته جزيلُ الأرباح ؟

فَـاكْـدَحْ لِنَفْسِـكَ قَبْـلَ المَـوْتِ فـي غَفَـلٍ
وَلا تَكُــنْ جَــاهِــلاً بِــالحَــقِّ مُــرْتَــابـا
إِنَّ المَنِيَّـــةَ مَـــوْرُودٌ[1] مَنَـــاهِلُهَـــا
لا بُـــدَّ مِنْهَـــا وَلَـــوْ عُمِّـــرْتَ أَحْقَـــابـا

يا مَنْ وفا رمضان علىٰ أحسنِ حال ! لا تغيرن بعدَه في شوال ، يا مَنْ رأىٰ العيد وصل إليه ! متىٰ تشكر المنعمَ وتُثني عليه ؟

تصدَّر أقوامٌ لمحوِ العواقب ، ففعلوا عمل مراقب ، وجاوزوا الفرائض إلَىٰ طلب المناقب .

* * *

فصلٌ

صيامُ ستةِ أيامٍ من شهرِ شوالٍ مستحبةٌ

جاء في الحديث : « صِيَامُهَا يَعْدِلُ صِيَامَ الدَّهْرِ »[2] ؛ ولو أنها متفرقة في الشهر كلِّه ، فليجتهدِ المسكينُ المذنبُ في تحصيلها ، ولو في الشهر كلِّه .

---

(١) في الأصل : « مردود » .

(٢) تقدم تخريجه قريباً .

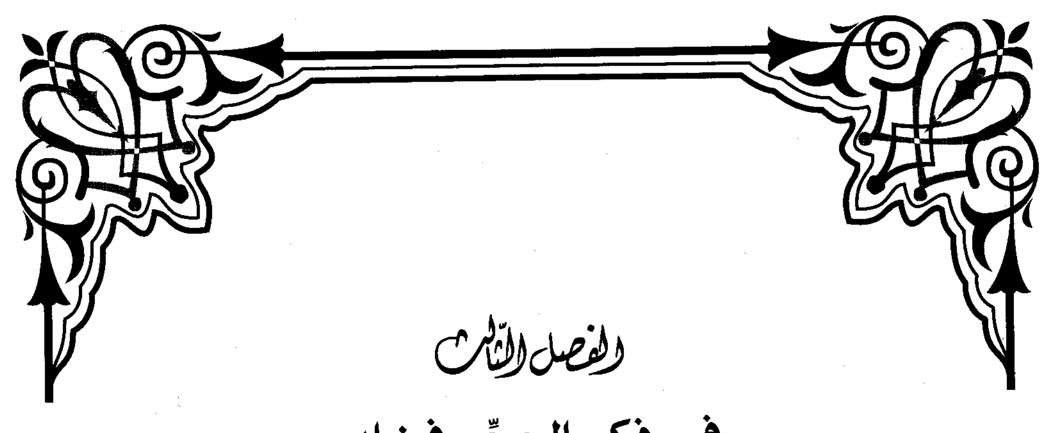
يا مَنْ سبقك القومُ وتخلَّفْتَ ، ومضىٰ أكثرُ العمر وسوَّفْت ، ثم تعصي المنعمَ بالنعمِ فما أنصفتَ ، وتؤثر الضلالَ علىٰ الهدىٰ وقد عرفت .

تخاف أن تقولَ إذا حضرتَ ووقفت : ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات : ١٢] .

يا مَنْ بين يديه الحسابُ والصراط ، وهو عظيمُ الجرمِ كثيرُ الانبساط ، متكاسلٌ في الطاعة ، وفي المعاصي ذو نشاط ، يُدعىٰ إِلَىٰ العلو ويأبىٰ إلا الانهباط ، مؤمنة هـٰذه[1] النفسُ بالوعيد أم كافرة ؟ ! ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات : ١٢] .

❐ ❐ ❐

(١) في الأصل : « هـٰذا » .



الفصل الثالث

في ذكر الحجِّ وفضله

في « الصحيحين » عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ : « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ [إِيمَانٌ] بِٱللهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ الجِهَادُ في سَبِيلِ ٱللهِ ، ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ »(١) .

وقد روي عن النبي ﷺ : أن « مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ الحَجِّ ، وَلَمْ يَحُجَّ ، فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيّاً ، وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيّاً »(٢) .

وعن ابن عباس رضي ٱلله عنه ، قَالَ : قَالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « إِنَّ للهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عِشْرِينَ وَمِئَةَ رَحْمَةٍ تَنْزِلُ عَلَىٰ هَـٰذَا البَيْتِ ؛ فَسِتُّونَ لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلمُصَلِّينَ ، وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ »(٣) .

---

(١) رواه البخاري (٢٦) ، ومسلم (٨٣) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه الدارمي في « سننه » (١٧٨٥) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٣١) ، وابن عدي في « الكامل في الضعفاء » (٥ / ٧٢) ، من حديث أبي أمامة رضي ٱلله عنه . وإسناده ضعيف .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١٤٧٥) ، وابن عدي في « الكامل في =

وعن ابن عباس ، عن النبيِّ ﷺ : أنه قَالَ : « مَنْ طَافَ خَمْسِينَ مَرَّةً ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[1] .

وعن النبيِّ ﷺ ، قَالَ : « إِنَّ المَلائِكَةَ تُصَافِحُ رُكْبَانَ الحَاجِّ ، وَتُعَانِقُ مُشَاتَهُمْ »[2] .

وعن النبيِّ ﷺ ، قَالَ : « الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ [جَزَاءٌ] إِلا الجَنَّةَ »[3] .

يا مَنْ صَارُوا إِلَىٰ الحبيبِ حمول ، وكأنك بهم وهُمْ عند الحبيبِ نُزول ، إنْ وافيتمُ إِلَىٰ الحبيبِ فقولـ[ـوا] : ذاك الغريب ليس له إليكَ وصول ، بٱلله إن وافيتُمْ إِلَىٰ الحبيب ، فاطلبوا لنا منه نصيبْ ، وقولوا له : ذاكَ الغريبْ ، ليس له إليكَ وصولْ .

وَمَا رُمْتُ مِنْ بَعْدِ الأَحِبَّةِ سَلْوَةً
وَلٰكِنَّنِي[4] للنَّائِبَاتِ حمُولُ
وَمَا شَرَقِي بِالمَاءِ إلا تَذَكُّراً
لمَاءٍ بِهِ أَهْلُ الحَبِيبِ نُزُولُ

فسبحانَ من قسّم الأقسام ، فلقومٍ يقظة ، ولقومٍ منام .

= الضعفاء » (٦ / ٢٧٨) ، وإسناده ضعيف .

(١) رواه الترمذي (٨٦٦) ، وقال : غريب .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٠٩٩) ، من حديث عائشة رضي ٱلله عنها . وضعفه ، بلفظ : « إن الملائكة لتصافح ركاب الحجاج ، وتعتنق المشاة » .

(٣) رواه البخاري (١٦٨٣) ومسلم (١٣٤٩) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٤) في الأصل « ولٰكني » .

وذكروا : أن رجلاً شَرَطَ علىٰ أصحابه أن يخدمهم في سفر الجهاد ، فكلما أراد أحدهم أن يغسل جبته ، أو رأسه ، فيقول : هـٰذا شَرْطي ، فيغسلُها له ، فلما مات ، إذا في كفِّه مكتوبٌ بين الجلدِ واللحم : من أهل الجنة .

إخواني ! رحلَ من أصفُه ، وبقي من لا نعرفه .

في « صحيح البخاري » عن عائشة : قلت : يا رسول ٱلله ! نرىٰ الجهادَ أفضلَ الأعمال ، أفلا نجاهد ؟ قَالَ : « لـٰكن أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ »[1] .

وعن أُمِّ سلمة ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ : « الحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ »[2] .

وفي « المسند » : عن جابرٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ : « الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلا الجَنَّة » ، قَالَوا : وما بِرُّ الحجِّ يا رسول ٱلله ؟ قَالَ : « إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَإِفشاءُ السَّلامِ »[3] .

وفي حديثٍ آخرَ : « وَطِيبُ الكَلامِ »[4] .

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٨) .

(٢) رواه ابن ماجه (٢٩٠٢) ، وإسناده ضعيف . انظر : « المقاصد الحسنة » للسخاوي (ص : ٣٠١) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٣ / ٣٢٥) .

(٤) رواه عبد بن حميد في « مسنده » (١٠٩١) ، والحاكم في « المستدرك » (١٧٧٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥ / ٢٦٢) .

ومن أعظمِ أنواعِ الحجِّ المبرور : كثرةُ ذكر ٱلله تعالَىٰ .

وروي : أن رسولَ ٱلله ﷺ سئل : أيُّ الحج أفضل ؟ قَالَ « أَكْثَرُهُمْ للهِ ذِكْراً » أخرجه الإمام أحمد[١] .

وفي « الترمذي » : عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ : « أَفْضَلُ الحَجِّ : العَجُّ ، وَالثَّجُّ »[٢] .

وفي حديث : « عجُّوا التَّكْبِيرَ عَجّاً ، وَثجُّوا الإِبِلَ ثَجّاً »[٣] .

فالعَجُّ : رفعُ الصوتِ بالتكبيرِ والتلبيةِ ، والثجُّ : إراقةُ دمِ الهَدْيِ والنُّسُكِ .

والهَدْيِ أفضل الأعمال .

يا هـٰذا ! إن ٱلله قد أعطاك ، ونَوَّلَك مُناك ، وأنت بٱلله لا تنسانا من دُعاك .

ياليتني معكم هناك ، ولـٰكنني مذنبٌ أرجو رضاك .

وقد علمتُ أنك لستَ تُخَيِّبُ مَنْ دعاك .

والمرء تقوىٰ ٱلله أفضلُ ما استفاد .

يُرِيدُ المَرْءُ أَنْ يُؤْتَىٰ مُنَاهُ
وَيَأْبَىٰ ٱللهُ إلا مَا أَرَادَا

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٣/ ٤٣٨) عن معاذ رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه الترمذي (٨٢٧) عن أبي بكر رضي ٱلله عنه .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٣٦٠٢) ، عن جبير بن مطعم .

يَقُــولُ المَــرْءُ فَــائِــدَتــي وَمَــالِــي
وَتَقْــوىٰ ٱللهِ أَفْضَــلُ مــا اسْتَفَــادَا

من أعظم ما يجب علىٰ الحاج : اتقاؤه من الحرام ؛ أن يطيب نفقته في الحج ، ولا يجعلها من كسبٍ حرام .

مات رجلٌ في طريق مكة ، فحفروا له ، فدفنوه ، ونَسُوا الفأسَ في لَحْده ، فكشفوا عنه الترابَ ليأخذوا الفأسَ ، فإذا رأسُه وعنقُه قد جُمعا في حَلْقة الفأس ، فردُّوا عليه الترابَ ، ورجعوا إِلَىٰ أهله ، فسألوهم عنه ، فقَالَوا : صاحبَ رجلاً ، فأخذ مالَهُ ، فكان يحج عنه ويغزو .

كما قيل :

تَطَهَّــرْ مِــنَ الــذُّنُــوبِ يــا مُــذْنِــبْ
إِذَا شِئْــتَ مِــنْ بَــابِــهِ تَقْــرُبْ

كان عمرُ بن عبد العزيزِ إذا رأىٰ من يسافر إِلَىٰ المدينة النبوية يقول : أقرئ رسولَ ٱلله منِّي السلام .

هــاهنــا الخَيْــفُ وَهَــاتِيــكَ مِنَــىٰ
فَتَــرَفَّــقْ أَيُّهَــا الحَــادِي بِنَــا
وَاحْبِســنَّ الــرَّكْــبَ عَنَّــا سَــاعَــةً
نَنْــدُبُ الــرَّبْــعَ وَنَبْكِــي الــدِّمَنــا
أَتُــرَاكُــمْ فــي النَّقَــا والمُنْحَنَــىٰ
أَهْــلَ سَلْــعٍ تَــذْكُــرُونَــا ذِكْــرَنَــا

انْقَطَعْنَـــا وَوَصَلْتُـــمْ فَـــاعْلَمُـــوا
واشْكُـــرُوا [١] المُنْعِـــمَ يـــا أَهْـــلَ مِنَـــىٰ
قَـــدْ خَسِـــرْنَـــا وَرَبِحْتُـــمْ فَصِلُـــوا
بِفُضُـــولِ الـــرِّبْـــحِ مَـــنْ قَـــدْ غُبِنَـــا
سَـــارَ قَلْبِـــي خَلْـــفَ أَحْمَـــالِكُـــمُ
غَيْـــرَ أَنَّ العُـــذْرَ عَـــاقَ البَـــدَنَـــا
زَمَنـــاً كَـــانَ وَكُنَّـــا جِيـــرَةً
فَـــأَعَـــادَ ٱللهُ ذَاكَ الـــزَّمَنَـــا

من شاهدَ تلكَ الديار ، وعاينَ تلكَ الآثار ، ثم انقطعَ عنها ، لم يمتْ إلا بالأسفِ عليها ، والحنينِ إليها .

قَالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « مَنْ حَجَّ ، فَزَارَ قَبْرِي ، فَكَأَنَّما زَارَنِي في حَيَاتِي »[٢] .

يا هٰذا ! تهيَّأ للممات ، وَعُدَّ نفسَك لمصرعٍ سوف يأتي ، وابْكِ علىٰ العبرات .

أين الذين في الليل يتلو[نَ] القرآنْ ، أولـٰئك في الجِنان من أولياءِ الرحمـٰن ، ولَكَم قاموا وأَبلُّوا الأجفان ، أولـٰئك لهم الجنان .

* * *

---

(١) في الأصل : « أن اشكروا » .

(٢) رواه الدارقطني في « سننه » (٢ / ٢٧٨) وغيره عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما ، وإسناده ضعيف ، وفي الباب عن حاطب رضي ٱلله عنه ، وإسناده ضعيف أيضاً . انظر : « التلخيص الحبير » لابن حجر (٢ / ٢٦٦) .

فصل

الحجُّ واجبٌ بالكتاب ، والسنة ، والإجماع .

الكتاب : قوله : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

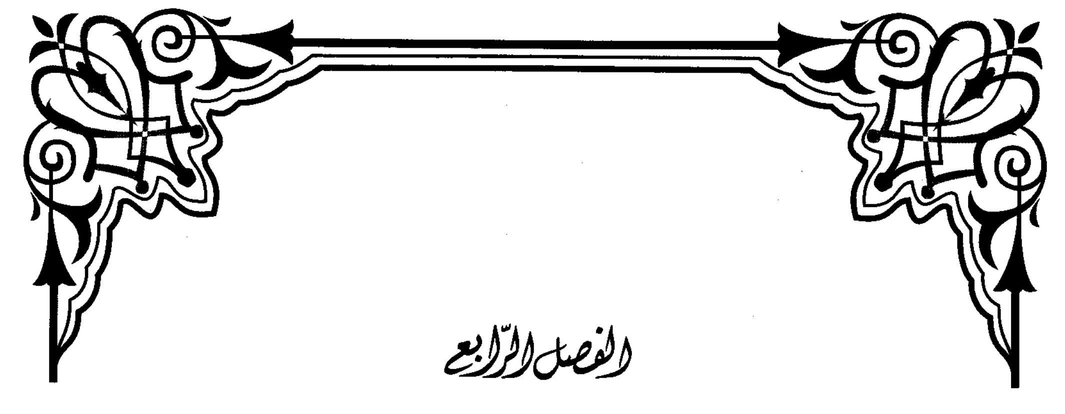
والسنة : قولُه ﷺ : « بُنِيَ الإسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ »[1] .

وذٰلك يجب بشروط : الإسلام ، والحرية ، والعقل ، والبلوغ ، والاستطاعة .

❒ ❒ ❒

---

(١) تقدم تخريجه .



الفصل الرّابع

في ذكر شهر ذي القعدة

خَرَّجَ الترمذيُّ ، والنسائيُّ عن أبي ذَرٍّ : قَالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « مَنْ صَامَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، كَانَ كَمَنْ صَامَ الدَّهْرَ »(١) .

فأنزل ٱلله مصدّقه : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

وفي « الصحيحين » : عن عبد ٱلله بن عمرٍو ، قال : قَالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « صُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ؛ فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَذٰلك مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ »(٢) .

وفي « المسند » : أن النبي ﷺ قَالَ : « صِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، هُوَ صَوْمٌ حَسَنٌ »(٣) .

وذو القعدة من الأشهر الحُرُم بلا خلاف ، ومن خصائص ذي

---

(١) رواه النسائي (٢٧١٧) ، والترمذي (٧٦٢) عن أبي ذر رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه البخاري (١٨٧٥) ومسلم (١١٥٩) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤ / ٢١٧) ، عن عثمان بن أبي العاص رضي ٱلله عنه .

القعدة : أن عُمَرَ النبيِّ ﷺ كانت كلُّها في ذي القعدة .

ولذي القعدة فضيلةٌ أخرىٰ ؛ وهي : أنه قد قيل : إنه الثلاثون يوماً[1] التي وعد ٱلله فيها موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

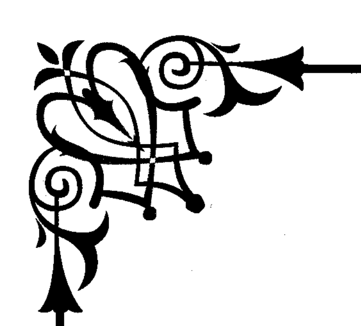
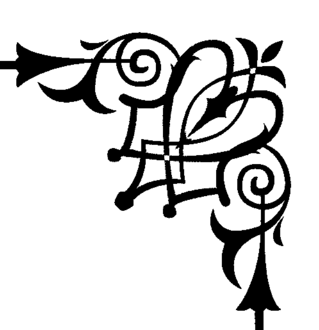
يا مَنْ لا يُقلِعُ عن ارتكابِ الحرامْ ، لا في شهرٍ حلالٍ ، ولا في شهرٍ حرامْ . يا مَنْ هو في الطاعاتِ إِلَىٰ وراء ، وفي المعاصي إِلَىٰ قُدَّامْ . يا مَنْ هو في كلِّ يومٍ من عمره ، شراً ما كان في قبله من الآثامْ . متىٰ تستفيقُ من هٰذا المنام ؟ متىٰ تتوبُ من هٰذا الحرام ؟ يا من أنذرَهُ الشيبُ بالموت ! وهو مقيمٌ علىٰ الآثامْ . أما كفاكَ واعظُ الشيبِ ، معَ واعظِ القرآنِ والإسلامْ ؟ والموتُ خيرٌ لك من الحياة علىٰ هٰذا الحال والسلام .

يَــا غَــادِيــاً فــي غَفْلَــةٍ وَرَائِحَــا
إِلَــىٰ مَتَــىٰ تَسْتَحْسِــنُ القَبَــائِحَــا
وَكَــمْ إِلَــىٰ كَــمْ لا تَخَــافُ مَــوْقِفَــاً
يَسْتَنْطِــقُ ٱللهُ بِـــهِ الجَـــوارِحَــا
يَــا عَجَبــاً مِنْــكَ وَأَنْــتَ مُبْصِــرٌ
كَيْــفَ تَجَنَّبْــتَ الطَّــرِيــقَ الــوَاضِحَــا
وَكَيْــفَ تَــرْضَــىٰ أَنْ تَكُــونَ خَــاسِــراً
يَــوْمَ يَفُــوزُ مَــنْ يَكُــونُ رَابِحَــا

❐ ❐ ❐

---

(١) في الأصل : « يوم » بدل « يوماً » .

الفصل الخامس
في ذكر شهر ذي الحجة

وفيه خمسةُ فصول :

الفصل الأول : في ذكر العشر ، وفضلِه .

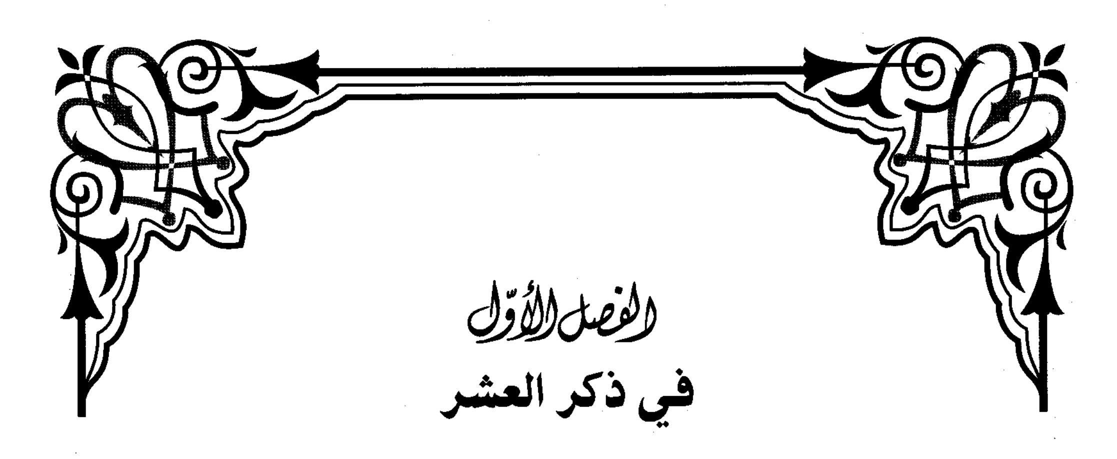
الفصل الثاني : في ذكر يوم عرفة ، وفضلِه .

الفصل الثالث : في ذكر يوم النحر ، وفضلِه .

الفصل الرابع : في ذكرِ أيام التشريق .

الفصل الخامس : في حكم شهر ذي الحجة ، وعشرِه ، ويومِ عرفةَ ، ويومِ النحر ، وأيامِ التشريق .



الفصل الأول

في ذكر العشر

عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ قالَ : « ما مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَىٰ ٱللهِ مِنْ أَنْ يُتَعَبَّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ بِسَنَةٍ ، وَكُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ القَدْرِ »[1] .

وروىٰ بعضُ أزواجِ النبيِّ ﷺ : أن النبي ﷺ كان لا يدعُ صيامَ تسعِ ذي الحجة[2] .

وفي « ابن حبان » عن جابرٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، قالَ : « ما مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ »[3] .

وخرَّجَ البزارُ ، وغيرُه من حديث جابر ، عن النبي ﷺ ، قالَ : « أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَيَّامُ العَشْرِ » ، قَالَوا : يا رسول ٱلله ! ولا مثلُهن في سبيل ٱلله ؟ ! قالَ : « وَلا لِمِثْلِهِنَّ في سَبِيلِ ٱللهِ إِلا مَنْ عُفِّرَ وَجْهُهُ في التُّرَابِ »[4] .

---

(١) رواه الترمذي (٧٥٨) .

(٢) رواه أبو داود (٢٤٣٧) عن بعض أزواج النبي ﷺ ، ولفظه : كان رسول ٱلله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٣٨٥٣) .

(٤) رواه أبو عوانة في « المسند » (٣٠٢٣) ، ورواه البزار (٤ / ١٧ ـ مجمع الزوائد=

وهـٰذا كلُّه يدلُّ علىٰ أن شهر ذي الحجة أفضلُ الأشهر الحرام .

العَشْـــــرُ أَوْقَـــاتُ الإِجَـــابَـــهْ
فَبَـــادِرُوا رَغْبَـــةً تَلْحَقُـــوا ثَـــوَابَـــهْ
أَوْقَـــاتُ العَشْـــرِ حَقّـــاً فَشَمِّـــرْ
وَاطْلُبَـــنْ فِيهَـــا الإِنَـــابَـــهْ

إخواني ! احذروا المعاصي ؛ فإنها تحرِمُ المغفرةَ في مواسم الرحمة ، إخوانُكم في هـٰذه الأيام قد عقدوا[1] الإحرام ، وقصدوا البيتَ الحرام ، وملؤوا الفضاء بالتلبية والتكبير والتهليل والتحميد والإعظام ، لقد ساروا وقعدنا ، وقربوا وبعدنا ، فإن كان لنا معهم نصيبٌ سعدنا .

يَـا سَـائِـرِيـنَ إِلَـىٰ البَيْـتِ العَتِيـقِ لَقَـدْ
سِـرْتُـمْ جُسُـومـاً وَسِـرْنَـا نَحْـنُ أَرْوَاحَـا
إِنَّـا أَقَمْنَـا عَلَـىٰ عُـذْرٍ وَقَـدْ رَحَلُـوا
وَمَـنْ أَقَـامَ عَلَـىٰ عُـذْرٍ كَمَـنْ رَاحَـا

الغنيمة بانتهاز الفرصة في هـٰذه الأيام العظيمة ، فما منها عوض ، إلا ولها قيمة ، والمبادرة بالعمل .

عن ابن عباسٍ ، قَالَ : قَالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « ما مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ أَحَبُّ فِيهَا إِلَىٰ ٱللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ هـٰذِهِ الأَيَّامِ » ـ يعني : أيام العشر ـ ، قَالَوا : يا رسول ٱلله ! ولا الجهاد في سبيل ٱلله ؟ !

= للهيثمي) ، قال الهيثمي : وإسناده حسن ، ورجاله ثقات .

(١) في الأصل : « قعدوا » .

قَالَ : « وَلا الجِهَادُ في سَبِيلِ ٱللهِ ، إلا رَجُلٌ خَرَجَ بِمَالِهِ ، وَنَفْسِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذٰلك بِشَيْءٍ » انفرد بإخراجه البخاري[1] .

يا من قد سارت[2] بالمعاصي أخبارُه ! يا من قد قبح إعلانُه وإسرارُه ! يا فقيراً من الهدىٰ أهلكه إعسارُه ! أتؤثر الخسرانَ ، قلْ لي وتختارُه ؟ يا كثيرَ الذنوبِ وقد دنا إحضارُه ! يا أسيراً[3] في حبس الزلل لا ينفعه إحضارُه ! كم رد علىٰ مثلك درهمه وديناره ! يا محترقاً[4] بنار الهوىٰ متىٰ تخبو ناره ؟

أَيَّتُهَـــا النَّفْـــسُ اسْمَعِـــي لِقِيلِـــي
أَنْـــتِ مِـــنَ الحَيَـــاةِ فـــي أَصِيـــلِ
وَفـــي غُـــرُورِ أَمَـــلٍ طَـــوِيـــلِ
فَـــلا يَغُـــرَّنْـــكِ ضُحَـــىٰ التَّـــأْمِيـــلِ
فَقَـــدْ دَنَـــتْ شَمْسُـــكِ[5] لِـــلأُفُـــولِ

عبادَ ٱلله ! هـٰذه الأيام مطايا ، فأين العدَّةُ قبل المنايا ؟ أين الأَنَفَة من دار الأذايا ؟ أين العزائم ؟ أرضيتُم بالدنايا ؟ إن بلية الهوىٰ لا تشبه البلايا ، وإن خطيئة الإصرار لا كالخطايا ، يا مستورين ! ستظهر الخبايا ، سريَّةُ الموت لا تشبه السرايا ، قضيةُ الزمان ليست كالقضايا ،

---

(١) رواه البخاري (٩٢٦) .
(٢) في الأصل : « أسأت » .
(٣) في الأصل : « موسر » .
(٤) في الأصل : « متحرقاً » .
(٥) في الأصل : « شموسك » .

راعي السلامة يقتل الرعايا ، رامي المنون يُصْمِي الرماية ، مَلَكُ الموت لا يقبل الهدايا ، وكأني به قد أخذكم جيلاً جيلاً ، ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ .

أيها الشاب ! ستُسأل عن شبابك ، أيها الكهل ! تأهب لعتابك ، أيها الشيخ ! تدبر أمرك قبل استداد بابك ، [لا تُقبلن] إليَّ وعملك قليلاً ، ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء : ٧٧] .

كنت في بداية الشباب أصلح ، فيا عجباً كيف أفسدَ مَنْ أصلح ؟ !

يا مريضَ القلبِ قفْ ببابِ الطبيب ، يا منحوسَ الحظ ! اشكُ فواتَ النصيب ، فأنت بالتوبة مطيلا ، ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء : ٧٧] .

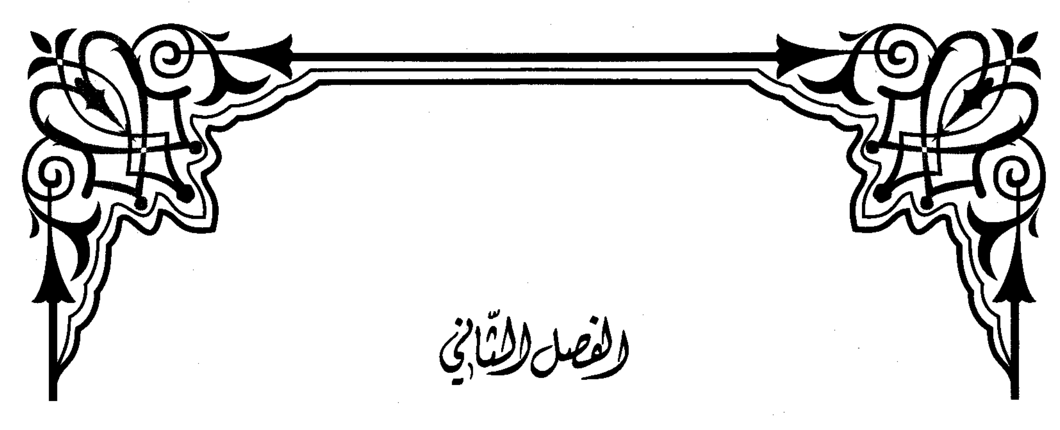
لُذ بالجناب ذليلاً ، وقفْ على الباب طويلاً ، واتخذ في هـٰذا العشر سبيلاً ، واجعل جَناب التوبة مَقيلاً ، واجتهد في الخير ، تجد ثواباً جزيلاً ، ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء : ٧٧] .

قل لي في الأسحار : أنا تائب ، نادِ في الدجا : قد قدم الغائب .

أَنَا المُسِيءُ المُذْنِبُ الخَاطِي
المُفْرِطُ البَيِّنُ إفراطِي
فَإِنْ تُعَاقِبْنِي[1] فَأَهْلٌ لَهُ
وَأَنْتَ أَهْلُ العَفْوِ عَنْ خَاطِي

❐ ❐ ❐

(١) في الأصل : « تعاقب » .



في يوم عرفة وفضله

عباد ٱلله ! إن يومكم هٰذا قد عظَّم ٱلله أمرَه ، ورفع علىٰ الأيام قَدْرَه .

ومن فضله : أن ٱلله نزَّل فيه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] نزلت علىٰ رسول ٱلله ﷺ عشية عرفة ، يوم الجمعة .

ومن فضله : أن ٱلله يباهي بالحاج ملائكته ، ويمنّي بالغفران .

قَالَ رسول ٱلله ﷺ : « لَيْلَةَ عَرَفَةَ [يَـ]نْزِلُ ٱلله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ لِلمَلائِكَةِ : انْظُرُوا إِلَىٰ عِبَادِي هٰؤلاءِ شُعْثاً غُبْراً ، جَاؤُوني مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، ضَاجينَ يَسْأَلُونَ رَحْمَتِي ولَمْ يَرَوْني ، وَيَتَعَوَّذُونَ بي مِنْ عَذَابي ، وَلَمْ يرَوْني ، فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ أَكْثَرُ عَتِيقاً وَلا عَتِيقَةً مِنْهُ »(١) .

عن ابن عمرَ ، قَالَ : سمعتُ رسول ٱلله ﷺ يقول : « لا يَبْقَىٰ أَحَدٌ

---

(١) رواه ابن الجوزي في « التبصرة » (٢ / ١٤٢) من حديث جابر رضي ٱلله عنه .

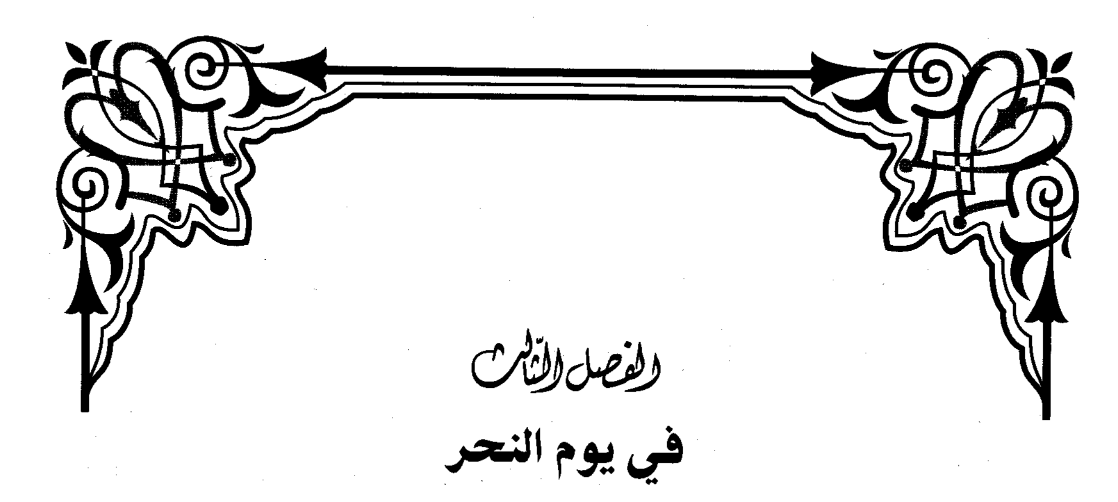
يَوْمَ عَرَفَةَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلا غُفِرَ لَهُ »[١] .

عن أبي قَتادةَ : أن رجلاً قَالَ : يا رسول ٱلله ! أرأيت صيامَ يومِ عرفةَ ؟ قَالَ : « أَحْتَسِبُ عَلَىٰ ٱلله أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ البَاقِيَةَ ، وَالمَاضِيَةَ » ، انفرد بإخراجه مسلم[٢] .

يَــوْمُ عَــرَفَــاتٍ نَــرْجُــو ثَــوَابَــهْ
فَكَــمْ مُضْطَــرٍّ فِيــهِ قَــدْ أَجَــابَــهْ[٣]

❐ ❐ ❐

(١) رواه عبد بن حميد في « المسند » (٨٤٢) ، وإسناده ضعيف . انظر : « الأمالي المطلقة » لابن حجر (ص : ١٦) .
(٢) رواه مسلم (١١٦٢) .
(٣) في الأصل : « فكم من مضطر إليه فيه قد أجابه » .



الفصل الثالث

في يوم النحر

اعلموا أن يومَ النحرِ يوم عظيمٌ ، قَالَ رسول ٱلله ﷺ : « أَفْضَلُ الأَيَّامِ يَوْمُ النَّحْرِ »[1] .

وروي عنه ﷺ في الأضحية : أنه قَالَ : « بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ »[2] .

للهِ درُّ أقوامٍ أعيادُهم قبولُ الأعمال ، ومرادُهم [أ]شرفُ الأعمال ، وأحوالُهم تجري علىٰ كمال ، وجَمالهم التقىٰ ، ويا لَه من جمال !

يا من كلما جُذِبَ عن لهوه رَسَب ، هـٰذا بريدُ الموتِ لك في الطلب ، بادرْ قبلَ الفوات ، فالزمانُ يُـ[نْتَـ]ـهَب .

أين مخاصمُ الأقدار ؟ قل لي : من غلب ؟ ! ، أتاه الفاجعُ فاقترب وما ارتقب ، وأبرزه عن قصره ويا طالما احتجب .

يا معرضاً عنا ! عناك التعب ، يا هاجراً لنا ! إِلَىٰ كم هـٰذا

---

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٢٨١١) عن عبد ٱلله بن قُرط رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه ابن ماجه (٣١٢٧) ، والإمام أحمد في « المسند » (٤ / ٣٦٨) عن زيد بن أرقم رضي ٱلله عنه .

الغضب ؟ ! يا مضغةً ، يا علقةً ! خدمتنا نَسب ، يا مؤثِراً غيرَنا ! بعتَ الدُّرَّ بالخشب .

أما يشوقك إِلَىٰ الخير ما يشوق ؟ ! أما يعوقك عن الضير ما يعوق ، متىٰ ترجع حُرّاً يا مرقوق ؟ ! متىٰ تصير سابقاً يا مسبوق ؟ ! إياكَ والهوىٰ ، فكم قتل عاشقاً معشوق ، أولُ الهوىٰ سهلٌ ، ثم تتخرق الخروق ، كلما حصد نباته بمنجل الصبر ، أخرجت العروق ، إن لذّ شربُه في الفم ، فشربه شَجًا في الحلوق ، وإنما لَذَّةُ الدنيا مثلُ خطفِ البروق ، خلِّ ، خلِّ التواني إن شئت تفوق ، تاللهِ ! ما نصحك إلا محبٌّ أو صدوق .

ستعلم ـ أيها العاصي ـ ما أتيت ، وستدري يومَ الحساب من عصيت ، وستبكي دماً لقبيح ما جنيت ، كأنك بالموت قد جاء فانتبهت وارعويت ، وذكرتَ تلك الخطايا فتعست وبكيت ، وأُخلي منك البيت ، شئتَ أو أبيت ، وصِحْت بلسان الأسف : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٩] وليت ، انهض يا حياً قادراً قبل أن تسمىٰ باسم مَيْت ، ويحك ! تأمَّلْ أمرَك ، وافتح عينك ، ويحك ! كم تعبي من الذنوب عليك ، إن سهام الموت قد فُوِّقَت إليك ، اقبلْ نصحي ، وقمْ نادماً علىٰ قدميك ، واحسبها أرضَ عرفةَ ، وقل : لبيك لبيك .

قَالَ بعض العارفين : ما فرح أحدٌ بـغير ٱلله إلا بغفلته عن ٱلله ، فالغافلُ يفرح بلهوه وهواه ، والعاقل يفرح بمولاه .

وأنشد سمنون في هـٰذا المعنىٰ :

وَكَـانَ فُـؤَادِي خَـالِيـاً [1] قَبْـلَ حُبِّكُـمْ
وَكَـانَ بِـذِكْـرِ الخَلْـقِ يَلْهُـو وَيَمْـرَحُ
فَلَمَّـا[2] دَعَـا قَلْبِـي هَـوَاكَ أَجَـابَـهُ
فَلَسْـتُ أَرَاهُ عَـنْ فِنَـائِـكَ يَبْـرَحُ
رُمِيـتُ بِبُعْـدٍ مِنْـكَ إِنْ كُنْـتُ كَـاذِبـاً
وَإِنْ كُنْـتُ فـي الـدُّنْيـا بِغَيْـرِكَ أَفْـرَحُ
وَإِنْ كَـانَ شَـيْءٌ فـي البِـلادِ بِـأَسْـرِهَـا
إِذَا غِبْـتَ عَـنْ قَلْبِـي لِقَلْبِـيَ يَمْلُـحُ
فَـإِنْ شِئْـتَ وَاصِلْنِـي وَإِنْ شِئْـتَ لا تَصِـلْ
فَلَسْـتُ أَرَىٰ قَلْبِـي لِغَيْـرِكَ يَصْلُـحُ

❒ ❒ ❒

(١) في الأصل : « خلياً » .
(٢) في الأصل : « فلمن » .



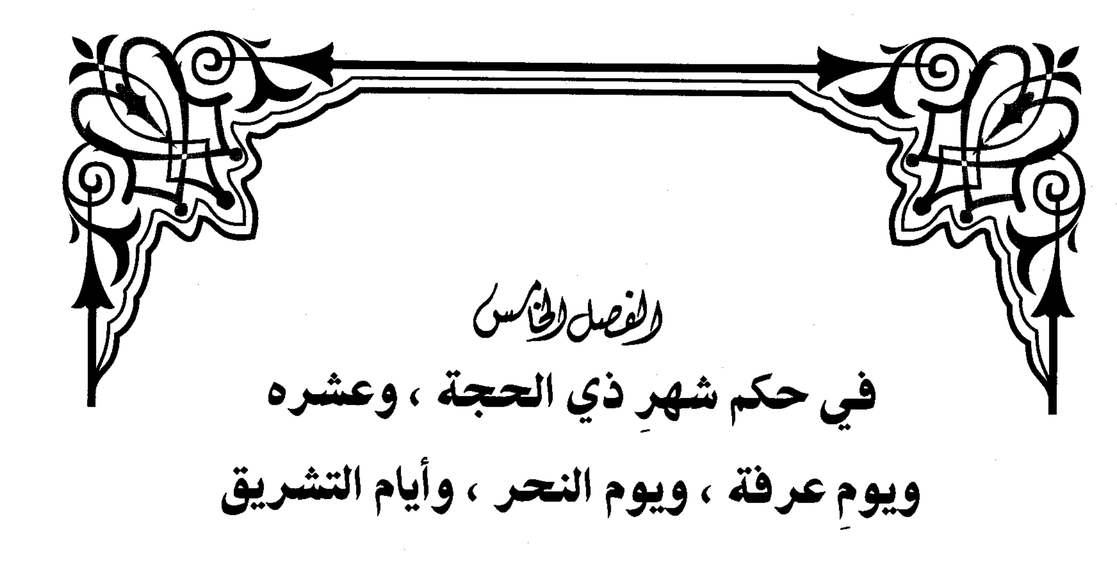
الفصل الرّابع

في ذكر أيام التشريق

لما كان يوم النحر فضيلاً ، كان لهم عيدٌ قبله وبعدَه ، فقبله يومُ عرفة ، وبعده أيامُ التشريق ، وكل هـٰذه الأيام أعيادٌ ؛ كما في حديث عقبةَ بن عامرٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ : « يَوْمُ عَرَفَةَ ، وَيَوْمُ النَّحْرِ ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَعْيَادٌ لِأَهْلِ الإِسْلامِ ، وَأَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ » خرجه أهل السنن ، وصححه الترمذي[1] .

❐ ❐ ❐

(١) رواه أبو داود (٢٤١٩) ، والنسائي (٢٨٢٩) ، والترمذي (٧٧٣) .



في حكم شهرِ ذي الحجة ، وعشره ويومِ عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق

قوله تعالَىٰ : ﴿ رِجَالًا ﴾ [الحج : ٢٧] ؛ أي : مُشاةً ، وقد حجَّ إبراهيم ، وإسماعيل ماشيين ، وحج الحسن بن عليٍّ خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وحجَّ أحمدُ بن حنبل مرتين .

أمر ٱلله نبيَّه الخليلَ بعدَ بناء بيته الجليل ، أن ينادي [عبيده] إِلَىٰ الفضل الجزيل ؛ ليحط عنهم مولاهم كلَّ وِزر ثقيل ، فقَالَ ـ سبحانه وتعالَىٰ ـ : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالًا ﴾ [الحج : ٢٧] .

يا إبراهيم ! لله درُّ أقوام فارقوا ديارَهم ، وعانقوا افتقارَهم ، وآثرُوا غبارَهم ، وطهروا أسرارَهم ، يدعون عند البيت قريباً سميعاً ، ويقفون بين يديه بالذلِّ جميعاً ، ويسعَوْن في رضائه سعياً سريعاً ، وقد وَدَّعوا مطلوب شهواتهم توديعاً ، هجروها لِكُدورها وهاجروا إِلَىٰ الصفا ، وقصدوا المروة بعد أن أتمُّوا الصفا ، وحَذِروا الردَّ ، وخافوا الجفا ، وتعلقت آمالهم[1] بمن هو حسبهم وكفىٰ .

---

(١) في الأصل : « أموالهم » .

نــــادِ زُوَّاري أَنـــــا أَدْعُـــــوهُــــمُ
نَحْـــوَ بَيْتــــي لينـــالُــــوا شَـــرَفَــــا
فَهْمُـــــو وَفْــــدٌ[1] إِذَا مـــا نَـــزَلُــــوا
بِحَــــرِيمِـــــي أَوْ دَنَـــوْا مُـــزْدَلِفَــــا[2]
وَلَهُـــــمْ عِنْـــدِ[ي] مَـــزِيــــدٌ لَهُـــمُ
مِـــنْ نَــوَالِـــي مـــا أَحَبُّـــوا طُـــرَفَـــا
فَـــارَقُـــوا أَوْطَـــانَهُــــمْ إِذْ قَصَـــدُوا
نَحْـــوَ بَـــابــي يَطْلُبُـــونَ الـــزُّلَفَـــىٰ
فَلَهُـــــمْ مِنِّـــــيَ مَهْمـــــا أَمَّلُـــــوا
سَلَفـــاً يَنْمِـــــي وَيُنْشِـــــي خَلَفَـــــا

قد أحرمَ القومُ عن الحلال ، فأحْرِموا أنتم عن الحرام ، منعوا أنفسهم من الطِّيب ، فاحذروا أنتم جيفةَ[3] الهوىٰ ، يا حسنَهم ، وقد نزعوا المَخيط ، ونزعوا عن التضييع والتفريط ، وملؤوا بالتضرع البسيط ، فارقوا لأجلِ مولاهم أولادَهم ، وعرَّوْا عن رقيق[4] الثياب أجسادَهم ، وتركوا في مرضاة محبوبهم مرادَهم ، فأصبحوا قد أعطاهم مولاهم ، وأمسَوا قد أفادهم[5] .

---

(١) في الأصل : « وفود » .
(٢) في الأصل : « من مزدلفا » .
(٣) في الأصل : « حقيقة » .
(٤) في الأصل : « ريق » .
(٥) في الأصل زيادة : « استسعاهم » ، وفي « التبصرة » لابن الجوزي (٢ / ١٤٩) ، =

تشَــــاغَــــلَ قَــــومٌ بِــــدُنْيَــــاهُــــمُ
وَقَــــوْمٌ تَخَلَّــــوْا لِمَــــوْلاهُــــمُ

فَــــأَلْــــزَمَهُــــمْ بَــــابَ مَــــرْضَــــاتِــــهِ
وَعَــــنْ سَــــائِــــرِ الخَلْــــقِ أَغْنَــــاهُــــمُ

فَمَــــا يَعْــــرِفُــــونَ سِــــوَىٰ حُبِّــــهِ
وطَــــاعَتِــــهِ طُــــولَ مَحْيَــــاهُــــمُ

يُقِيمُــــونَ بِــــاللَّيْــــلِ أَبْــــدَانهــــم
وَعَيْــــنُ المُهَيْمِــــنِ تَــــرْعَــــاهُــــمُ

وَطَــــوْراً يُنَــــاجُــــونَــــهُ سُجَّــــداً
وَيَبْكُــــونَ طَــــوْراً خَطَــــايَــــاهُــــمُ

إِذَا فَكَّــــرُوا فِــــي الَّــــذِي [أَ]سْلَفْــــوا
أَذَابَ القُلُــــوبَ وَأَبْكَــــاهُــــمُ

وَإِنْ يَكُــــنِ الخَــــوْفُ لاذُوا بِــــهِ
وَبَــــاحُــــوا إِلَيْــــهِ بِشَكْــــوَاهُــــمُ

وَأَضْحَــــوْا صِيَــــامــــاً عَلَــــىٰ جَهْــــدِهِــــمْ
تَبَــــارَكَ مَــــنْ هُــــوَ قَــــوَّاهُــــمُ

هُــــمُ القَــــوْمُ طَــــاعُــــوا مَلِيــــكَ الملــــوك
صُــــدْقُ القُلُــــوبِ فَــــوَالاهُــــمُ

= وعنه ينقل المصنف هٰذه الجمل : « وأمسوا قد أفادهم ، استسعاهم إليه فاجتهدوا . . . . . » .

هُــمُ المُخْبِتُــونَ بِنِيَّــاتِهِــمْ
أَرَادُوا رِضَــا[ه] فَــأَعْطَــاهُــمُ
وَأَسْكَنَهُــمْ فــي فَسِيــحِ الجِنَــانِ
وَأَعْلَــىٰ المَنَــازِلِ بَــوَّاهُــمُ
فَنَــالُــوا المُــرَادَ وَفَــازُوا بِــهِ
فَطُــوبَــىٰ لَهُــمْ ثُــمَّ طُــوبَــاهُــمُ

وذُكر عن مالكِ بن أنسٍ ، قَالَ : صحبتُ جعفراً الصادق ، فلما أراد أن يلبي ، تغيّر وجهُه ، وارتعدت فَرائصُه ، فقلت : ما لكَ يا بنَ رسولِ ٱلله ؟ ! فقَالَ : أردتُ أن ألبي ، قلت : وما توقُّفُكَ ؟ قَالَ : أخاف أن أسمع غير الجواب .

وقَالَ سَرِيٌّ : لقيت في طريق الحج جاريةً حبشية ، فقلت : إِلَىٰ أين ؟ قَالَت : الحج ، قلت : الطريقُ بعيد ، فقَالَت : بعيدٌ علىٰ الكسلان ، وأما المشتاقُ ، فهو عليه قريب ، ثم قَالَت : يا سَرِيُّ ! ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج : ٦ ـ ٧] ، فلما وصلت إِلَىٰ البيت ، رأيتها تطوف كالفتىٰ الشاطر ، فنظرَتْ إليه ، فقَالَت : أنا تلكَ العبدةُ ، لما جئتهُ بضعفي ، حملَني بقوّته(١) .

إخواني ! مُدُّوا إليه أيدي الاعتذار ، وقوموا علىٰ بابه بالذلِّ والانكسار ؛ كما قيل :

---

(١) انظر : « التبصرة » لابن الجوزي (٢ / ١٥٠) .

لَئِــنْ لَــمْ أَحُــجَّ البَيْــتَ إِذْ شَــطَّ رَبْعُــهُ
حَجَجْـتُ إِلَـىٰ مَـنْ لا يَغِيـبُ عَـنِ الفِكْـرِ
فَــأَقْلَعْــتُ مِــنْ وَقْتِــي بِخَلْــعِ شَمَــائِلِــي
أَطُــوفُ وَأَسْعَــىٰ فِــي اللَّطَــائِــفِ وَالبِــرِّ
صَفَـا[ي] صَفَـائِـي عَـنْ صَفَـاتِـي وَمَـرْوَتِـي
مُــرُوءَةُ قَلْــبٍ عَــنْ سِــوَىٰ حُبِّــه قَفْــرِ
وَفــي عَــرَفَــاتِ الأُنْــسِ بِــٱللهِ مَــوْقِفِــي
وَمُــزْدَلَفِــي الــزُّلْفَــىٰ لَـدَيْـهِ إِلَـىٰ الحَشْــرِ
وَبَــثُّ المُنَــىٰ مِنِّــي مَبِيتِــيَ فــي مِنَــىٰ
وَأَرْمِي جِمَارِي جَمْرَ شَوْقِيَ في صَدْرِي

سبحانَ مَنْ إِلَىٰ بيته حملَهم ، وبفِنائِه أنزلَهم ، وإِلَىٰ حرمِه أوصلَهم ، وبإخلاصِ قصده جَمَّلَهم ، فلقد جمعَ الخير الجَمَّ لهم ، ليشهدوا منافع لهم .

إخواني ! إن لم نصل إِلَىٰ ديارهم ، فلنصلِ انكسارَنا بانكسارهم ، إن لم نقدر علىٰ عرفات ، فلنستدركْ ما قد فات ، إن لم نصل إِلَىٰ الحجر ، فَلْيَلِنْ كلُّ قلب حجر ، إن لم نقدر علىٰ ليلة جَمْع ومنىٰ ، فلنقم بمأتم الأسف هـٰهنا .

من لم يتب في هـٰذا اليوم ، فمتىٰ ينيب ؟ ومن لم يُجِبْ في هـٰذا الوقت ، فمتىٰ يجيب ؟ ومن لم يعرف بالتوبة ، فهو غريب ، ومن لم يقرَّ بالعفو ، فما له من نصيب .

أسفاً لعبدٍ لم يغفر له اليوم ما جنىٰ ، كلَّما همّ بخيرٍ ، نقض الطرد

ما بنىٰ ، حضر موسمُ الأرباح ، فما حصَّل خيراً ، وما اقتنىٰ ، وضلّ الفلاح ، فما مَدَّ كفّاً ولا جنىٰ ، ليت شعر[ي] مَنْ مِنَّا خاب ، ومن منا نال المنىٰ .

فيا إخواني ! إن فاتنا نزولُ منىٰ ، فلننزِلْ دموعَ الحسرات هٰهنا ، وكيف لا نبكي ، ولا ندري ما يُراد بِنا ، وكيف بالسكون ، ولا نعلم ما عنده لنا (١) .

اللَّهُمَّ ! إنا نقف علىٰ الأقدام ؛ كقيام القاصدين البيت الحرام ، يا غافر الذنوب ! اغفر ذنوبنا ، ويا ساتر العيوب ! استر عيوبنا ، يا كاشف الكروب ! اكشف كروبنا ، يا منتهىٰ الآمال ! بلِّغنا مطلوبنا .

* * *

فصل

صيام شهر ذي الحجة ، وعشرِه مستحبٌّ ، وفيه أحاديثُ كثيرة ، قد مضت ، وكذا قيامُه .

* * *

فصل

يوم عرفةَ صومُه مستحبٌّ لغير الحاجِّ ، فأما الحاجُّ ، فلا يستحب له ؛ ليتقوىٰ علىٰ الدعاء .

عن رسول الله ﷺ ، قَالَ : « خَيْرُ الدُّعَاءِ [دُعَاءُ] يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ

---

(١) في الأصل : « ما عندنا » بدل « ما عنده لنا » .

ما قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[1] .

* * *

فصلٌ

يومُ النحر يومُ عيد ، يحرُمُ صومُه ، وإن قَصَدَ صيامَه كان عاصياً ، ولا يأكل في يوم النحر إلا بعدَ الصلاة ، والغسلُ فيه مستحبٌّ ، وقيل : واجب ، والتبكير إليها بعد الصبح ماشياً علىٰ أحسن هيئة .

وتُسَنُّ الصلاةُ في الصحراء ، وتُكره [في] الجامع إلا من عذر ، ويكبر في الأولىٰ سِتاً ، وفي الثانية خمساً ، ويرفع يديه مع كل تكبيرة ، ويقول : ٱلله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان ٱلله بكرة وأصيلاً ، وصلىٰ ٱلله علىٰ سيدنا محمد النبي وآله ، وسلم تسليماً .

ويقر[أ] في الأولىٰ بـ(سبح) ، وفي الثانية بـ(الغاشية) ، ويجهر بالقراءة ، ولا يتطوع في موضعها ، ومن فاتته الصلاة قضىٰ علىٰ صفتها ؛ وعنه : أربع ، وعنه : مخيّر بين ركعتين وأربع .

ويكبر من الفجر يومَ عرفة إِلَىٰ العصر من آخر أيام التشريق ، إلا المحرِم ؛ فإنه يكبر من عصر يوم النحر ، والتكبير شَفْعاً .

* * *

فصل

الأضحية سنة مؤكدة ، ولا تجب إلا بالنذر ، وذبحُها أفضل من

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٨٥) عن عبد ٱلله بن عمرو بن العاص رضي ٱلله عنهما .

الصدقة بثمنها ، والأفضل إبلٌ ، ثم بقرٌ ، ثم غنمٌ ، وذكرٌ وأنثىٰ سواء .

ويؤخذ من ضأن ما له ستةُ أشهر ، وثنيُ ما سواه ، وثنيُ الإبل ما له خمس سنين ، والبقر سنتان ، والمعز سنة .

ويأكل ثلثَها ، ويُهدي ثلثها ، ويتصدق بثلثها ، وإن أكل أكثرَ ، جاز ، وإن أكلها كلَّها ، ضمن .

ومن كان يضحي ، ودخل العشر ، فلا يأخذ من شعره ، ولا بشرته شيئاً .

وهل هو حرامٌ ؟ علىٰ روايتين .

ولا يعطي الجازرَ بأجرته شيئاً منها .

* * *

فصلٌ

العقيقة سُنَّةٌ مؤكَّدة ؛ شاتين عن غلام ، وشاة عن جارية في سابِعِه ، فإن فات ، ففي رابع عشر ، فإن فات ، ففي أحد وعشرين ، ويحلق رأسه ، ويتصدق بوزنه وَرِقاً ، وينزعها أعضاء ، ولا يكسر عظمها ، وحكمُها كحكم الأضحيّة .

* * *

فصلٌ

أيامُ التشريق لا يجوز صومُها تطوعاً ، وفي فرض : روايتان .

ويُسن التكبير في أيام التشريق ، وتذبح الأضحية في أيام التشريق .





في ذكر يوم عاشوراء

في « الصحيحين » عن ابن عباسٍ : أنه سُئل عن صيامِ عاشوراءَ ، فقَالَ : ما رأيتُ رسولَ ٱلله ﷺ صامَ يوماً يتحرَّىٰ[1] صومَه علىٰ الأيام ، إلا هـٰذا اليوم ـ يعني : يوم عاشوراء[2] ـ .

يوم عاشوراء له فضيلةٌ عظيمة ، وحرمتُه قديمة ، وصومُه لفضله غَنيمة .

عن أبي هريرةَ ، عن رسول ٱلله ﷺ ، قَالَ : « يَوْمُ عَاشُوراءَ كَانَتْ تَصُومُهُ الأَنْبِيَاءُ ، فَصُومُوهُ أَنْتُمْ »[3] .

وقد كانت أهلُ الكتاب تصومه ، وكذٰلك قريشٌ في الجاهلية .

وفي « الصحيحين » عن ابن عباس ، قَالَ : قدمَ رسولُ ٱلله ﷺ [المدينة] فوجد اليهودَ صياماً يومَ عاشوراء ، فقَالَ لهم رسولُ ٱلله ﷺ :

---

(١) في الأصل : « يرتجي » .

(٢) رواه البخاري (١٩٠٢) ، ومسلم (١١٣٢) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٣٥٥) ، وإسناده جيد .

« مَاهـٰذا الَّذِي تَصُومُونَهُ ؟ » ، قَالَوا : هـٰذا يومٌ عظيم ، أنجىٰ ٱلله فيه موسىٰ وقومَه ، وأغرقَ فرعونَ وقومَه ، فصامه موسىٰ شكراً ، فنحن نصومُه ، فقَالَ رسول ٱلله ﷺ : « نحن أحقُّ وأ[و]لىٰ بموسىٰ منكم »[1] .

وفي « الصحيحين » عن سلمةَ بن الأكْوَع : أن رسولَ ٱلله ﷺ أمر رجلاً أن يؤذِّنَ في الناس : « مَنْ أَكَلَ ، فَلْيَصُمْ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْ ، فَلْيَصُمْ ؛ فَإِنَّ اليَوْمَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ »[2] .

وفي « صحيح مسلم » عن ابن عباسٍ : أنه قَالَ : حين صام رسولُ ٱلله ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه ، قَالَ : يا رسول ٱلله ! إن اليوم تعظِّمـه اليهـودُ والنصـارىٰ ، فقَـالَ رسـول ٱلله ﷺ : « فَـإِذَا كَـانَ العَـامُ المُقْبِلُ ـ إِنْ شَاءَ ٱلله تَعَالَىٰ ـ صُمْنَا التَّاسِعَ ، وَالعَاشِرَ » ، فلم يأتِ العامُ المقبلُ حَتَّىٰ تُوفي رسولُ ٱلله ﷺ[3] .

وروي بإسناده عن طاوسٍ : أنه كانَ يصومُ عاشوراءَ في الحضر[4] .

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٠) ، ومسلم (١١٣٠) .

(٢) رواه البخاري (١٩٠٣) ، ومسلم (١١٣٥) .

(٣) رواه مسلم (١١٣٤) .

(٤) كذا في الأصل ، والمصنف ينقل عن ابن رجب في « لطائف المعارف » (ص : ١١٠) حيث قال : « وكان طائفة من السلف يصومون عاشوراء في السفر » ، ثم ذكر أن عبد ٱلرزاق روىٰ بإسناده عن طاوس ما نقله المصنف هنا .

فصلٌ

ومن أعجب ما ورد في عاشوراء : أنه كان يصومه الوحش ، والهوامُّ .

وروي عن فتح بن شخرف ، قَالَ : كنتُ أفتُّ للنملِ الخبزَ كلَّ يوم ، فلما كان يوم عاشوراء ، لم يأكلوه .

وروي عن القادر بٱلله ـ الخليفة العباسي ـ : أنه جرىٰ له مثلُ ذٰلك ، فعجب منه ، فسأل أبا الحسنِ القزوينيَّ ، فذكر له أن يوم عاشوراء يصومُه النمل .

ورویٰ أبو موسىٰ المدينيُّ بإسناده عن قيسِ بن عبادٍ ، قَالَ : بلغني أن الوحش كانت تصومه .

وبإسناده ، عن رجلٍ أتىٰ إِلَىٰ البادية يومَ عاشوراء ، فرأىٰ قوماً يذبحون ذبائح ، فسألهم عن ذٰلك ، فأخبروه أن الوحشَ صائمةٌ ، وقَالَوا : اذهبْ بنا نُرِكَ ، فذهبوا به إِلَىٰ روضة ، فأوقفوه ، قَالَ : فلما كان بعدَ العصر ، جاءت الوحوشُ من كل وجهٍ ، فأحاطتْ بالروضة ، رافعةً رؤوسها إِلَىٰ السماء ، ليس شيء منها يأكل ، حَتَّىٰ إذا غربت الشمس ، أسرعت جميعاً ، فأكلت .

وعن عبد ٱلله بن عمرٍو ، قَالَ : بين الهند والصين أرضٌ بها بطةٌ من نحاس علىٰ عمودٍ من نحاس ، فإذا كان يومُ عاشوراء ، مدَّت منقارها ، فيفيض منه ماءٌ يكفيهم لزرعهم ومواشيهم إِلَىٰ العام المقبل .

رئي بعض المتقدمين في المنام ، فسئل عن حاله ، فقَالَ : غفر لي بصيام يوم عاشوراء ستين سنة[1] .

* * *

فصلٌ

وأما الصدقة ، فرُوي : مَنْ تَصَدَّق فيه ، كان كصدقةِ السنةِ[2] .

* * *

فصلٌ

وأما التوسع فيه علىٰ العيال ، فقد رُوي : « مَنْ وَسَّعَ عَلَىٰ أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَسَّع ٱلله عَلَيْهِ سَائِرَ السَّنَةِ »[3] .

* * *

(١) انظر هـٰذا الفصل كاملاً في « لطائف المعارف » لابن رجب (ص : ١١٠ ـ ١١١) .

(٢) رواه أبو موسىٰ المديني كما ذكر الحافظ ابن رجب في « لطائف المعارف » (ص : ١١٢ » .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠٠٠٧) ، وابن عدي في « الكامل في الضعفاء » (٥ / ٢١١) ، عن ابن مسعود رضي ٱلله عنه ، وإسناده ضعيف .

فصلٌ

روي عن النبي ﷺ ، قَالَ : « هـٰذا يَوْمٌ تَابَ ٱللهُ فِيهِ عَلَىٰ قَوْمٍ ، فَاجْعَلُوهُ صَلاةً ، وَصَوْماً ـ يعني : عاشوراء ـ »[1] .

ورویٰ[2] بإسناده ، عن عليٍّ ، قَالَ : يومُ عاشوراءَ هو اليوم الذي تِيبَ فيه علىٰ قومِ يونسَ .

وعن ابن عباس ، قَالَ : هو اليومُ الذي تِيب علىٰ آدَمَ .

وعن وَهْبٍ : أن ٱللهَ أوحىٰ إِلَىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : أَنْ مُرْ قومك يتقربون إليّ في أول العشر من محرم ، فإذا كان يوم العاشر ، فليخرجوا إليَّ حَتَّىٰ أغفرَ لهم .

كتب عمرُ بن عبد العزيزِ إِلَىٰ الأمصار كتاباً ، وقَالَ فيه : قولوا كما قَالَ أبوكم آدَمُ : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وقولوا كما قَالَ نوحٌ : ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [هود : ٤٧] .

وقـولـوا كمـا قَـالَ مـوسـىٰ : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص : ١٦][3] .



(١) رواه أبو موسىٰ المديني ، كما نقله ابن رجب في « لطائف المعارف » (ص : ١١٤) ، قال أبو موسىٰ : حسن غريب ، قال ابن رجب : وليس كما قال .

(٢) أي : أبو موسىٰ المديني ، والكلام لابن رجب في « اللطائف » (ص : ١١٤) .

(٣) انظر : « لطائف المعارف » لابن رجب (ص : ١١٤ ـ ١١٥) .

فصلٌ

لما ظهر فضلُ آدمَ علىٰ الخلائق بسجود الملائكة له ، وبتعليمه [أسماء] كلِّ شيء ، وسكَنَ هو وزوجتُه الجنة ، ظهر الحسدُ من إبليس ، وسعىٰ في الأذىٰ ، فما زال يحتال علىٰ آدمَ ، حَتَّىٰ تسبب في إخراجه من الجنة ، وما فهم أنّ آدمَ إذا خرج منها ، كملَتْ فضائله ، ثم عاد إليها أكملَ من حاله الأول .

إنما أهلك إبليسَ العُجبُ بنفسه ، ولذٰلك قالَ : ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ ، وإنما كملت فضائلُ آدمَ باعترافه علىٰ نفسه ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف : ٢٣] .

قَالَ بعض السلف : آدمُ خرجَ من الجنة بذنبٍ واحد ، وأنتم تعملون الذنوب ، وتُكثرون منها ، وتريدون أن تدخلوا الجنة ؟ !

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَىٰ الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي
دَرَجَ الجِنَانِ بِهَا وَفَوْزَ العَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ ٱللهَ أَخْرَجَ آدَماً
مِنْهَا إِلَىٰ الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

إخواني ! احذروا هٰذا العدوَّ الذي أخرج أباكم آدمَ من الجنة ، فإنه ساعٍ في منعكم من العود إليها بكل سبيل ، والعداوةُ بينكم وبينه قديمة .

العجبُ ممن عرف ربَّه ، ثم عصاه ، وعرفَ الشيطان ، ثم أطاعه ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف : ٥٠] .

فَحَـــيَّ عَلَـــىٰ جَنَّـــاتِ عَـــدْنٍ فَـــإِنَّهَـــا
مَنَـــازِلُـــكَ الأُولَـــىٰ وَفِيهَـــا المُخَيَّـــمُ
وَلٰكِنَّنَـــا سَبْـــيُ العَـــدُوِّ فَهَـــلْ تُـــرَىٰ
نَعُـــودُ إِلَـــىٰ أَوْطَـــانِنَـــا وَنُسَلَّـــمُ

قَالَ بعض السلف : بلغنا أن دُورَ الجنة تُبنىٰ بالذِّكر ، فإذا أمسك عن الذكر ، أمسك عن البناء ، فيقا[ل] لهم ؛ فيقولون : حَتَّىٰ تأتينا نفقة .

رأىٰ بعض الصالحين في منامه قائلاً يقول له : قد أمرنا بالفراغ من بناء دارك ، واسمها : دار السرور ، وقد أمرنا بتنجيدها وتزيينها ، والفراغ منها إِلَىٰ سبعة أيام . فلما كان بعد سبعة أيام ، مات ، فرئي في المنام ، فقَالَ : دخلتُ دارَ السرور ، وأنا في سرور ، فلا تسأل ما فيها .

لم يُر مثلُ الكريمِ إذا حلّ به مطيعٌ .

ورأىٰ بعضهم كأنه قد دخل الجنة ، وعُرض علىٰ منازله وأزواجه ، فلما أراد أن يخرج ، تعلّق به أزواجه ، وقَالَوا : بٱلله ! حَسِّنْ عملَك ، فكلما حسَّنْت عملَكَ ، ازددْنا نحن حُسناً [١] .

❐ ❐ ❐

---

(١) انظر : « لطائف المعارف » لابن رجب (ص : ١١٦ ـ ١٢١) .

فصلٌ

كم لله من لطفٍ وحكمةٍ في إهباطِ آدمَ إِلَىٰ الأرض ، لولا نزولُه لما جاهد المجاهدون ، ولا نزلت قطرةٌ من دموع المذنبين .

يا آدم ! إن كنت أُهبطت من دار القرب ، ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، إن كان حصل لك بالإخراج من الجنة كسرٌ ، فأنا عند المنكسِرَةِ قلوبُهم من أجلي ، إن كان فاتك في السماء سماعُ المسبِّحين ، فقد تعوّضت في الأرض بسماع أنين [المذنبين] ، [أنين المذنبين] أحبُّ إلينا من زَجَلِ المسبِّحين ، زجلُ المسبحين ربّما يشوبه الافتخار ، وأنينُ المذنبين يزينه الإنكسار ، « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا ، لَذَهَبَ ٱللهُ بِكُمْ ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ »[1] .

عَوْدٌ إِلَىٰ الوَصْلِ عَوْدُ
فَالهَجْرُ[2] صَعْبٌ شَدِيدُ[3]

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٩) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٢) في الأصل : « فالجهر » .

(٣) انظر : « لطائف المعارف » لابن رجب (ص : ١٢٢ ـ ١٢٣) .

قلْـــــتُ وَقَلْبِـــــي أَسِيــــــرُ وَجْـــــدٍ
مُتَيَّـــــمٌ فـــــي الجَفَـــــا عَمِيـــــدُ

أَنْتُـــــمْ لَنَـــــا فِـــــي الهَـــــوىٰ مَـــــوَالٍ
وَنَحْـــــنُ فـــــي أَسْـــــرِكُـــــمْ عَبِيـــــدُ

عن أبي هريرةَ ، قَالَ ، سمعتُ رسولَ ٱللهِ ﷺ يقول : « أَفْضَلُ الصَّوْمِ بَعْدَ رَمَضَانَ ، شَهْرُ ٱللهِ الَّذِي تَدْعُونَهُ : المُحَرَّمَ »[1] .

قَالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « صَوْمُ يَوْمِ عَاشُوراءَ يُكَفِّرُ العَامَ الَّذِي قَبْلَهُ » أفرده مسلم[2] .

كأنك بما يزعج ويروع ، وقد قلع الأصول وقطع الفروع .

يا نائماً إِلَىٰ كَمْ هـٰذا الهجوع ، إِلَىٰ متىٰ بالهوىٰ هـٰذا [الـ]ـولوع .

أينفعُك وقتَ الموتِ الدموع ، هيهاتَ لا ينفع الذلُّ إذاً والخضوع

تقول : فَرِّقوا المال ، فالعجبُ لجودِ المَنُوع ، هـٰذا ومَلَكُ الموتِ يسلُّها من بين الضلوع ، وأخلت منك المساكنُ وأخلت الربوع ، ونابَ غرابُ البينِ عن الورقاءِ السَّجوع ، وتمنيتَ لو زدتَ من السجود والركوع ، فاحذر مكرَ العدوِّ ، ولا تقبل قولَ الخَدوع .

ضَيَّعْـــتَ وَقْتَـــكَ فَـــانْقَضَـــىٰ فـــي غَفْلَـــةٍ
وَطَـــوَيْـــتَ فـــي طَلَـــبِ الخَـــوَادِعِ أَدْهُـــرَا

---

(١) رواه النسائي (١٣١٢) .

(٢) رواه مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رضي ٱلله عنه .

أَفَهِمْـــتَ عَـــنْ هـٰـــذا الـــزَّمَـــانِ جَـــوَابَـــهُ
فَلَقَـــدْ أبـــانَ لَـــكَ العِظَـــاتِ وَكَـــرَّرَا
عَـــايَنْـــتَ مَـــنْ مَـــلأَ الصُّـــدُورَ مَخَـــافَـــةً
وَكَفَـــاكَ مـــا عَـــايَنْتَـــهُ مَـــنْ أَخْبَـــرَا

يا عجباً كيف أنسَ بالدنيا مفارقُها ، وأمِنَ النارَ واردُها ، كيف يغفل من لا يُغفَلُ عنه ؟ كيف يفرح بالدنيا مَنْ يومُه يهدمُ شهرَه ، وشهرُه يهدم سنتَه ، وسنتُه تهدم عمرَه ؟

إخواني ! الدنيا في إدبار ، وأهلها منها في استكثار .

أين الذين ملكوا ، ونالوا ؟ زالوا سبقوك يا هـٰذا وٱلله إلَىٰ ما إليه آلوا .

أين المغرورون بالآل ؟ آلوا إلَىٰ الشتات . أين المسرورون بالمال ؟ مالوا إلَىٰ الكفات .

ظِـــلٌّ مِـــنَ الـــدُّنْيـــا تَقَلَّـــصَ زَائِـــلاً
وَمَتَـــىٰ يُـــذَاقُ عَلَـــىٰ جَنَـــاهَـــا العَلْقَـــمُ
مـــا هـٰـــذِهِ الآمَـــالُ إلا رَقْـــدَةٌ
فِيهَـــا بِـــأَضْغَـــاثِ الأَمَـــانِـــي تَحْلُـــمُ[١]

❐ ❐ ❐

(١) انظر : « التبصرة » لابن الجوزي (٢ / ٩ ـ ١٠) .

فصلٌ

قَـالَ رسـول ٱلله ﷺ : « الحَسَـنُ وَالحُسَيْـنُ سَيِّـدَا شَبَـابِ أَهْـلِ الجَنَّةِ »[1] .

وروىٰ عبد ٱلله بن نُجَيٍّ ، عن أبيه : أنه سارَ مع عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وكان صاحبَ مطهرتِه ، فلما حاذىٰ نينوىٰ ، وهو منطلقٌ إلىٰ صفّين ، نادىٰ عليٌّ : اصبرْ أبا عبد ٱلله بشطِّ الفرات ، قلت : وما ذاكَ ؟ قَالَ : دخلتُ علىٰ النبيِّ ﷺ ذاتَ يوم ، وعيناه تَفيضان ، قلت : يا نبيَّ ٱلله ! أغضبكَ أحدٌ ؟ قَالَ : « لا » ، قلت : ما شأنُ عينيكَ تفيضان ؟ قَالَ : « أَقَامَ عِنْدِي جِبْرِيلُ ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الحُسَيْنَ يُقْتَلُ بِشَطِّ الفُرَاتِ ، وَقَالَ لِي : هَلْ لَكَ أَنْ أُشِمَّكَ مِنْ تُرْبَتِهِ ؟ ! قُلْتُ : نَعَمْ ، فَمَدَّ يَدَهُ ، فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ ، فَأَعْطَانِيهَا ، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ أَنْ فَاضَتَا »[2] .

أَبْكِـــــي قَتِيـــــلاً بِكَـــــرْبَـــــلاءِ
مُضَـــرَّجَ الجِسْـــمِ بِـــالـــدِّمَـــاءِ

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٦٨) عن أبي سعيد الخدري رضي ٱلله عنه ، وابن ماجه (١١٨) عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » (١ / ٨٥) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٦٣) .

أَبْكِـــــي قَتِيــــلَ الطُّغَـــاةِ ظُلْمـــاً
بِغَيْـــرِ جُـــرْمٍ سِـــوَىٰ الـــوَفَـــاءِ
أَبْكِـــــي قَتِيــــلاً بَكَـــىٰ عَلَيْـــهِ
حُـــزْنـــاً بَنُـــو الأَرْضِ وَالسَّمَـــاءِ

روينا : أن صخرةً وجدت قبل مبعث رسول ٱلله ﷺ بثلاث مئة سنة ، وعليها مكتوب باليونانية :

أَيَـــرْجُـــو مَعْشَـــرٌ قَتَلُـــوا حُسَيْنـــاً
شَفَـــاعَـــةَ جَـــدِّهِ يَـــوْمَ الحِســـابِ

ويحَ قاتل الحسين ! كيف حالُه مع أبويه ، وجده ؟!

إخواني ! بٱلله عليكم ! من قبح علىٰ يوسفَ ، بأيِّ وجهٍ يلقىٰ يعقوب ؟

لا بُـــدَّ أَنْ تَـــرِدَ القِيَـــامَـــةَ فَـــاطِـــمٌ
وَقَمِيصُهـــا بِـــدَمِ الحُسَيْـــنِ مُلَطَّـــخُ
وَيْـــلٌ لِمَـــنْ شُفَعَـــاؤُهُ خُصَمَـــاؤُهُ
وَالصُّـــورُ فـــي يَـــوْمِ القِيَـــامَـــةِ يُنْفَـــخُ(١)

❒ ❒ ❒

---

(١) انظر : « التبصرة » لابن الجوزي (٢ / ١٣ ـ ١٧) .

فصلٌ

يومُ عاشوراء صومُه مستحب ، وفيه أحاديثُ كثيرة ، وهو مستحبٌّ أيضاً في السفر ، وهـٰذا يدل علىٰ فضله ؛ لأن الواجب يستحبُّ تركُه في السفر ، ويستحبُّ مخالفة اليهود والنصارىٰ فيه .

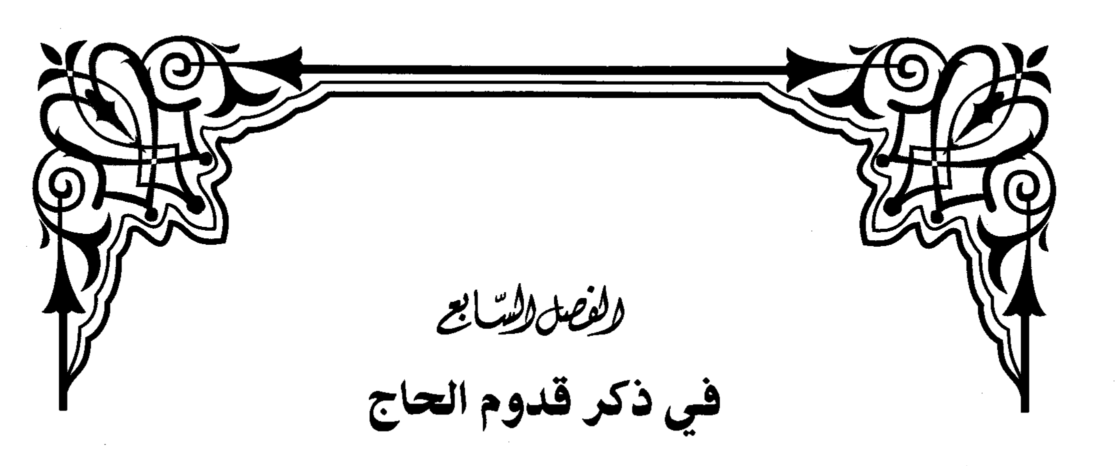
وجاء في الحديث : « صُومُوا قَبْلَهُ يَوْماً ، أَوْ بَعْدَهُ »[1] ، فهل هـٰذا شكٌّ من الراوي ، أو هي للتخيير ؟ علىٰ قولين[2] .

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (١ / ٢٤١) من حديث ابن عباس رضي ٱلله عنهما .

(٢) انظر : « لطائف المعارف » لابن رجب (ص : ١٠٨) .



الفصل السّابع

في ذكر قدوم الحاج

في « الصحيحين »: عن النبي ﷺ قَالَ : « مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[(١)] .

وفي « مسند أبي يعلىٰ الموصلي » : عن النبي ﷺ ، قَالَ : « مَنْ قَضَىٰ نُسُكَهُ ، وَسَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَما تَأَخَّرَ »[(٢)] .

تابَ بعض من تقدَّم ، ونقض ، فهتف به هاتفٌ يقول :

سَأَتْرُكُ ما بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَاقِفاً
فَإِنْ عُدْتَ عُدْنَا وَالوِدَادُ مُقِيمُ
تُوَاصِلُ قَوْماً لا وَفَاءَ لِعَهْدِهِمْ
وَتَتْرُكُ مِثْلِي وَالحِفَاظُ قَدِيمُ

الحاجُّ إذا كان حجُّه مبروراً ، غُفر له ، ولمن استغفرَ له ، وشُفِّع فيمن شفع فيه .

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٩) ، ومسلم (١٣٥٠) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٢) ورواه عبد بن حميد في « المسند » (١١٥٠) عن جابر رضي ٱلله عنه .

وروي : أن ٱلله ـ عز وجل ـ يقول لهم يومَ عرفةَ : « أَفِيضُوا مَغْفُوراً لَكُمْ ، وَلِمَنْ شَفَعْتُمْ فِيهِ » .

وكذلك السلامُ علىٰ الحاجِّ ، ومصافحتهُ ، وطلبُ الدعاء منه .

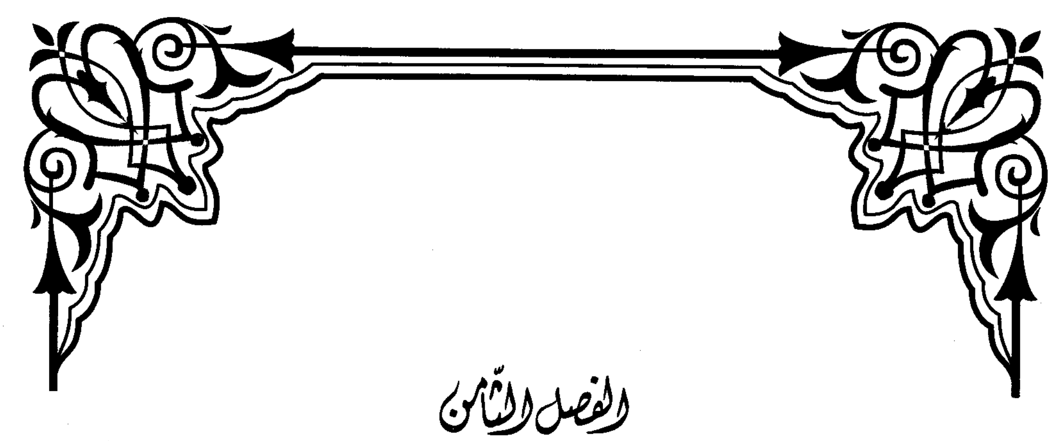
ما للمنقطعِ حيلةٌ سوىٰ التعلُّقِ بأذيال الواصلين .

هَلِ الدَّهْرُ يَوْماً بِوَصْلٍ[1] يَجُودُ
وَأَيَّامُنَا بِاللِّوىٰ هَلْ تَعُودْ
زَمَانٌ تَقَضَّىٰ وَعَيْشٌ مَضَىٰ
بِنَفْسِيَ وَٱللهِ تِلْكَ العُهُودْ
أَلا قُلْ لِزُوَّارِ ذَاكَ الحَبِيبِ
هَنِيئاً لَكُمْ فِي جِنَانِ الخُلُودْ
أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ فَيْضاً
فَنَحْنُ عِطَاشٌ وَأَنْتُمْ وُرُودْ

قيل لابن عمر : ما أكثر الحاجَّ ! فقَالَ : ما أقلَّهم[2] ! وقَالَ : الركبُ كثير ، والحاجُّ قليل[3] .

❐ ❐ ❐

(١) في الأصل : « بالوصال » .
(٢) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٨٨٣٦) .
(٣) انظر : « لطائف المعارف » لابن رجب (ص : ١٢٤ ـ ١٣٣) .



الفصل الثامن

في ذكر شهر صفر

فأما قولُ النبيِّ ﷺ : « لا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ ، وَالشُّؤْمُ في ثلاثٍ ؛ المَرْأَةِ ، وَالدَّارِ ، وَالدَّابَّةِ »[1] .

وفي حديثٍ عن عثمانَ ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ : « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ، وَيُمْسِي : بِاسْمِ ٱللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ، لَمْ يَضُرَّهُ بَلاءٌ »[2] .

قَالَ بعض السلف : شيطانُ الجنِّ تستعيذُ بٱللهِ منه ينصرفُ ، وشيطانُ الإنس لا يبرحُ حَتَّىٰ يوقعَكَ في المعصية ؛ فالعاصي مشؤوم علىٰ نفسِه ، وعلىٰ غيره .

طاعةُ ٱللهِ خيرُ ما اكتسبَ العبدُ ، فكن طائعاً لله تعالَىٰ ، ولا تعصِه .

---

(١) رواه البخاري (٢١٢) ، ومسلم (٢٢٢٥) عن ابن عمر رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه أبو داود (٥٠٨٨) ، والترمذي (٣٣٨٥) ، وابن ماجه (٣٨٦٩) .

شعر :

كَـمْ ذَا التَّمَـادِي فَهَـا قَـدْ جَـاءَنَـا صَفَـرُ
شَهْـرٌ بِـهِ الفَـوْزُ والتَّـوْفِيـقُ وَالظَّفَـرُ[1]
فَـابْـدَأْ بِمـا شِئْـتَ مِـنْ فِعْـلٍ تُسَـرُّ بِـهِ
يَـوْمَ المَعَـادِ فَفِيـهِ الخَيْـرُ يُنْتَظَـرُ
تُـوبُـوا إِلَـىٰ ٱللهِ فِيـهِ مِـنْ ذُنُـوبِكُـمُ
مِـنْ قَبْـلِ يَبْلُـغَ[2] فِيكُـمْ حَـدَّهُ العُمُـرُ[3]

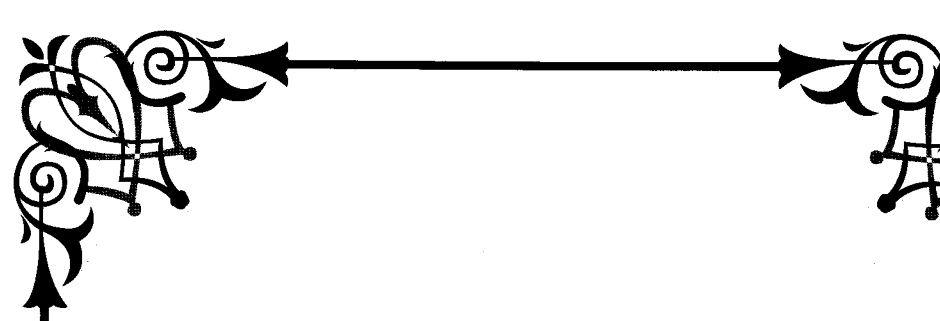
❐ ❐ ❐

---

(١) في الأصل : « النظر » .

(٢) في الأصل : « أن يبلغ » .

(٣) انظر : « لطائف المعارف » لابن رجب (ص : ١٤٩) .



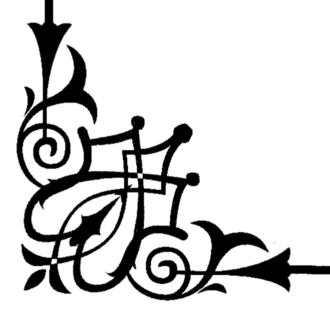
الفصل التاسع

في ذكر شهر ربيع الأول

وفيه فصلان :

الفصل الأول : في ذكر مولد النبي ﷺ .

الفصل الثاني : في ذكر رضاعه .





الفصل الأول

في ذكر المولد

خرّج الإمامُ أحمدُ من حديث العِرْباضِ بن سارِيَة السّلَمِيِّ ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ : « إِنِّي عبد ٱلله في أُمِّ الكِتَابِ ، خَاتَمُ النَّبيِّنَ ، وَإِنَ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ ، وَسَوْفَ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذٰلك : دَعْوَةُ أبي إِبْرَاهِيمَ ، وَبِشَارَةُ عِيسَىٰ قَوْمَهُ ، وَرُؤْيا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ ، أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ ، وَكَذٰلك أُمَّهاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ »[1] صحيح الإسناد .

وقد روي : أن آدمَ ﷺ رأىٰ اسمَ محمدٍ ﷺ مكتوباً علىٰ العرش ، وإن ٱلله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ لآدمَ : « لَوْلا مُحَمَّدٌ ما خَلَقْتُكَ »[2] .

وخرّج الإمامُ أحمدُ ، عن النبيِّ ﷺ : « أَنَّ أُمَّهُ قَالَتْ : إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ ، أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ »[3] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤ / ١٢٧ ـ ١٢٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٤١٧٥) .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤٢٢٨) ، قال الذهبي في تعليقه : موضوع .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤ / ١٢٧) ، عن العرباض بن سارية رضي ٱلله عنه .

نـــورُهَـــا كَـــالشَّمْـــسِ لَمَّـــا أَنْ بَـــدَتْ
وَبِـــأَحْمَـــدَ الهَـــادِي البَشِيـــرِ تَـــأَيَّـــدَتْ
عَلِمَـــتْ يَقِينـــاً أَنَّهَـــا قَـــدْ أَسْعَـــدَتْ
زَادَتْ مَحَـــاسِنُهَـــا جَمَـــالاً فَغَـــدَتْ
تَـــزْهُـــو عَلَـــىٰ الحُـــورِ الحِسَـــانِ بِـــأَنْجَـــلِ
قَـــالَـــتْ تَفَـــرُّحَـــاً وَعَيْشـــاً رَاضِيَـــا
وَحَـــوَتْ بِـــهِ شَـــرَفـــاً وَمَجْـــداً عَـــالِيـــا
وَسُـــرُورُ قَلْبِـــي لَـــمْ يَـــزَلْ مُتَـــوَالِيَـــا
وَغَـــدَا الـــوُجُـــودُ بِنُـــورِهِ مُتَـــلالِيَـــا
وَقُـــدُوم أَحْمَـــدَ فـــي رَبِيـــعِ الأَوَّلِ
فـــي الخَلْـــقِ طُـــرّاً مـــا لَـــهُ مِـــنْ مُشْبِـــهِ
سَـــادَ الأَنَـــامَ عِنَـــايَـــةً مِـــنْ رَبِّـــهِ
حَمَلَـــتْ بِمَـــنْ تَحْيَـــا القُلُـــوبُ بِحُبِّـــهِ
حَمْـــلاً خَفِيفـــاً لَـــمْ تَجِـــدْ أَلَمـــاً بِـــهِ
وَالنُّـــورُ فـــي أَثْنَـــائـــه لـــم يَثْقُـــلِ

* * *

فصلٌ

قَالَ القاضي عياض : شاهدت مولوداً ولد ، علىٰ أحد جنبيه مكتوبٌ : (لا إلـه إلا ٱلله) ، وعلىٰ الجنب الآخر (محمد رسول ٱلله) .

وروي بعض الأخبار : أن ببلاد النهر وَرْدٌ مكتوبٌ عليه بالأبيض : (لا إلـه إلا ٱلله ، محمد رسول ٱلله) .

* * *

فصلٌ

قيل : إن ٱلله خلق نورَ محمدٍ قبل العرشِ والكرسيِّ والسماوات والأرضِ ، فقام شخص من نور محمد ، فجعل يقول : سبحانَ العليِّ ، سبحانه وتعالَىٰ ، ثُمَّ أَذِنَ ٱلله تعالَىٰ لذاك الشخص أن يغتسل في بحر النور ، فاغتسل ، فقطر منه مئة ألف قطرة ، وأربع وعشرون ألف قطرة ، يخلق ٱلله من كل قطرة نبياً من الأنبياء ، وطاف بهم حول العرش ، وهو يقول ، وهم يقولون معه : سبحان مَنْ هو حليمٌ لا يعجَل ، سبحان مَنْ هو كريمٌ لا يبخل ، سبحان مَنْ هو ملكُه لا يزول ، سبحان من له الحمد ، سبحان ذي العرش المجيد ، سبحان الفعَّال لما يريد ، أرواح الأنبياء .

يسبح ٱلله تعالَىٰ فيها ، وهو يقول : سبحانَ الحيِّ الذي لا يموت ، سبحان الذي يميت الخلق ، لا إلـه ٱلله يحيي ويميت ، وهو حيٌّ لا يموت ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الملائكة والروح .

* * *

فصلٌ

قَالَ بعض السلف : ما بعث ٱلله نبياً إلا من الشام ، فإن لم يبعثه من

الشام ، هاجر إليها ، وفي آخر الزمان يستقر العلمُ والإيمان في الشام ، فيكون نورُ النبوة فيها [1] .

الحمد لله الذي خصنا بهٰذه الرحمة ، وأسبغَ علينا هٰذه النعمة ، وأعطانا ببركة نبينا هٰذه الفضائل الجمَّة ، فقَالَ لنا : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

يا مَنْ تبهرج بعملِه ! علىٰ مَنْ تُبهرجُ ، والناقدُ بصير ؟ يا مَنْ يسوِّفُ بطولِ أملِه ! إِلَىٰ كَمْ تسوِّفُ ، والعمرُ قصير ؟ .

* * *

فصل : ولادته

قيل : في ربيع الأول ، وقيل : رمضان ، وقيل : رجب ، والأولُ أصح .

واليومُ الذي ولد فيه في ربيع الأول ليس معيناً ، وهو يوم الاثنين ، وقيل : معيَّنٌ ، وقيل : لليلتين خلتا منه ، وقيل : لثمان ، وقيل : لعشر ، وقيل : لاثنتي عشرة ، وقيل : لسبع عشرة ، وقيل : لثمانٍ بقينَ منه ، وقيل : يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول [2] .



---

(١) انظر : « لطائف المعارف » لابن رجب (ص : ١٧٤) .

(٢) انظر : « لطائف المعارف » لابن رجب (ص : ١٨١ ـ ١٨٥) .



الفصل الثاني

في ذكر رَضاعه

قَالَت حَليمةُ : كنا أهلَ بيتٍ أشدَّ الناس فقراً ، وأكثرَهم جوعاً ، وكنا وقعنا في غلاء ، وكنا نأكل العظامَ والجلودَ المحرقةَ ، وكنت قد وَلَدْت مولوداً ، وكان لي سبعة أيام ، ما استطعمت فيها بطعام ، إني أتقوَّت بالحشيش ، وأنا أقنَعُ وأصبر ، وأحمدُ ٱلله علىٰ كل حال .

قَالَت : فدخل عليَّ نسوانُ العرب ، وقلن : يا حليمةُ ! قومي بنا إلَىٰ مكة نرضعْ أولادَ الأغنياء ، ليواسونا بشيء من النفع ، فقلت : قوموا معي ، وٱلله ! وأنا أيضاً : أُخبرت بدخولِ مكةَ في منامي .

فسبقني نسوانُ العرب ، فكان تحتي حمارٌ حضيض الماء في بطنه ، قد بدت عظامُه ، فخرج شخص من بين يديَّ من الجبلين ، وقَالَ لي : حليمة ! جدِّي سيرك ، وأنا ملك أمرني ربي بحفظك من كل شيطانٍ مَريد ، فقلت : ما أرىٰ حماري يمشي ، إن شيطاناً تعلق في ذنبه ، فضربه بحربة من نور ، فطار الحمار ، وذهب الشيطان .

وسرنا ، فكنت لا أمرُّ بحجر ولا شجر ، ولا شيءٍ إلا ينادي : هنيئاً

لك يا حليمةُ ، حَتَّىٰ وصلنا مكة ، وإذا عبد المطلب ينادي : يا معشرَ المراضع ! هل بقي منكن أحد ؟

فقلت : أَبركُ الأيامِ أيها السيد .

فقَالَ : أهلا بك وسهلاً يا حليمةُ .

فقَالَ : إن عنده ولد[اً] اسمه محمد ، عرضْتُه علىٰ أصحابِكِ ، فلم يقبلْنَ ، ويقلن : ما في اليتيم من الخير ، فهل لكِ أن تأخذيه ؟ قَالَت : حَتَّىٰ أشاور بعلي ، قَالَ : ادخلي الدار ، وتضيفي من أمه [. . .] ، فشاوري بعلَكِ ، فدخلتِ الدار ، فأضافتها أمُّه ، ورحَّبت فيها ، فقَالَت : بشرىٰ ولد مكة ، فقلت : نعم ، فأدخلتني الدارَ ، وكشفت عن وجهه ، فلمعَ منه نورٌ عظيم ، لحقَ عَنانَ السماء ، فوضعتُه في حِجْري ، فتبسَّم ضاحكاً ، فخرج نورُ النبوة من ثَغْره ، فامتلأ قلبي محبة ، فناولتُه ثديي الأيمنَ ، فشربه ، فناولته الأيسر ، فلم يشربْه ، فعلمتُ أنه مبارك ، فخرجتُ إِلَىٰ زوجي ، فقَالَ : خذيه ، فقضيتُ حوائجي ، وقصدتُ منزلَ آمنةَ ، فأخذتُه ، واللهُ قدَّره عليَّ بقضائه ، يحكم ما يريد ، ولا مانع لحكمه .

❐ ❐ ❐



الفصل العاشر

في ذكر الوفاة

في « الصحيحين » عن النبي ﷺ ، جلس على المنبر ، فقَالَ : « إِنَّ عَبْداً خيَّرَهُ ٱلله بَيْنَ أَنْ يُؤْتِرَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيا ما شاءَ ، وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ ما عِنْدَهُ » ، فبكى أبو بكرٍ ، وقَالَ : يا رسولَ ٱلله ! نفديكَ بآبائنا وأمهاتنا ، فكان رسول ٱلله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا به(١) .

اعلمْ أن الموتَ مكتوبٌ على كل حَيّ من الأنبياء والرسل وغيرهم .

قَالَ ٱلله لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، وقَالَ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤ ـ ٣٥] .

وقَالَ تعالَى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩١) ، ومسلم (٢٣٨٢) .

اسْتَعِـــدِّي يــا نَفْــسُ لِلمَــوْتِ وَاسْعَــي
لِلنَّجَــاةِ فَــالحَــازِمُ المُسْتَعِــدُّ
أَتَيَقَّنْــتِ أَنَّــه لَيْــسَ لِلْحَــيِّ
خُلُــودٌ وَلا مِــنَ المَــوْتِ بُــدُّ
إِنَّمَــا أَنْــتِ مُسْتَعِيَــرَةٌ مَــاسَــوْ
فَ تَــرُدِّيــهِ وَالعَــوَارِي تُــرَدُّ

قَالَ الربيعُ بنُ خُثيمٍ : أكثروا ذكرَ الموت ؛ فإنكم لا ترون قبله مثلَه .

فَمَــا أَهْــلُ الحَيَــاةِ لَنَــا بِــأَهْــلٍ
وَلا دارُ الحيــاةِ لَنَــا بِــدَارِ
وَمَــا أَمْــوَالُنَــا وَالأَهْــلُ فِينَــا
وَلا أَوْلادُنَــا إلا عَــوَارِ
وَأَنْفُسُنَــا إِلَــىٰ أَجَــلٍ قَــرِيــبٍ
سَيَــأْخُــذُهَــا المُعِيــرُ مِــنَ المُعَــارِ

المراد بقوله ـ عز وجل ـ : ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة : ٢٩] ، علىٰ ما فسره كثيرٌ من السلف : فتجتمع عليه سَكْرَة الموت ، مع حَسْرة الفوت ، فلا تسألْ عن سوءِ حاله ، وقد سمىٰ ٱلله ذٰلك : سكرة ؛ لأنّ ألم الموت مع ما يضم إليه ، يُسكر صاحبه ، فيغيب عقلُه ، قَالَ تعالَىٰ : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [قٓ : ١٩] .

أَلا لِلْمَــوْتِ كَــأْسٌ أَيُّ كَــاسٍ
وَأَنْــتَ لِكَــأْسِــهِ لا بُــدَّ حَــاسِــي

إِلَـىٰ كَـمْ وَالمَمَـاتُ إِلـىٰ قـريـبٍ
تُـذَكَّـرُ بِـالمَمَـاتِ وَأَنْـتَ نَـاسِـي

وقد أمر النبيُّ ﷺ بكثرةِ ذكرِ الموتِ ، فقَالَ : « أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ » ؛ يعني : الموت[1] .

قَالَ الحسنُ : إنّ هـٰذا الموت قد أفسدَ علىٰ أهل النعيم نعيمَهم ، فالتمسوا عيشاً لا موتَ فيه .

اذْكُـرِ المَـوْتَ هَـاذِمَ اللَّـذَّاتِ
وَتَهَيَّـا لِمَصْـرَعٍ سَـوْفَ يَـاتـي
يـا غَـافِـلَ القَلْـبِ عَـنْ ذِكْـرِ المَنِيَّـاتِ
عَمَّـا قَلِيـلٍ سَتُلْقَـىٰ بَيْـنَ أَمْـوَاتِ
فَـاذْكُـرْ مَحَلَّـكَ [مِـنْ] قَبْـلَ الحُلُـولِ بِـهِ
وَتُـبْ إِلَـىٰ ٱللهِ مِـنْ لَهْـوٍ وَلَـذَّاتِ
إِنَّ الحِمَـامَ لَـهُ وَقْـتٌ إِلَـىٰ أَجَـلٍ
فَـاذْكُـرْ مَصَـائِـبَ أَيَّـامٍ وَسَـاعَـاتِ
لا تَطْمَئِـنَّ إِلَـىٰ الـدُّنْيـا وَزِينَتِهَـا
قَـدْ آنَ لِلمَـوْتِ يـا ذَا اللُّـبِّ أَنْ يَـاتـي

قَالَ بعض السلف : شيئان قَطَعا عني لذاذةَ الدنيا : ذكرُ الموت ، والوقوفُ بين يدي ٱلله ـ عز وجل ـ .

---

(١) رواه النسائي (١٨٢٤) ، والترمذي (٢٣٠٧) ، وابن ماجه (٤٢٥٨) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

كما قيل :

وكيــف يلــذُّ العيــشَ مــن كــان مُــوقنــاً
بــأنّ المنــايــا بغتــةً ستعــاجِلُــهُ ؟
وكيــف يلــذُّ العيــشَ مــن كــان مــوقنــاً
بــأنّ إلــهَ الخلــقِ لا بــدَّ ســائِلُــه

.

أولُ ما أُعلم النبيُّ ﷺ من انقضاء عمره ، باقتراب أجله بنزول سورة : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر : ١] ، وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين ، في شهر ربيع الأول .

لِيَبْــكِ رَسُــولَ ٱللهِ مَــنْ كَــانَ بــاكيــاً
فَــلا تَنْسَيَــنَّ قَبْــراً بِــالمَــدِينَــةِ ثــاوِيَــا
جَــزَىٰ ٱللهُ عَنَّــا كُــلَّ خَيْــرٍ مُحَمَّــداً
فَقَــدْ كَــانَ مَهْــدِيــاً وَقَــدْ كَــانَ هَــادِيَــا
وَكَــانَ رَسُــولُ ٱللهِ رَوْحــاً وَرَحْمَــةً
وَنُــوراً وَبُــرْهَــانــاً مِــنَ ٱللهِ بَــادِيَــا
وَكَــانَ رَسُــولُ ٱللهِ بِــالخَيْــرِ آمِــراً
وَكَــانَ عَــنِ الفَحْشَــاءِ وَالسُّــوءِ نَــاهِيَــا
وَكَــانَ رَسُــولُ ٱللهِ بِــالقِسْــطِ قَــائِمــاً
وَكَــانَ لِمــا اسْتَــرْعَــاهُ مَــوْلاهُ رَاعِيَــا
وَكَــانَ رَسُــولُ ٱللهِ يَــدْعُــو إِلَــىٰ الهُــدَىٰ
فلبِّــي رســولَ ٱللهِ لَبِّيــهِ دَاعِيَــا

أَيَنْسَىٰ أَمَنُّ النَّاسِ بالنَّاسِ كُلِّهِمْ
وَأَكْرَمُهُمْ بَيْتاً وَشِعْباً وَوَادِيَا
أَيَنْسَىٰ رَسُولُ ٱللهِ أَكْرَمُ مَنْ مَشَىٰ
وَآثَارُهُ بِالمَسْجِدَيْنِ كَمَا هِيَا
تَكَدَّرَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
عَلَيْهِ سَلامٌ كُلُّ مَنْ كَانَ صَافِيَا
رَكَنَّا إِلَىٰ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ بَعْدَهُ
وَكَشَّفَتِ الأَطْمَاعُ مِنَّا مَسَاوِيَا
وَكَمْ مِنْ مَنَارٍ كَانَ أَوْضَحَهُ لَنَا
وَمِنْ عَلَمٍ أَمْسَىٰ وَأَصْبَحَ عَافِيَا
إِذَا المَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَاباً مِنَ التُّقَىٰ
تَقَلَّبَ عُرْيَاناً وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
وَخَيْرُ خِصَالِ المَرْءِ تَقْوَاهُ رَبَّهِ
وَلا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ لِلّهِ عَاصِيَا

وقيل : كان بين يديه ﷺ رَكْوَةٌ فيها ماء ، فجعل يُدخلُ يدَه في الماء ، ويمسح بها وجهَه ، ويقول : « لا إلـه إلا ٱلله ، إنَّ للموتِ سَكَراتٍ » ، ثم نَصَبَ يدهُ ، فجعل يقول : « الرفيق الأعلىٰ » حتَّىٰ قُبض[1] .

كما قيل :

---

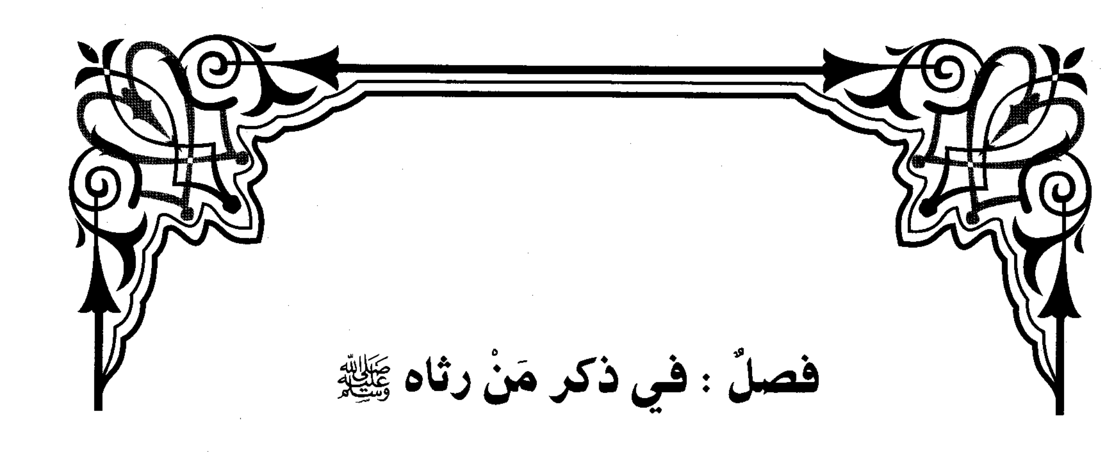
(١) رواه البخاري (٤١٨٤) عن عائشة رضي ٱلله عنها .

كَــأْسُ المَمَــاتِ عَلَــىٰ الأَنَــامِ يَــدُورُ
لا آمِــــرٌ يَبْقَــــىٰ وَلا مَــــأْمُــــورُ
لَــوْ كَــانَ يَنْجُــو منــه مِــنْ ملــكٍ نَجَــا
بسمُـــــوِّهِ أو سَيِّــــــدٌ مَبْــــــرُورُ
خُلِّــدَ صفــو العــالَميــنَ محمَّــدٌ
لٰكــن بِــذٰلــك قَــدْ جَــرَىٰ المَقْــدُورُ

وغسّله عليٌّ ، والعباس[1] .

❐ ❐ ❐

(١) انظر : « لطائف المعارف » لابن رجب (ص ١٩١ ـ ٢١٦) .



فصلٌ : في ذكر مَنْ رثاه ﷺ

قيل : إن أبا بكرٍ الصديق ـ رضي ٱلله عنه ـ قَالَ :

أَجِــــدَّكَ مــــا لِعَيْنِـــكَ لا تَنَــامُ
كَــأَنَّ جُفُــونَهَــا فِيهَــا كِــلامُ
لِــأَجْــلِ مُصِيبَــةٍ عَظُمَــتْ وَجَلَّــتْ
فَــدَمْــعُ العَيْــنِ يَنْسَجِــمُ انْسِجَــامُ
فُجِعْنَــا فــي النَّبِــيِّ وَكَــانَ فِينَــا
إِمَــامــاً صَــادِقــاً نِعْــمَ الإِمَــامُ
وَكَــانَ قَــوَامَنَــا وَالــرَّأْسَ مِنَّــا
وَنَحْــنُ اليَــوْمَ لَيْــسَ لَنَــا قَــوامُ

وقيل : إنَّ عمرَ ـ رضي ٱلله عنه ـ جعل يبكي ، ويقول :

أَمْسَــىٰ بِلَحْــدٍ وَالــدُّمُــوعُ سُجُــومُ
أَسَفــاً عَلَيْــهِ وَفــي الفُــؤَادِ كُلُــومُ
وَالصَّبْــرُ يَحْسُــنُ فــي المَــوَاضِــعِ كُلِّهَــا
إِلا عَلَيْــكَ فَــإِنَّــهُ مَــذْمُــومُ

وقيل : إن عثمانَ بن عفانَ ـ رضي ٱلله عنه ـ بكىٰ ، وجعل يقول :

يــا عَجَبِــي فــي الأَرْضِ مــا تَشْبَــعُ
وَكُــلُّ مَــنْ فِيهَــا إِذاً يُفْجَــعُ[1]
مَــاتَ رَسُــولُ ٱللهِ خَيْــرُ الــوَرَىٰ
وَنَحْــنُ فــي غَفْــلاتِهــا نَــرْتَــعُ

وقيل : إن عليَّ بن أبي طالب ـ رضي ٱلله عنه ـ بكىٰ ، وجعل يقول :

يـا خَيْـرَ مَـنْ دُفِنَـتْ فـي التُّـرْبِ أَعْظُمُـهُ
قَـدْ طَـابَ مِـنْ طِيبِهِـنَّ القَـاعُ وَالأَكَـمُ
أَنْـتَ الـرَّسُـولُ الَّـذِي تُـرْجَـىٰ شَفَـاعَتُـهُ
عِنْـدَ الصِّـرَاطِ إِذَا مـا زَلَّـتِ القَـدَمُ
نَفْسِـي الفِـدَاءُ لِقَبْـرٍ أَنْـتَ سَـاكِنُـهُ
فِيـهِ العَفَـافُ وَفِيـهِ الجُـودُ وَالكَـرَمُ
بِـكَ اعْتَصَمْنَـا فَنِلْنَـا كُـلَّ صَـالِحَـةٍ
لَـوْلاكَ لَـمْ تَخْـرُجِ الأَفْـلاكُ وَالأُمَـمُ

وقيل : إن فاطمة ـ رضي ٱلله عنها ـ بكت ، وجعلت تقول :

قَـدْ كُنْـتَ لِـي سَنَـداً فـي كُـلِّ نَـائِبَـةٍ
وَأَنْــتَ ذُخْــرٌ لغــدوي ورواحــي

(١) في الأصل : « يتفجع » .

وَاليَوْمَ أَبْكِي مَعَ المسي والصباحي[1]

وقيل : إن ابن عمه أبا سفيانَ بن الحارثِ بن عبد المطلبِ بكىٰ ، وجعل يقول :

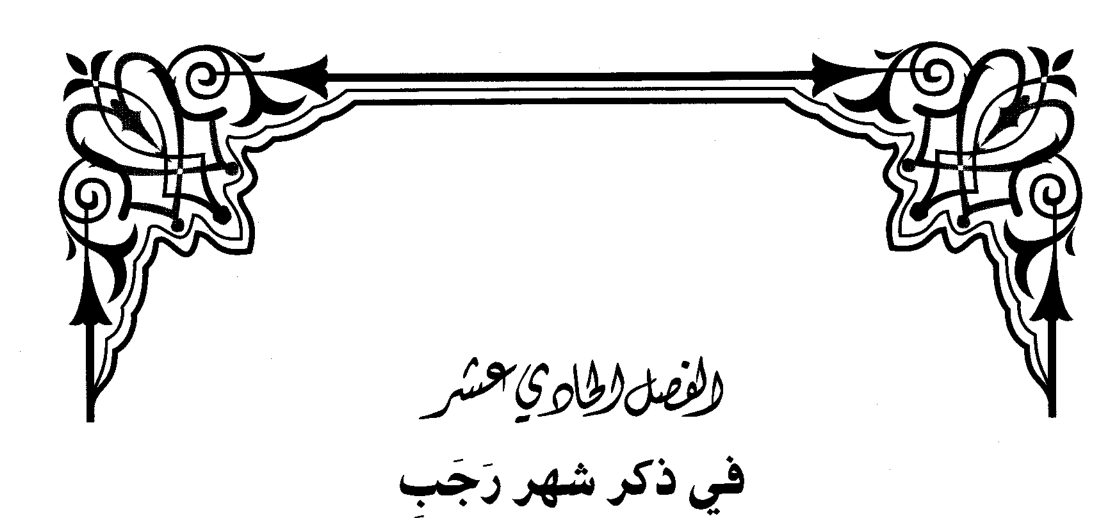
أَرِقْـــتُ وَبَـــاتَ لَيْلِـــي لا يَـــزُولُ
وَلَيْـــلُ أَخِـــي المُصِيبَـــةِ فيـــهِ طُـــولُ
وَأَسْعَـــدَنِـــي البُكَـــاءُ وَذَاكَ فِيمـــا
أُصِيـــبَ المُسْلِمُـــونَ بِـــهِ قَلِيـــلُ
لَقَـــدْ عَظُمَـــتْ مُصِيبَتُنَـــا وَجَلَّـــتْ
عَشِيَّـــةَ قِيـــلَ قَـــدْ قُبِـــضَ الـــرَّسُـــولُ
فَـــأَصْبَحَـــت ارْضُنَـــا مِمـــا عَـــرَاهَـــا
تَكَـــادُ بِنَـــا جَـــوَانِبُهَـــا تَمِيـــلُ
فَقَـــدْنَـــا الـــوَحْـــيَ وَالتَّـــنْزِيـــلَ فِينَـــا
يَـــرُوحُ بِـــهِ وَيَغْـــدُو جَبْـــرَئِيـــلُ
وذِكْـــرىٰ حَـــقٍّ مـــا سَـــالَـــتْ عَلَيْـــه
نُفُـــوسُ النَّـــاس أَوْ كَـــادَتْ تَسِيـــلُ
نَبِـــيٌّ كَـــانَ يَجْلُـــو الشَّـــكَّ عَنَّـــا
بِمـــا يُـــوحَـــىٰ إِلَيْـــهِ وَمـــا يَقُـــولُ
فَيَهْـــدِينَـــا فَـــلا يَخْشَـــىٰ عَلَيْنَـــا
ضَـــلالاً وَالـــرَّسُـــولُ لَنَـــا دَلِيـــلُ

---

(١) كذا في الأصل .

أَفَــاطِــمُ إِنْ جَــزِعْــتِ فَــذَاكَ عُــذْرٌ
وَإِنْ لَــمْ تَجْــزَعِــي فَهُــوَ السَّبِيــلُ
فَقَبْــرُ أبيــكِ سَيِّــدُ كُــلِّ قَبْــرٍ
وَفِيــهِ سَيِّــدُ النَّــاسِ الــرَّسُــولُ

❑ ❑ ❑



الفصل الحادي عشر

في ذكر شهر رَجَبٍ

روي عن أبي قِلابةَ ، قَالَ : في الجنة قصرٌ لصوَّام رجبٍ[1] .

وقد روي : أنه يُكره أن يُتخذَ رجبٌ عيداً .

عن عطاء ، قَالَ : كان رسول ٱلله ﷺ ينهىٰ عن صيام رجبٍ كلِّه ، ويكره إفرادَ رجبٍ بالصوم .

كان النبي ﷺ إذا دخل رجبٌ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ ، وَشَعْبَانَ ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ »[2] .

شهرُ رجبٍ مفتاحُ الخيرِ والبركةِ ، شهرُ رجبٍ شهرُ الزرع ، وشهرُ شعبان شهرُ السقي ، وشهرُ رمضان شهر الحصاد .

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٣٨٠٢) . قال : ابن رجب في « لطائف المعارف » (ص : ٢٢٨) : لم يصح في فضل صوم رجب بخصوصه شيء عن النبي ﷺ ، ولا عن أصحابه ، ولـٰكن روي عن أبي قلابة ، فذكره .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٩٣٩) عن أنس رضي ٱلله عنه ، وإسناده ضعيف .

وقيل : رجبٌ أيامُ ورقِها ، وشعبانُ أيامُ تفرُّعِها ، ورمضانُ أيامُ قطافِها .

بَيِّضْ صَحِيفَتَكَ السَّوْدَاءَ فِي رَجَبٍ
بِصَالِحِ العَمَلِ المُنْجِي مِنَ اللَّهَبِ
شَهْرٌ حَرَامٌ أَتَىٰ مِنْ أَشْهُرٍ حُرُمٍ
إِذَا دَعَا ٱللهَ دَاعٍ فِيهِ لَمْ يَخِبِ
طُوبَىٰ لِعَبْدٍ زَكَا فِيهِ لَهُ عَمَلٌ
فَكَفَّ فِيهِ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالرِّيَبِ

انتهازُ الفرصة بالعمل في هٰذا الشهر غنيمةٌ ، واغتنامُ أوقاته بالطاعات له فضيلةٌ عظيمة .

اعلموا إخواني : أن شهركم هٰذا شهر محترم ، قَالَ رسول ٱلله ﷺ : « إِنَّ شَهْرَ رَجَبٍ شَهْرٌ عَظِيمٌ ، مَنْ صَامَ فِيهِ يَوْماً ، جُزِي لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ ، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ يَوْمَيْنِ ، جُزِيَ لَهُ أَلْفَيْ حَسَنَةٍ ، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، جُزِيَ لَهُ صِيَام ثَلاثَةِ آلافِ حَسَنَةٍ ، وَمَنْ صَامَ مِنْ رَجَبٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، غُلِّقَتْ عَنْهُ أبوابَ جَهَنَّمَ ، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً ، بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتٍ ، وَنَادَىٰ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : قَدْ غُفِرَ لَكَ »[1] .

وفي حديث أنسٍ : أن النبيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ في الجَنَّةِ نَهْراً يُقَالَ لَهُ :

---

(١) انظر : « الموضوعات » لابن الجوزي (٢ / ١١٧) .

رجَبٌ ، مَنْ صَامَ يَوْماً مِنْ رَجَبٍ ، سَقَاهُ ٱللهُ مِنْ ذٰلك النَّهْرِ »[1] .

وروي من حديثِ أبي سعيدٍ ، عن النبي ﷺ ، قَالَ : « رَجبٌ مِنْ شُهُورِ الحُرُمِ وَأَيَّامِه ، مَكْتُوبٌ عَلَىٰ أبوابِ السَّماءِ السَّادِسَةِ ، فَإِذَا صَامَ الرَّجُلُ مِنْهُ يَوْماً ، وَجَرَّدَ صَوْمَهُ لِتَقْوَىٰ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، نَطَقَ اليَوْمُ ، وَقَالَ : يا رَبِّ ! اغْفِرْ لَهُ ، وَإِذَا لَمْ يُتِمَّ صَوْمَهُ بِتَقْوَىٰ ٱللهِ ، لَمْ يَسْتَغْفِرْ لَهُ ، وَقِيل : خُذْ حَظَّ نَفْسِكَ »[2] .

أَلا يـــا غـــافِـــلاً يُحْصَـــىٰ عَلَيْـــهِ
مِـــنَ العَمَـــلِ الصَّغِيـــرَةُ وَالكَبِيـــرَهْ
تَـــأَهَّـــبْ لِلـــرَّحِيـــلِ [فَـ]قَـــدْ تَـــدَانَـــىٰ
وَأَنْـــذَرَكَ [الـــرَّحِيـــلُ] أَخـــاً وَجِيـــرَهْ

يا من بين يديه الموتُ والحساب ، والتوبيخُ الشديد والعقاب ، وعليه بأفعاله وأقواله كتاب ، وقد أذنب كثيراً ، غير أنّه ما تاب ، وكلما عوتب ، خرج من باب إِلَىٰ باب .

إِلَىٰ متىٰ هـٰذا الجهل ؟ ! وإِلَىٰ متىٰ هـٰذا العتاب ؟ !

أما أظنك حاضراً عدوك فيمن غاب ؟ !

ويحك ! أنت في القبر محضور ، إِلَىٰ أن ينفخ في الصور ، ثم راكب

---

(١) خبر باطل ، كما في « ميزان الاعتدال » للذهبي (٦ / ٥٢٤) .
(٢) رواه الديلمي في « مسند الفردوس » (٣٢٧٧) ، وإسناده ضعيف ، كما نقل ابن عراق في « تنزيه الشريعة » (٢ / ١٦٤) عن ابن حجر .

أو مجرور ، حزين أو مسرور ، مطلق أو مأسور ، ما هٰذا اللَّهوُ والغرور ؟ ! الحازمُ مَنْ تزوَّد لِمآبِهِ ، قبل أن يصير لَمّاً به .

[أ]أَغْفُـــلُ وَالـــدَّهْـــرُ لا يَغْفُـــلُ
وَأَنْسَـــىٰ الَّـــذِي شَـــأْنُـــهُ يُعْضَـــلُ
وَيُطْمِعُنِـــي أَنَّنِـــي سَـــالِـــمٌ
وَدَاءُ السَّـــلامَـــةِ لِـــي أَقْتَـــلُ
وَيَمْضِـــي نَهَـــارِي وَلَيْلِـــي مَعـــاً
بِمـــا غَيْـــرُهُ الأَحْسَـــنُ الأَجْمَـــلُ
وَأُومِـــلُ أَنِّـــي أَفُـــوتُ الحِمَـــامَ
أَمَـــانِـــي لَعَمْـــرُكَ لِـــي ضُلَّـــلُ

قل للذين أعرضوا عن الهدىٰ فما تبعوا ، وخوفوا يوم الردىٰ فما ارتدعوا ، وسمعوا المواعظ وكأنهم ما سمعوا : تَقَلَّبوا كيف شئتم ، وما شئتم ، فاصنعوا .

غداً تُوَفَّىٰ النفوسُ ما كسبت ، ويحصدُ الزارعون ما زرعوا ، إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ، وإن أساؤوا فبئس ما صنعوا .

لله درُّ أقوام بادروا الأعمال واستدركوها ، وجاهدوا النفوس حَتَّىٰ ملكوها ، وتأهبوا لسبل التوبة ثم سلكوها ، وعرفوا العيوب العاجلة فتركوها .

اشتغالهم للأدب في جُمادىٰ كرجب ، يا هٰذا ! إذا هممت بخير ،

فبادر هواك لئلا تغلَب ، وإذا هممت بشرٍّ فسوِّف هواك لعلك تغلِب[1] .

* * *

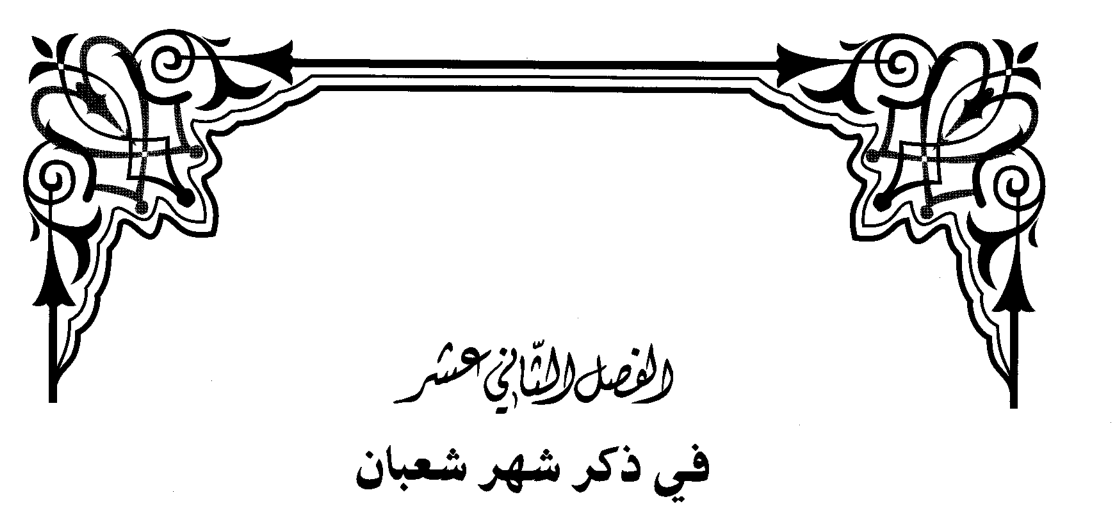
فصل

رجب يكره إفرادُه بالصوم ، ويستحب صيامُ بعضهِ إذا كان مفرداً ، ويكره إفرادُ القيام فيه أيضاً ، ويكره أن يُتخذ عيداً .

❐ ❐ ❐

---

(١) انظر : « التبصرة » لابن الجوزي (٢ / ٢١ ـ ٢٤) ، و« لطائف المعارف » لابن رجب (٢١٧) .



الفصل الثاني عشر

في ذكر شهر شعبان

عبادَ ٱلله ! قد أقبل عليكم شهرٌ مباركُ الأيام ، وهو سببٌ لمحو الذنوبِ والآثام ، وفيه يتوفر جزيل الفضل والإنعام ، ويكتب أسماء من يموت في هـٰذا العام .

عن عائشة ـ رضي ٱلله عنها ـ ، قَالَت : ما كانَ رسولُ ٱلله ﷺ يصوم من شهرٍ من السنة أكثرَ من شعبانَ[1] .

وعن عائشة أيضاً ، قَالَت : كان رسولُ ٱلله ﷺ يصومُ شعبانَ كلَّه حَتَّىٰ يصلَه برمضان[2] .

وعن رسول ٱلله ﷺ ، قَالَ : « تُقْطَعُ الآجَالُ مِنْ شَعْبَانَ إِلَىٰ شَعْبَانَ ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ يَنْكِحُ ، وَيُولَدُ لَهُ ، وَقَدْ خَرَجَ اسْمُهُ في المَوْتَىٰ »[3] .

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٩) ، ومسلم (٧٨٢) .

(٢) رواه ابن ماجه (١٦٤٩) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٦٤٣) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٥ / ١٠٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٨٣٩) ، عن المغيرة بن الأخنس ، مرسلاً .

فيا أيها الغافل ! تنبه لرحيلك ومسراك ، واحذر أن تسلب على موافقة هواك .

قَــدْ آنَ بَعْــدَ ظَــلامِ الجَهْــلِ إِبْصَــارِي
الشَّيْــبُ أَصْبَــحْ يُنَــاجِينِــي بِــإِسْفَــارِ
لَيْــسَ السَّعِيــدُ الَّــذِي دُنْيَــاهُ تُسْعِــدُهُ
إِنَّ السَّعِيــدَ الَّــذِي يَنْجُــو مِــنَ النَّــارِ

لقد بلغت المواعظ ، وبلغت أي بلاغ ، وأي بلوغ وأنت تتلون هكذا وهكذا ثم تروغ ! إياكَ وسؤرَ الهوىٰ ، فسؤرُ الهوىٰ ما يسوغ .

إخواني ! سلوا المقابر بألسنةِ الفِكْرة ، تجيبكم بألسنةِ العِبْرة ، أما يكفي العاقلَ تجاربُه ؟ ! أما [أ]يقظَ الفطنَ نوائبُه ؟ ! غلبَ الموتُ فمن ذا يغالبه ؟ ! قهر الخلق فمن ذا يحاربُه ؟ !

كأنكم به قد دبَّتْ عقاربُه ، قل للمفرِّطِ ، وقد حانتْ مصائبُه : القلبُ غائبٌ فكيف تعاتبه ؟ !

وَمَكَــاسِــبُ الــدُّنْيــا وَإِنْ كَثُــرَتْ فَمــا
تبقَــىٰ سِــوَىٰ تَبِعَــاتِهَــا وَالمَــأْثَــمِ
فَعَلَيْــكَ بِــالفِعْــلِ الجَمِيــلِ فَــإِنَّــهُ
أُنْــسُ المُقِيــمِ غَــداً وَزَادُ المُعْــدِمِ

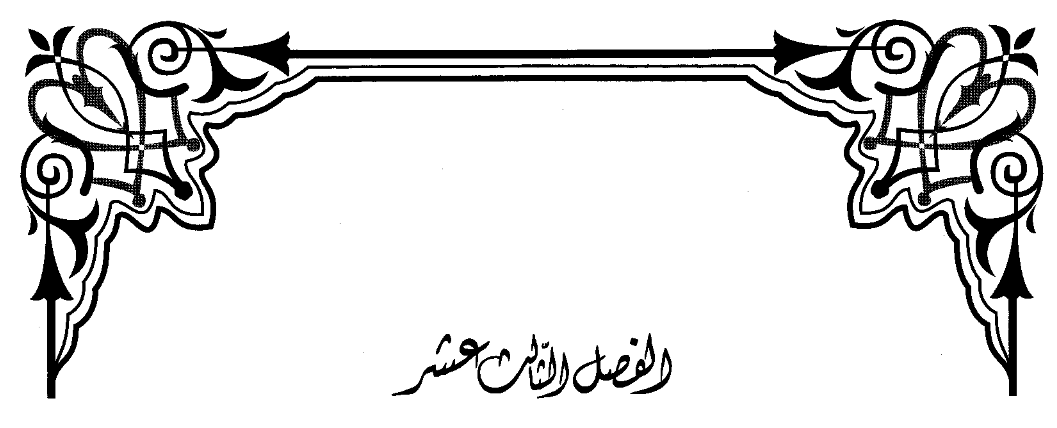
يا قليلَ النظر في أمرِه ، يا غافلاً عن ذكرِ قبره ، أما نقل الموتُ واحداً واحداً ؟ وها هو قد أضحىٰ نحوكَ قاصداً ، كم سلب ولداً ، وأخذَ والداً ! إِلَىٰ متىٰ تصبح جاهلاً ، وتمسي مارداً ؟ وتُحَضُّ علىٰ النهوض ،

وما تبرَحُ قاعداً ! لقد رضيتَ لنفسكَ الغبينَة ، وبعتَ الدارَ الشريفةَ بالدارِ المَهينَة ، وأعجبَك مع عقلِك ما يعجبُ الأطفالَ من الزينة ، أتراك ما علمتَ أن الدنيا صحبةُ سفينة ؟ !

عَجِبْـتُ لطـالِـبِ الأمْـرِ البَصِيـرِ بمـا
فِيـهِ مِـنَ الغَـيِّ إِذْ يَسْعَـىٰ لَـهُ طَلَبَـا
وَلِلمُـدَاوِي ضَنَـىٰ جِسْـمٍ عَـرَاهُ وَقَـدْ
دَعَـا إِلَـىٰ نَفْسِـهِ الأَوْجَـاعَ وَالـوَصَبَـا
إِذَا أَتَيْـتَ المَعَـاصِـي فَـاخْـشَ غَـايَتَهَـا
مَـنْ يَـزْرَعِ الشَّـوْكَ لا يَحْصُـدْ بِـهِ عِنَبـا [1]

❐ ❐ ❐

(١) انظر : « التبصرة » لابن الجوزي (٢ / ٥٦ ـ ٥٨) .



فيما جاء في ليلة النصف من شعبان

عباد الله ! ليلتكم هـٰذه ليلة النصف عظيمةُ القدر ، عجيبةُ الوصف ، يطَّلع ٱلله فيها علىٰ العباد ، فيغفر لهم ، ما خلا أهلَ العناد .

روي : أنّ ٱلله ـ عز وجل ـ « يَنْزِلُ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَغْفِرُ لِعِبَادِهِ إِلا المُشْرِكَ ، وَالمُشَاحِنَ »(١) .

وروي عن رسول ٱلله ﷺ ، قَالَ : « يَطَّلِعُ ٱلله إِلَىٰ خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ ، إِلا اثْنَيْنِ : مُشَاحِنٌ ، وَقَاتِلُ النَّفْسِ »(٢) .

قَالَ ابن الجوزيِّ : المشاحِنُ : الذي بينه وبين المسلم عداوة .

وقد قَالَ الأوزاعي : هو الذي في قلبه شحناءُ لأصحابِ رسولِ ٱلله ﷺ .

وروي عن النبي ﷺ : أنّه قَالَ : « خَمْسُ لَيَالٍ لا يُرَدُّ فِيهِنَّ

(١) رواه ابن ماجه (١٣٩٠) عن أبي موسىٰ رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٢ / ١٧٦) عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما .

الدُّعَاءُ » ، فذكرَ منهن ليلةَ النصفِ من شعبان[1] .

سَهْـمُ المَنَـايَـا أَبَـداً صَـائِـبُ
يَـدْعُـو إِلَيْـهِ النَّـاسَ مُسْتَعْـرِضَـا
بَيْـنَ الفَتَـىٰ فـي عَيْشِـهِ نَـاعِـمٌ
تَغُـرُّهُ الأَيَّـامُ حَتَّـىٰ قَضَـىٰ

أيـن الحبيـبُ والخليـل ؟ ودّعـا ، أيـن الـرفيـقُ ؟ رحـل عنكـم [و]ودَّعا ، اسمعوا عظةَ الزمان إن كنتم تسمعون ، وتأملوا تقلب الأحوال إن كنتم تبصرون .

تَـزَوَّدْ مِـنَ الـدُّنْيـا فَـإِنَّـكَ هَـالِـكُ
وَتَتْـرُكُ لِـلأَعْـدَاء مـا أَنْـتَ مَـالِـكُ
وَوَسِّـعْ طَـرِيقـاً أَنْـتَ سَـالِكُـهُ غَـداً
فَـلا بُـدَّ مِـنْ يَـوْمٍ تَضِيـقُ المَسَـالِـكُ

اجتهدوا الليلةَ في محو ذنوبكم ، واستغيثوا إِلَىٰ مولاكم من عيوبكم ، هـٰذه ليلة الإنابة ، فيها تفتح أبواب الإجابة ، أين اللائذُ بالجناب ؟

أين المتعرضُ بالباب ؟ أين الباكي علىٰ ما جنىٰ ؟ أين المستغفر لما قد دنا ؟

تَعَـالَـوْا كُـلّ مَـنْ حَضَـرَا
لِنَطْـرُقَ بَـابَـهُ سَحَـرا

---

(1) انظر : « التبصرة » لابن الجوزي (٢ / ٦١ ـ ٦٢) .

وَنَبْكِـــــــي كُلُّنَـــــا أَسَفـــــاً
عَلَـــىٰ مَـــنْ بَـــاتَ قَـــدْ هُجِـــرَا

إن ٱلله يغفر ليلةَ النصف لعباده إلا مشاحن ، وقاتل النفس ، فينبغي للمؤمن أن يتفرغ في ليلة النصف لذكر ٱلله ، ودعائِه لغفران الذنوب ، وستر العيوب ، وتفريج الكروب .

خَـــابَ عبـــد بَـــارَزَ المَـــوْ
لَـــىٰ بِـــأَسْبَـــابِ المَعَـــاصِـــي
وَيْحَـــــهُ مِمـــــا جَنَـــــاهُ
لَـــمْ يَخَـــفْ يَـــوْمَ القِصَـــاصِ

كُـــلُّ امْـــرِىءٍ مُصَبَّـــحٌ فـــي أَهْلِـــهِ
وَالمَـــوْتُ أَدْنَـــىٰ مِـــنْ شِـــرَاكِ نَعْلِـــهِ

يـا ذَا الَّـذِي مـا كَفَـاهُ الـذَّنْـبُ فـي رَجَـبٍ
حَتَّـىٰ عَصَـىٰ رَبَّـهُ فـي شَهْـرِ شَعْبَـانِ
لَقَـدْ أَظَلَّـكَ شَهْـرُ الصَّـوْمِ بَعْـدَهُمـا
فَـلا تُصَيِّـرْهُ أَيْضـاً شَهْـرَ عِصْيَـانِ
وَاقْـرَا القُـرَانَ وَسَبِّـحْ فِيـهِ مُجْتَهِـداً
فَـإِنَّـهُ شَهْـرُ تَسْبِيـحٍ وَقُـرْآنِ

هٰذه ليلةٌ أمرُها عظيم ، والخيرُ فيها جزيلٌ عميم ، وكفىٰ وصفُها في الكتاب القديم ، ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ .

فيها تقسم الآجال والأعمار ، فيها يكتب الحاجُّ والعُمَّار ، كم جامع ديناراً إِلَىٰ دينار [. . . . . .] عند القصار ، وهو يعمر الدار عمارة مقيم ، ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ .

مدوا أنامل الوَجَل إِلَىٰ بابه ، وابتغوا بالبكاء طريقَ أحبائه ، وتعرضوا الليلةَ لجزيل ثوابه ، واحذروا من سطوته وعقابه ، فعقابه أليم ، ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ .

بين يديكم يومٌ لا كالأيام ، يتنبه فيه من غفل ونام ، وتزفر جهنم لأهل الآثام ، ويجثو الخليل والكريم ، ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ .

قوموا بنا إِلَىٰ مطلوبنا ، قوموا بنا علىٰ باب [مولانا] نستغيث من ذنوبنا ، لعله يهب علىٰ قلوبنا تسليم ، ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ .

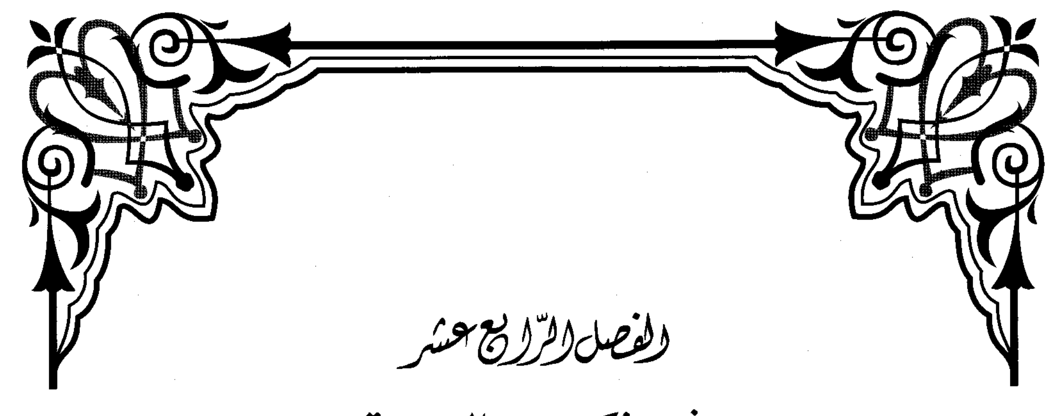
لقد رصتكم المواعظُ وقوّمتكم ، وشرحت ما شكل عليكم ، فهّمتكم وعلمتكم ، ولا حيلة لي إلا التعليم ، ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان : ٤] .

* * *

فصلٌ

يستحب صيام شهر شعبان ، وقيامُه ، وقيام ليلة النصف منه ، وصيامُ يومها .





الفصل الرّابع عشر

في ذكر يوم الجمعة

عن أبي هريرة ، [قَالَ] : قَالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ ، وَفيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وفيهِ دَخَلَ الجَنَّةَ ، وفيهِ خَرَجَ مِنْهَا ، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا يَوْمَ الجُمُعَةِ » خرجه مسلم(١) .

وعن أبي هريرة أيضاً : قَالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « إِنَّ في الجُمُعَةِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي ، يَسْأَلُ ٱلله خَيْراً ، إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ »(٢) .

قَالَ رسول ٱلله ﷺ : « [نحن] الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ ، أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاه مِنْ بَعْدِهِمْ ، يَوْمُكُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فيهِ هَدَانَا ٱلله لَهُ يَوْمَ الجُمُعَةِ » .

قَالَ : « اليَوْمَ لَنَا ، وَغَداً لِليَهُودِ ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارىٰ »(٣) .

قل للعارفين : أنتم الصالحون ، وأنتم في الجنان تُرَفَّهون ، أبداً فيها

---

(١) رواه مسلم (٨٥٤) .

(٢) رواه مسلم (٨٥٢) .

(٣) رواه البخاري (٨٥٦) ، ومسلم (٨٥٥) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

خالدون ، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

وأنتم يا غافلون ارجعوا ، وعن أنفسكم هٰذا فادفعوا ، ومن كلام الشفيق اسمعوا ، قبل أن تدركوا ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس : ٦٢] .

شعر :

يَا أَيُّهَا الغَافِلُ جَدَّ(١) الرَّحِيلُ
وَأَنْتَ فِي لَهْوٍ وَزَادٍ قليلْ
فَأَخْلِصِ التَّوْبَةَ تَحْظَ بِهَا
فَمَا بَقِي فِي العُمْرِ إلا القَلِيلْ
وَلا تَنَمْ إِنْ كُنْتَ ذَا غِبْطَةٍ
فَإِنَّ قُدَّامَكَ يَوْمٌ طَوِيلْ

* * *

فصلٌ

يستحب الغسلُ يوم الجمعة ، وقيل : يجب ، ويستحب أن يتنظَّف ويتطَيَّب ، ويلبس أحسن ثيابه .

* * *

---

(١) في الأصل : « قد جدَّ » .

فصلٌ

وهي واجبة علىٰ كل مسلمٍ ، مكلّفٍ ، مستوطنٍ بيتاً ، ليس بينه وبينها أكثرُ من فرسخ .

ولا تجب علىٰ امرأةٍ ، ولا خُنثىٰ ، ولا مسافرٍ ، ولا عبدٍ .

ومن حضرها من هـٰؤلاء ، أجزأته ، ولا تنعقد به .

وقيل في العبد : تجب عليه .

ومن لم تجب عليه الجمعة ، لا يصلِّي حَتَّىٰ يصلي الإمام .

ولا يسافر يوم الجمعة لجهاد ، ولا غيره .

وقيل : يجوز لجهادٍ فقط .

* * *

فصلٌ

ومن أدرك ركعة من الجمعة ، أتمها جمعةً ، وإن أدرك أقلَّ من ذٰلك ، أتمها ظُهراً ؛ إذا كان نوىٰ ، وقيل : من غير نية .

* * *

فصلٌ

الخطبتان شرطٌ للجمعة ، ويستحب أن يخطب علىٰ موضعٍ عالٍ ، ويقصر الخطبة ، ويدعو للمسلمين .

* * *

فصلٌ

يجهر بالقراءة ، ويقرأ في الأولىٰ : (الجمعةَ) ، والثانية بـ(المنافقين) ، وقيل : (سَبِّح) و(الغاشية) .

* * *

فصلٌ

إن وقع العيدُ يومَ الجمعة ، اجتزئ بالعيد ، وصلَّوا ظُهراً ، إلا الإمامَ .

* * *

فصلٌ

أقل السنة بعد الجمعة ركعتان ، وأكثرها ستٌّ ركعات .

* * *

فصلٌ

ويستحب أن يقرأ سورة الكهف يومَ الجمعة ، وإكثارُ الذكر ، والصلاةُ علىٰ النبي ﷺ ، وإكثارُ الدعاء .

* * *

فصلٌ

إذا وجد مُصلًّىٰ مفروشاً ، هل له رفعُه ؟ علىٰ وجهين .

وليس له أن يتخطَّىٰ رقابَ الناس .

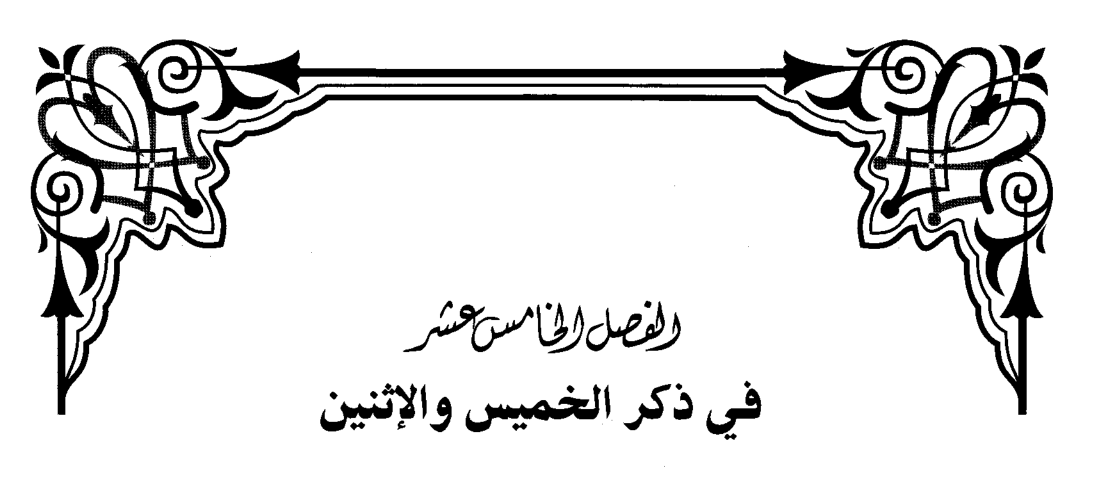
* * *

فصلٌ

ولا يجوز الكلامُ في الخطبة ، وقيل : يجوز ، وقيل : يكره ، ويجوز قبلَها وبعدَها [1] .

---

(١) انظر الفصول التي سردها المصنف هنا في الجمعة في « الفروع » لابن مفلح (٢ / ٧٤) وما بعدها . وانظر كتاب المصنف : « قرة العين فيما حصل من الاتفاق والاختلاف بين المذهبين » (ص : ١٠١) ، (باب : صلاة الجمعة) ـ طبعة دار النوادر ـ .



الفصل الخامس عشر

في ذكر الخميس والإثنين

يوم الإثنين هو اليوم الذي وُلد فيه النبي ﷺ ، وبعث فيه ، ومات فيه .

وعن أبي هريرة ، [قَالَ] : قَالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « تُعْرَضُ الأَعْمَالَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ، وَالخَمِيسِ ، وَأُحِبُّ أَنْ تُعْرَضَ أَعْمَالِي [وَأَنَا] صَائِمٌ »(١) .

وعن عائشةَ ، قَالَت : كان رسولُ ٱللهِ ﷺ يتحرىٰ صوم الإثنين والخميس(٢) .

يا أيها المسكين ! إِلَىٰ كم هـٰذا التماد ؟ أما تعلم ما جرىٰ لقوم عاد ؟

دع عنك النومَ ، وإياكَ وغضبَ الربِّ ؛ فإنه ذو نفاد ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر : ١٤] .

تَـــزَوَّدْ للَّـــذِي لا بُـــدَّ مِنْـــهُ
فَـــإِنَّ المَـــوْتَ مِيقَـــاتُ العِبَـــادِ

---

(١) رواه الترمذي (٧٤٧) .

(٢) رواه النسائي (٢٣٦٠) ، والترمذي (٧٤٥) ، وابن ماجه (١٧٣٩) .

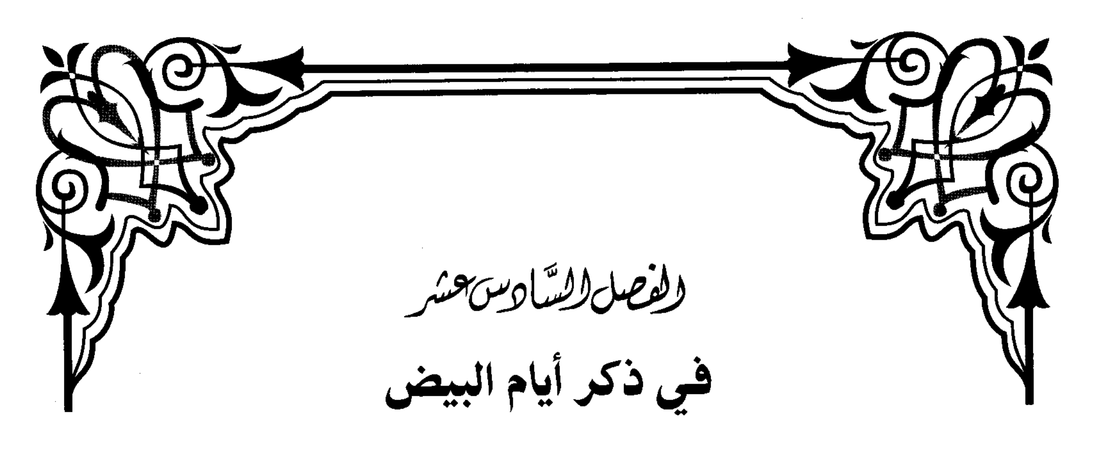
أَتَـــرْضَـــىٰ أَنْ تكُـــونَ رَفِيـــقَ قَـــوْمٍ
لَهُـــــمْ زَادٌ وَأَنْـــــتَ بِغَيْـــــرِ زَادِ

* * *

فصل

صوم يوم الإثنين والخميس مستحبٌّ ، وأفضل الصيام صيام داود ، وكان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً .

❐ ❐ ❐



الفصل السادس عشر

في ذكر أيام البيض

كان رسولُ ٱلله ﷺ يصوم ثلاثةَ أيامٍ من [كل] شهر .

عن جابرِ بن عبد ٱلله رضي ٱلله عنه ، عن النبي ﷺ ، قَالَ : « صِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، صِيَامُ الدَّهْرِ »[1] .

وأيام البيض : ثالث عشر ، ورابع عشر ، وخامس عشر .

وعن ملحانَ ، قَالَ : كان رسولُ ٱلله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض[2] .

* * *

فصلٌ

صيام أيام البيض مستحب .

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه البخاري (١٨٧٤) عن عبد ٱلله بن عمرو رضي ٱلله عنهما .

(٢) رواه ابن ماجه (١٧٠٧) .



الفصل السَّابع عشر

في ذكر المعراج

لا خلاف بين المسلمين والعلماء في صحة الإسراء لرسول ٱلله ﷺ ، فمن ذٰلك : ما جاء مصرّحاً به في القرآن ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء : ١] .

هٰذا غاية التصريح من ربِّ العالمين .

وأما الأحاديثُ ، فكثيرة ؛ منها :

ما روىٰ البخاريُّ ، ومسلمٌ ، عن أنسِ بن مالكٍ : أن رسول ٱلله ﷺ قَالَ : « أُتيتُ بِالبُراقِ يعني : ليلة الإسراء ، وَهُوَ دَابَّةٌ أبيضُ ، طَوِيلٌ ، فَوْقَ الحِمَارِ ، وَدُونَ البَغْلِ ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهىٰ طَرْفِه » ، قَالَ : « فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ ، فَرَبَطْتُهُ بِالحَلْقَةِ التي تَرْبِطُ بها الأَنْبِيَاءُ عليهم السلام ، ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ .

ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ : اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَرَحَّبَ بِي ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قِيلَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الخَالَةِ : عِيسَىٰ ، وَيَحْيَىٰ عليهما السلام ، فَرَحَّبَا بِي ، وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ - فَذَكَرَ مِثْلَ الأَوَّلِ - ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ ، وَرَحَّبَ بِي ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ - وَذَكَرَ مِثْلَ الأَوَّلِ - ، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيس عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، قَالَ ٱللَّه : ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم : ٥٧] .

ثم عَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الخَامِسَةِ ، فذكرَ مثلَ الأولِ ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ، فَرَحَّبَ بِي ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَة ، فذكرَ مثلَه ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فذكرَ مثلَه ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَىٰ البَيْتِ المَعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُون أَلْفَ مَلَكٍ ، لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ .

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَىٰ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ؛ فَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الفِيلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالقِلالِ ، فَلَما غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ ٱللهِ ما غَشِيَ ، تَغَيَّرَتْ ، فَما أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ ٱللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا .

فَأَوْحَىٰ [ٱللهُ إِلَيَّ ما أَوْحَىٰ] ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ، فَقَالَ : ما فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلاةً ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذٰلك ؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَخَبَرْتُهُمْ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي سُبْحَانَهُ ، فَقُلْتُ : يا رَبِّ ! خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي ، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً .

فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقُلْتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْساً ، قَالَ : فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذٰلك ، فَارْجِع إِلَىٰ رَبِّكَ ، فَاسْأَلْهُ ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، وَبَيْنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ قَالَ ٱللهُ : يا مُحَمَّدُ ! هُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، بِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ ، فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، فَإِنْ عَمِلَهَا ، كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، لَمْ يُكْتَبْ شَيْءٌ ، فَإِنْ عَمِلَهَا ، كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً .

قَالَ : فَنَزَلْتُ ، حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ، [فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ] ، قَالَ : فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ »(١) .

---

(١) رواه البخاري (٣٤٢) ، ومسلم (١٦٢) واللفظ له .

تباركَ ٱلله خالقُ الحبِّ والنَّوىٰ ، وخالقُ العبدِ وما نوىٰ ، المطَّلعُ علىٰ باطنِ الضمير وما حَوىٰ ، بمشيئته رشد مَنْ رشد ، وغوىٰ مَنْ غوىٰ ، وبقدرته وعظمته علىٰ عرشه استوىٰ ، صرَّف مَنْ شاء إِلَىٰ الهدىٰ ، وعطفَ من شاء إِلَىٰ الهوىٰ ، قرَّب موسىٰ نَجيَّاً بعد أن كان مطوياً من شدة الطوىٰ ، فمنحه فَلاحاً ، وكلَّمه كِفاحاً ، وهو بالوادي المقدس طوىٰ ، وعَرَجَ بمحمدٍ إليه حَتَّىٰ رآه بعينه ، ثم عاد إِلَىٰ فراشه وما انطوىٰ ، فحدّثَ بقربه من ربه ، وحدَّث بما رأىٰ وروىٰ ، وأقسمَ علىٰ تصديقه [من حرسه] بتوفيقه علىٰ القوىٰ ، فقَالَ تعالَىٰ : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم : ١ ـ ٣] .

فسبحان [مَنْ] رفعَ محمداً فوق الهلاك ، وقدمه علىٰ الأنبياء والأملاك ، وإنه وٱلله لأهلٌ لذاك ؛ لأنه أطولُ القومِ في جهاد أهل الكفر[1] والإشراك ذيلاً ، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ .

وطَيَّبه بأزكىٰ الخلائق ، ثم رفعه علىٰ أزكىٰ الخلائق ، فوقَ السبعِ الشدادِ الطرائق ، فيا فخرَ ذاك المقدّم السابق رجلاً وخيلاً ، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ .

أوقد لهداية الخلق به سراجه وشاد [قـ]ـواعد دينه وأبراجَه ، وقوّىٰ شرعَه ، وأظهرَ احتجاجَه ، فالخزيُ كلُّ الخزيِ لمن جحد معراجَه ، ويا له ويلاً ، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء : ١] .

كلَّمه كِفاحاً ، ومنحه فَلاحاً ، وأوجبَ ذكرَه علينا مساءً وصباحاً ،

---

(١) في الأصل : « الفقر » .

وأهال علينا الإنعام ببركته هيلاً ، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ .

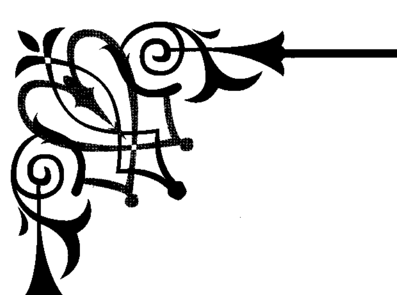
أصلح بتدبيره طباع المرضىٰ ، وجعلت طاعته علىٰ الخلق فَرْضا ، ضمن لـه أن يعطيـه حَتَّـىٰ يـرضـىٰ ؛ كـي لا يحصـر مـا يعطـىٰ وزنـاً وكيلاً ، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ .

عاش بالدنيا في الزهد والقناعة ، ويكفيه فخراً قبولُ الشفاعة ، وشغَلَه ذكرُ القيامة وأهوالِ الساعة أن يكون مَلِكاً أو قَيْلاً ، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ .

سبحان من شَرَّفنا بهـٰذا الرسول ، ورزقنا موافقةَ المنقول ، فنحنُ أهل السنة ، لا أهلُ الفضول ، ببركته ثبتت أقدامُنا علىٰ الصراط فلا تزول ، ولا تعرف ميلاً ، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ .

فخرُ نبينا أجلُّ وأعلىٰ ، ومناقبهُ من نور الشمس أجلىٰ ، وذكره والله في قلوبنا أحلىٰ من ذكر قيس لليلىٰ ، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء : ١] .






الفصل الثامن عشر

وفيه عشرون فصلاً :

الفصل الأول : في ذكر مخالفة اليهود في أعيادهم .

الفصل الثاني : في الليل والنهار ، وحقوقهما[1] .

الفصل الثالث : في رحمة ٱلله ولطفِه بعباده .

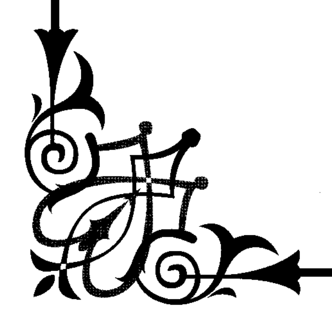
الفصل الرابع : في ذكر الجنة .

الفصل الخامس : في ذكر الصلاة .

الفصل السادس : في ذكر الزكاة .

---

(١) في الأصل : « حقوقهم » .





الفصل السابع : في ذكر التوبة وترك المعاصي .

الفصل الثامن : في ذكر الصبر .

الفصل التاسع : في ذكر الشكر .

الفصل العاشر : في ذكر الخوف .

الفصل الحادي عشر : في ذكر التفكُّر .

الفصل الثاني عشر : في ذكر التوكُّل .

الفصل الثالث عشر : في فعل المعروف ، وذَمِّ الغِيبة والنميمة .

الفصل الرابع عشر : في كسر شهوة البطن ، وشهوة الفرج .

الفصل الخامس عشر : في ذم الدنيا ، والأمل .

الفصل السادس عشر : في ذم البخل ، والحسد ، والغضب .

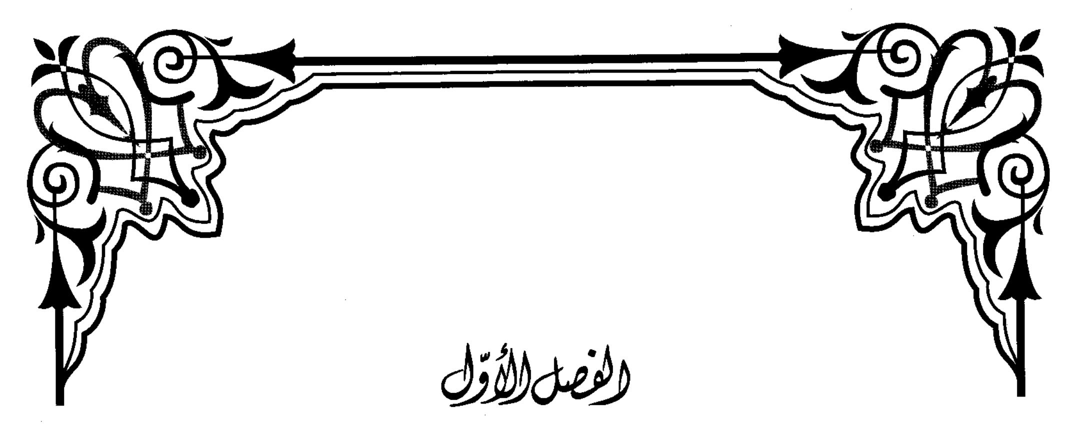
الفصل السابع عشر : في مكائد الشيطان ، والتحذير من الغرور .

الفصل الثامن عشر : في ذكر الموت ، والقيامة .

الفصل التاسع عشر : في ذكر البرد ، والحر .

الفصل العشرون : في ذكر فصول مفرقة .

❐ ❐ ❐



الفصل الأوّل

في ذكر مخالفة اليهود والنصارىٰ في أعيادهم

كان رسول ٱلله ﷺ يصوم يوم السبت والأحد ، ويقول : « أُحِبُّ أَنْ أُخَالِفَهُمْ »[1] .

* * *

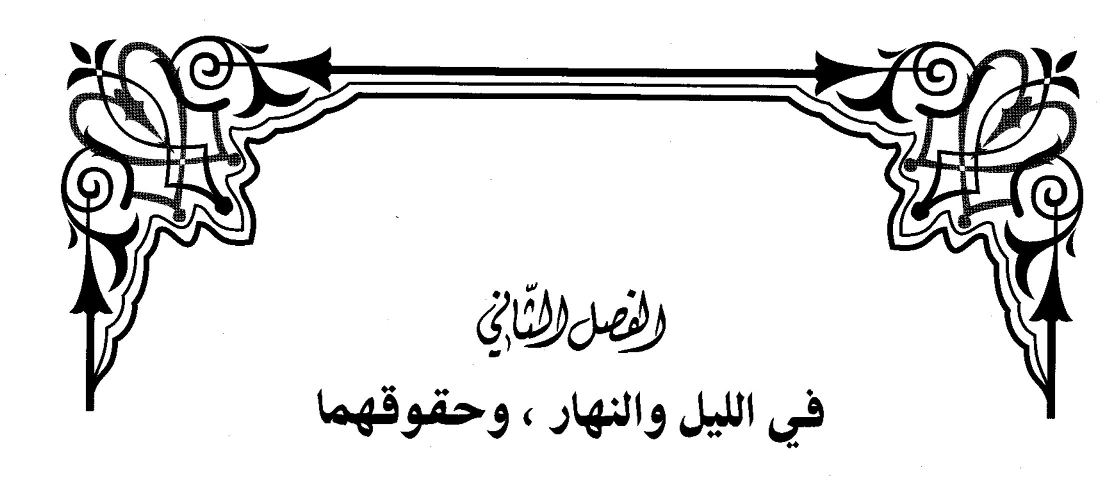
فصل

صيامُ يوم السبت : يكره إفرادُه بالصوم ، ويكره إفرادُ النيروز ، والمهرجان ، إلا أن يوافق عادةً .

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه النسائي (٢٧٧٦) ، والإمام أحمد في « المسند » (٦ / ٣٢٣) عن أم سلمة رضي ٱلله عنها .



الفصل الثّاني

في الليل والنهار ، وحقوقهما

خَرَّجَ ابن أبي الدنيا ، والطبرانيُّ ، وغيرُهما من حديث أبي هريرة - رضي ٱلله عنه - ، مرفوعاً : « اطْلُبُوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ رَبِّكُمْ ؛ فَإِنَّ للهِ - عَزَّ وَجَلَّ - نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَسَلُوا ٱللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ ، وَيُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ »[1] .

وفي رواية الطبراني ، من حديث محمد بن مسلمةَ ، مرفوعاً : « إِنَّ للهِ تَعَالَىٰ نفحات في أيام الدهر ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ؛ فَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ نَفْحَةٌ ، وَلا يَشْقَىٰ بَعْدَهَا أَبَداً »[2] .

وفي « مسندِ الإمام أحمد » ، عن عقبةَ بن عامرٍ ، عن النبيِّ ﷺ : « لَيْسَ مِنْ عَمَلِ يَوْمٍ إِلا وَهُوَ يُخْتَمُ عَلَيْهِ »[3] .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٧٢٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١١٢١) عن أنس رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٢٤٣) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤ / ١٤٦) .

وروي عن ابن أبي الدنيا ، بإسناده عن مجاهد ، قَالَ : ما مِنْ يَوْمٍ إلا يَقُولُ : ابنَ آدَمَ ! قَدْ دخلتُ عليكَ اليومَ ، ولن أرجعَ إليكَ بعدَ اليوم ، فانظرْ ماذا تفعل فيَّ ؛ فإذا انقضىٰ ، طواهُ ، ثم يختم عليه ، فلا يُفَكُّ عنه ، حَتَّىٰ يكونَ ٱللهُ هو الذي يفضُّ ذٰلك الختمَ يومَ القيامة ، ويقولُ اليومُ الذي ينقضي : الحمدُ للهِ الذي أراحَني من الدُّنيا وأهلِها ، ولا ليلةٍ تدخُل علىٰ الناس إلا قالتْ مثلَ ذٰلك[1] .

وعن مالكِ بن دينار ، قال : كان عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : إن هٰذا الليلَ والنهارَ خزانتان ، فانظروا ما تصنعون فيهما ، يقول : اعملوا لليل لما خُلِق له ، واعملوا للنهار لما خُلِق له[2] .

وعن الحسن ، قال : ليس يومٌ يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلّم ، يقول : أيها الناس ! إني يوم جديد ، وإني علىٰ ما يُعمل فيَّ شهيد ، وإني لو قد غربت شمسي ، لا أرجع إليكم إِلَىٰ يوم القيامة .

وعنه : أنه كان يقول : يا بن آدم ! أنا ضيفُكَ والضيف مرتحِل ، إما نشكرُك ، أو نذمُّك ، وكذٰلك الليل .

وبإسناده ، عن أبي بكر المزني : أنه قَالَ : ما من يوم أَخرجه ٱللهُ تعالَىٰ إِلَىٰ أهل الدنيا ، إلا ينادي : ابن آدم ! اغتنمني ؛ لعله لا يومَ لكَ بعدي ، ولا ليلةٍ إلا تنادي : ابن آدم ! اغتنمني ؛ لعله لا ليلة لك بعدي .

وعن عمرَ بن ذَرٍّ : أنه كان يقول : اعملوا لأنفسكم في هٰذا الليل

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣ / ٢٩٢) .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد » (ص : ٢٩٥) .

وسوادِه ، فالمغبونُ مَنْ غُبِنَ خيرَ الليل والنهار ، والمحروم من حُرم خيرَهما[1] .

* * *

فصل

قيام الليل مستحبٌّ ، وهل هو أفضلُ من السنن الرواتب ؟ فيه خلاف .

قَالَ ابن مسعود : فضلُ صلاة الليل علىٰ صلاة النهار ، كفضلِ صدقةِ السرِّ علىٰ صدقة العلانية[2] .

قَالَ عمرو بن العاص : ركعةٌ بالليل خيرٌ من عُمْرَة بالنهار .

كان السلف يجتهدون علىٰ إخفاء تهجُّدِهم .

وقد روي : المتهجِّدون يدخلون الجنةَ بغير حساب .

يــــا رِجَــــالَ اللَّيْــــلِ جِــــدُّوا
رُبَّ صَــــــــوْتٍ لا يُــــــــرَدُّ
مــــا يَقُــــومُ اللَّيْــــلَ إلا
مَــــنْ لَــــهُ عَــــزْمٌ وَجِــــدُّ
لَيْــــسَ شَــــيْءٌ كَصَــــلاةِ
اللَّيْــــلِ لِلقَبْــــرِ تُعَــــدُّ

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥ / ١٠٩) .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢ / ٥٠٢) .

صلَّىٰ كثير من السلف صلاةَ الصبح بوضوء العشاء عشرينَ سنة .

ومنهم من فعل ذٰلك أربعينَ سنة .

قال بعضهم : منذ أربعين سنة ما غمَّني إلا طلوعُ الفجر .

* * *

فصل

أفضلُ القيام قيامُ داودَ ؛ كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه .

وخرَّج الإمامُ أحمدُ ، عن أبي ذَرٍّ ، قال : سألت النبيَّ ﷺ : أيُّ قيام الليل أفضلُ ؟ قال : « جَوْفُ اللَّيْلِ الغَابِرِ ، أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ »[1] .

ويروىٰ عن داود ، قَالَ : يا رب ! أيَّ وقتٍ أقومُ لك ؟ قَالَ : لا تقمْ أولَ الليل ولا آخرَه ، ولٰكن قمْ وسطَه ؛ حَتَّىٰ تخلوَ بي ، وأخلوَ بك ، وارفَعْ إليَّ حوائجَك .

قام بعضُ الصالحين في ليلة باردة ، وعليه ثيابٌ رثة ، فضربه البردُ ، فبكىٰ ، فهتف به هاتف : أقمناك ، وأنمناهم ، ثم تبكي علينا ؟ ! .

قيل لنبينا ﷺ : إنَّ فلاناً نامَ حَتَّىٰ أصبح ، فقَالَ : « بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنِهِ »[2] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٥ / ١٧٩) .

(٢) رواه البخاري (٣٠٩٧) ، ومسلم (٧٧٤) عن ابن مسعود رضي ٱلله عنه .

كان بعضُ السلف يقوم الليل ، فقام ليلةً ، فأتاه آتٍ في منامه ، فقَالَ له : قمْ فصلِّ ، ثم قَالَ له : أما علمتَ أن مفاتيحَ الجنة مع أصحابِ الليل ، هم خزَّانها [1] .

نام أبو سليمانَ ليلة ، فأيقظته حوراءُ ، فقَالَت : يا أبا سليمان ! أنا أُربَّىٰ لك في الخدور منذ خمس مئة عام .

واشترىٰ بعضُهم من ٱلله حوراءَ بصَداق ثلاثينَ ختمةً ، فنام ليلةً ، قبل أن يكمل الثلاثين ، فرآها في منامه تقول :

أَتَخْطُـــبُ مِثْلِـــي وَعَنِّـــي تَنَـــامُ
وَنَـــوْمُ المُحِبِّيـــنَ عَنِّـــي حَـــرَامُ
لِـــأَنَّـــا خُلِقْنَـــا لِكُـــلِّ امْـــرِىءٍ
كَثِيـــرِ الصَّـــلاةِ بَـــرَاهُ الصِّيَـــامُ

في الحديث : « إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ ، فَصَلَّيا رَكْعَتَيْنِ ، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ ٱلله كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ »[2] .

* * *

فصل : في صيام النهار

قَالَ ٱلله تعالىٰ : ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢٤] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (ص : ١٤١ ـ ١٤٢) .

(٢) رواه أبو داود (١٣٠٩) عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي ٱلله عنهما .

قال مجاهدٌ وغيرُه : نزلت في الصوَّام .

صام بعضُ التابعين ؛ حتىٰ اسودَّ من طول صيامه ، وصام الأسودُ بن يزيدَ ؛ حتىٰ أفسد جسمَه ، واصفرَّ ، فكان إذا عوتب برفقه بجسده ، يقول : كرامةَ هـٰذا الجسدِ أُريدُ .

وصام بعضهم ؛ حتىٰ وجد طعم دماغِه في حلقه .

كان بعضُهم يَسْرُدُ الصومَ ، فمرضَ ، فقالوا له : أفطر ، فقال : ليس هـٰذا وقتَ ترك [الصيام] .

وقيل لآخر منهم ، وهو مريض : أفطر ، قَالَ : كيف أفطر وأنا سائرٌ لا أدري ما يُفعل بي .

مات عامرُ بن عبد ٱلله بن الزبير ، وهو صائمٌ ما أفطرَ . ودخلوا علىٰ أبي بكرِ بن أبي مريمَ ، وهو في النَّزْع ، وهو صائم ، فعرضوا عليه ماءً ليفطرَ ، فقال : أَغربتِ الشمس ؟ ، قَالَوا : لا ، فأبىٰ أن يفطر ، ثم أتوه بماء ، وقد اشتدَّ نزعه ، فأومأَ إليهم : أغربت الشمس ؟ قالوا : نعم ، فقطَروا في فيه قطرة من ماء ، ثم مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

واحتُضر إبراهيمُ بن هانئ صاحبُ الإمامِ أحمدَ الموت ، وهو صائم ، فطلب ماء ، وسأل : أغرَبتِ الشمس ؟ فقالوا : لا ، وقالوا : قد رخص لك في الفرض ، وأنت متطوِّعٌ ، قال : أمهل ، ثم قَالَ : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات : ٦١] ، ثم خرجت نفسه ، وما أفطر .

الدنيا كلُّها شهر ، صيامُ المتقين ، وعِيدُ فطرهم يومَ لقاءِ ربهم .

ومعظمُ نهارِ الصائمِ قد ذهب ، وعيدُ اللقاء قد اقترب .

وَقَـدْ صُمْـتُ عَـنْ لَـذَّاتِ دَهْـرِيَ كُلِّهَـا
وَيَـوْمَ لِقَـاكُـمْ ذَاكَ فِطْـرُ صِيَـامِـي

قَالَ بعض السلف : بلغنا عن عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ : أنه قَالَ : إذا كان يوم صوم أحدِكم ، فليدْهَنْ لحيتَه ، ويمسحْ شفتيه من دهنه ؛ حَتَّىٰ ينظر إليه الناظر ، فيظن أنه ليس بصائم[1] .

صام بعضُ السلف أربعين سنة ، لا يعلم به أحدٌ ، كان له دكان ، فكان كلَّ يوم يأخذ رغيفين ، ويخرج إِلَىٰ دكانه ، فيتصدَّق بهما في طريقه ، فيظن أهلُه أنه يأكلها في السوق ، ويظن أهل السوق أنه أكل في بيته قبل أن يجيء .

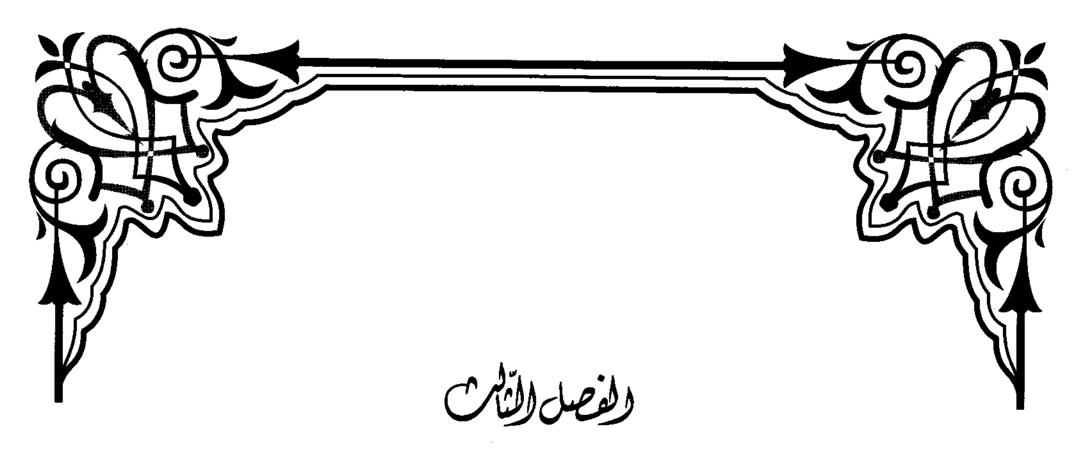
اشتُهر بعضهم بكثرة الصوم ، فكان يصوم يومَ الجمعة ، فيأخذ إبريقاً ، فيضع بلبلته في فيه ، ويمتصها ، والناسُ ينظرون إليه ، ولا يدخل حلقَه منه شيء ؛ لينفي عنه ما اشتُهر به .

ريحُ الصائم أطيبُ عند ٱلله من ريح المسك .

لمَّا دُفن عبد ٱلله بن غالبٍ ، كان يفوحُ من قبره رائحةُ المسك ، فرئي في المنام ، فسئل عن تلك الرائحة التي توجد من قبره ، فقَالَ : تلك رائحة التلاوة والظَّمأ[2] .



(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥٤٩) عن هلال بن يساف .
(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦ / ٢٤٨) .



الفصل الثالث

في ذكرِ رحمةِ ٱلله ، ولطفِه بعباده

قال بعضُ السلف : أولُ ما خَلَق ٱلله القلمَ ، فقال له : اكتبْ : إني أنا التوّاب ، أتوبُ علىٰ من تاب .

كان بعض السلف يقول : لو علمتُ أحبَّ الأعمال إِلَىٰ ٱلله ؛ لاجتهدَتْ نفسي فيها ، فرأىٰ في منامه قائلا يقول له : إنك تريد ما لا يكون ، إن ٱلله يحبُّ أن يغفر .

قال يحيىٰ بن مُعاذٍ : لو لم يكنِ العفوُ أحبَّ الأشياء إليه ، لم يبتل بالذنب أكرمَ الخلقِ عليه[1] .

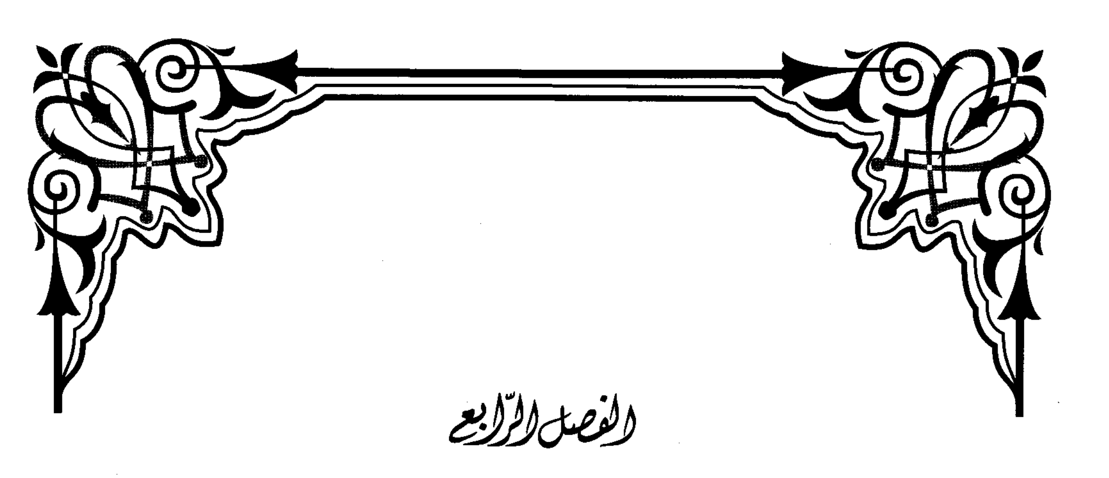
يـــــا رَبِّ أَنْــــتَ رَجَـــائِـــي
وَفِيـــكَ أَحْسَنْـــــتُ ظَنِّـــي

---

(١) انظر : « صفة الصفوة » لابن الجوزي (٤ / ٩٢) .

يـــا رَبِّ فَــاغْفِــرْ ذُنُــوبِــي
وَعَــافِنِــي وَاعْــفُ عَنِّــي
العَفْــوُ مِنْــكَ إِلَـٰهِــي
وَالــذَّنْــبُ قَــدْ كَــانَ مِنِّــي
وَالظَّــنُّ فِيــكَ جَمِيــلٌ
حَقِّــقْ بِحَقِّــكَ ظَنِّــي

❐ ❐ ❐



الفصل الرابع

في ذكر الجنة

وفي « مسند البزار » عن أبي سعيدٍ ، مرفوعاً : « خَلَقَ ٱللهُ جَنَّةً لَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ ، وَلَبِنَةٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمِلاطُهَا المِسْك ، فَقَالَ لَهَا : تكَلَّمِي ، قَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ ، فَقَالَتِ المَلائِكَةُ : طُوبَىٰ لَكِ مَنْزِلَ المُلُوكِ »[1] .

وفي « الصحيحين » : عن أبي موسىٰ الأشعريِّ ، عن النبي ﷺ ، قال : « جَنَّتَان مِنْ ذَهَبٍ »[2] .

وفي « الصحيحين » : « جَنَّتَان مِنْ ذَهَبٍ ، وبِنَاؤُهُمَا ، وَما فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ ، وَآنيتُهُما وَما فِيهِمَا »[3] .

---

(١) ورواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٧٠١) ، وانظر : « مجمع الزوائد » للهيثمي (١٠ / ٣٩٧) .

(٢) رواه البخاري (٧٠٠٦) ، ومسلم (١٨٠) .

(٣) رواه البخاري (٧٠٠٦) ، ومسلم (١٨٠) .

وفي « الصحيحين » أيضاً : عن النبي ﷺ ، قال : « وَإِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ »[1] .

وقد روي : أَنَّ بناءَ بَعْضِهَا ، الدُّرُّ ، وَاليَاقُوتُ[2] .

خرَّجَ ابن أبي الدنيا ، من حديث أنسٍ ، مرفوعاً : « خَلَقَ ٱللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ ، لَبِنَةٌ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْرَاءَ ، مِلاطُهَا المِسْكُ ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ ، وَحَشِيشُهَا الزَّعْفَرَانُ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : انْطِقِي ، قَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ ، قَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلالِي ! لا يُجَاوِرُنِي فِيكِ بَخِيلٌ » .

وروي عن عطيةَ بن سعيدٍ ، قال : إن ٱلله خلقَ جنةً من ياقوتةٍ حمراءَ ، ثم قَالَ لها : تزيني ، فتزينت ، ثم قَالَ لها : تكلَّمي ، فقَالَت : طوبىٰ لمن رضيتَ عنه ، ثم أطبقَها ، وعلَّقها بالعرش ، فهي تفتح في كل سَحَر ، فذٰلك بردُ السَّحَر .

وعن ابن عباسٍ رضي ٱلله عنهما ، قَالَ : كان عرشُ ٱلله علىٰ الماء ، ثم اتخذ لنفسِه جنةً ، ثم اتخذ دونها أخرىٰ ، وأطبقَهما بلؤلؤةٍ واحدة ؛ لا يعلم الخلقُ ما فيهما ، وهما اللتان لا تعلمُ نفسٌ ما أُخفي لهم من قُرَّةِ أعيُنٍ[3] .

وذكر صفوانُ بن عمرو : عن بعضِ مشايخه ، قَالَ : الجنةُ مئة

---

(١) رواه البخاري (٣٧٦١) عن أنس رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦١) .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرك » (٣٧٧٥) .

درجة ، الأولىٰ فضة ، وأرضُها فضة ، ومساكنُها فضة ، وترابُها المسكُ .

والثانيةُ ذهبٌ ، وأرضُها ذهب ، وآنيتُها ذهب ، وترابها المسك .

والثالثةُ لؤلؤٌ ، وأرضها لؤلؤ ، ومساكنها لؤلؤ ، وترابها المسك .

وسبعٌ وتسعون بعد ذٰلك ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر ، ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] .

وفي « الصحيحين » : عن النبي ﷺ ، قال : « يَقُولُ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ » . ثم يقولُ أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧][1] .

في « صحيح مسلم » : عن المغيرة بن شعبة ، يرفعه : « سَأَلَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ، فَقَالَ : يا رَبِّ ! ما أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ ما أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، فَيُقَالَ لَهُ : ادْخُلِ الجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : كَيْفَ يا رَبِّ وَقَدْ أَخَذَ الناسُ مَنَازِلَهُمْ ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ ؛ فَيَقُولُ لهُ : أَتَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ يا رَبِّ ، فَيَقُولُ : لَك ذٰلك ، وَمِثْلُهُ ، وَمِثْلُهُ ، وَمِثْلُهُ ، فَيَقُولُ : رَضِيتُ يا ربِّ ، فَيَقُولُ : لَكَ ذٰلك ، وَعَشْرُ أَمْثَالِهِ ، وَلَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنُكَ ، فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ .

---

(١) رواه البخاري (٣٠٧٢) ، ومسلم (٢٨٢٤) .

قَالَ : فَما أَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : « أولـئك الَّذِينَ أَرَدْتُ ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ .

قَالَ : وَيُصَدِّقُهُ كِتَابُ ٱللهِ : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾ [السجدة : ١٧] »[١] .

وعن عبد ٱلله : قال النبيُّ ﷺ : « إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً : رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً ، فَيَقُولُ ٱللهُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ ، فَيَأْتِيهَا ، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَىٰ ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يا رَبِّ ! وَجَدْتُهَا مَلأَىٰ ، فَيَقُولُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ ، فَيَأْتِيهَا ، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَىٰ ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ : يا رَبِّ ! وَجَدْتُهَا مَلأَىٰ ، فَيَقُولُ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا ، أَوْ : إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ مِنِّي ، أَوْ : تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ المَلِكُ » . فلقد رأيتُ النبيَّ ﷺ ضحك حَتَّىٰ بدت نواجذه ، وكان يقال : ذٰلك أدنىٰ أهل الجنةِ منزلةً[٢] .

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ ، قالَ رسول ٱلله ﷺ : « أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ الَّذي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً ، وَتُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ كَما بَيْنَ الجَابيةِ إِلَىٰ صَنْعَاءَ » ، رواه الترمذي[٣] .

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه مسلم (١٨٩) .

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٢) ، ومسلم (١٨٦) .

(٣) رواه الترمذي (٢٥٦٢) ، وقال : حديث غريب .



في ذكر الصـلاة

في أفراد مسلم : عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ : أنه قَالَ : « الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ ، وَالجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ ، مُكَفِّرَاتٌ لِما بَيْنَهُنَّ ، إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ »(١) .

قال الحسنُ : يا بن آدمَ ! هانت عليك صلاتُك ، فما الذي يَعزُّ عليك ؟ .

عن زيدِ بن خالدٍ الجهنيِّ ، قال : قال رسولُ ٱلله ﷺ : « مَنْ صَلَّىٰ سَجْدَتَيْنِ لا يَسْهُو فِيهِمَا ؛ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »(٢) .

يا مَنْ لا يؤثر عنده وعدُه ووعيدُه ، ولا يزعجُه تخويفُه ، وتهديدُه ! يا مطلقاً ستعقله بيده ، ثم يُفنيه البلىٰ ويُبيده ، ثم ينفخ في الصور ، فيبتدأ تجديدُه ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ .

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣) .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٥ / ١٩٤) .

قَرَّبْنا الصالحين منا ، وأبدنا العاصين عنا ، أحببنا في القدم ، وأبغضنا ، فمن قضينا عليه الشقاء أهلكنا ، فهو أسيرُ البعد وطريدُه ، ومن سبقت له منا الحسنىٰ ، فنحن ننعم عليه ونفيده ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ .

تجري العيون وابلاً وطَلا ، وترىٰ العاصيَ يقلقُ ويتقلَّىٰ ، ويمنىٰ العودَ ، فيقال : كلا ، والويلُ كلُّ الويلِ بمن لا يريدُه ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ .

تخشع فيه الأملاك ، وتطير فيه الضحاك ، ويعسر علىٰ المحبوس الفكاك ، فأما المؤمنُ المتقي ، فذاك عيدُه ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤][1] .

* * *

فصل : في الجماعة

وهي واجبةٌ للصلوات الخمس ؛ علىٰ الكفاية ، لا شرط .

في « الصحيحين » من حديث ابن عمر ، عن النبي ﷺ ، قال : « صَلاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَىٰ صَلاةِ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً »[2] .

وروي عن أنسِ بن مالكٍ ، عن النبي ﷺ ، قال : « مَنْ صَلَّىٰ أَرْبَعِينَ

---

(١) انظر : « التبصرة » لابن الجوزي (٢ / ٢٤٥) .

(٢) رواه البخاري (٦١٩) ، ومسلم (٦٥٠) .

يَوْماً في جَمَاعَةٍ ؛ لَمْ يَفُتْهُ رَكْعَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ كَتَبَ ٱللهُ لَهُ بَرَاءَتَيْنِ : بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ ، وَبَرَاءَةً مِنَ النِّفَاقِ »[1] .

قَالَ عبد ٱلله بن عمرَ القواريريُّ : لم تكن تفوتني صلاةٌ في جماعة ، فنزل بي ضيفٌ ، فشُغلت به ، فخرجتُ أطلب الصلاة في قبائل البصرة ، فإذا الناسُ قد صَلَّوا ، فقلتُ في نفسي : روي عن النبي ﷺ : أنه قَالَ : « صَلاةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ [عَلَىٰ] صَلاةِ الفَذِّ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » ، وروي : « بسبعٍ وعشرين » .

فانقلبتُ إِلَىٰ منزلي ، فصليتُ العتمةَ سبعاً وعشرين مرة ، ثم رقدتُ ، فرأيتني مع قوم راكبين أفراساً ، وأنا راكبٌ علىٰ فرسٍ كأفراسِهم ، ونحن نتجارىٰ ، فالتفتَ إليَّ أحدُهم ، فقَالَ : لا تُجْهِدْ فرسَكَ ، فلست بلاحقِنا ، فقلت : ولم ذٰلك ؟ فقَالَ : إنا صلينا العتمةَ في جماعة[2] .

أين من يعمل لذٰلك اليوم ؟ أين المتيقظُ من سِنَة النوم ؟ أين من يلحق أولـٰئك القوم ؟ جَدُّوا في الصلاة ، وأخذوا في الصوم ، وعادوا علىٰ النفس بالتوبيخ واللوم ؛ ليتك إذا لم تقدر علىٰ الإشمام بطريقهم حَصَّلْت الرَّوْم .

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٤١) نحوه ، وإسناده ضعيف . وانظر : « التلخيص الحبير » لابن حجر (٢ / ٢٧) .

(٢) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٠ / ٣٢٠) .

فصل

اعلمْ أن المقصود بالصلاة : إنما هي تعظيمُ المعبود ، وتعظيمُه لا يكون إلا بحضور القلب في الخدمة .

وقد كان في السلف منْ يتغيَّر إذا حضرتِ الصلاة .

* * *

فصل

ليس لنا حكمٌ يدخُل به الكافرُ في حكم الإسلام ، ويخرج به المسلمُ من الإسلام ، إلا الصلاة ، إذا صلَّىٰ الكافر ، حُكم بإسلامه ، سواءٌ صلىٰ جماعة ، أو منفرداً .

وعن أبي حنيفة ، روايتان :

إحداهما : كمذهبنا .

والثانية : حَتَّىٰ يصلي في جماعة .

والشافعي : إذا صلىٰ الحربيُّ في دار الحرب ؛ حُكم بإسلامه .

* * *

فصل

لا يختلف مذهبه[1] ، إنه يقتل ، وهل يُقتل حَدّاً ، أو كُفْراً ؟ فيه روايتان :

إحداهما : يُقتل لكفره ، وهو قول عمرَ ، وابن مسعودٍ ، وابن عباسٍ ، وجابرٍ ، والشعبيِّ ، والأوزاعيِّ ، ويدل عليه : [ما] روي [عن] النبي ﷺ : أنه قال : « بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ »[2] .

الرواية الثانية : يقتل حَدّاً ، وهو قول : مالك ، والشافعيِّ .

وقَالَ أبو حنيفة : يُحبس ، ويُستتاب ، ولا يُقتل .

* * *

فصل

صلاةُ الفرض واجبةٌ علىٰ كل مسلمٍ ، بالغٍ ، عاقلٍ ، لا حائضٍ ، ونفساء .

وتجب علىٰ نائمٍ ، وسكران .

ولا تجب علىٰ صبيٍّ ، ولا كافرٍ .

ويؤمَر بها الصبيُّ لسبعٍ ، ويضرَب عليها لعشرٍ .

---

(١) أي : الإمام أحمد .

(٢) رواه مسلم (٨٢) عن جابر رضي ٱلله عنه .

وهي واجبة بالكتاب ، والسنة ، والإجماع .

* * *

فصل

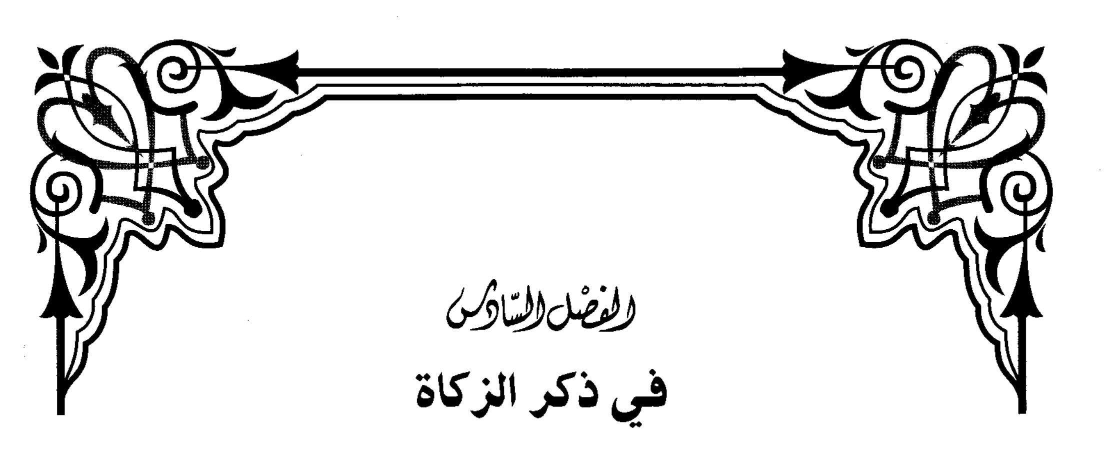
صلاة التطوع مستحبة ، وهي أفضل تطوُّعِ البدن ، وآكدُها : كسوفٌ ، ثم استسقاءٌ ، ثم وترٌ ، وليس بواجب .

قَالَ أبو بكر : هو واجبٌ .

ثم السنن ، ثم التراويح .

وصلاةُ الليل أفضلُ من صلاة النهار ، وصلاةُ الليل مثنىٰ مثنىٰ ؛ معناه : يسلِّم من كل ركعتين .

❒ ❒ ❒



الفصل السادس

في ذكر الزكاة

عن أبي ذَرٍّ ، قال : أتيتُ رسولَ ٱلله ﷺ ، وهو في ظل الكعبة ، فقَالَ : « هُمُ الأَخْسَرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وربِّ الكَعْبَةِ ! هُمُ الأَخْسَرُونَ ، وربِّ الكَعْبَةِ ! » .

قال : فأخذني غَمٌّ ، وجعلتُ أتنفَّس .

قال : قلتُ : هٰذا شرٌّ حدثَ فيَّ .

قال : قلت : من هم : ـ فداك أبي وأمي ـ ؟

قال : « الأَكْثَرُونَ أَمْوَالاً ؛ إلا مَنْ قَالَ في عِبَادِ ٱلله هٰكَذا ، وَهٰكَذَا ، وَهٰكَذَا ، وَقَلِيلٌ ما هُمْ » .

« ما مِنْ رَجُلٍ يَمُوتُ ، فَيَتْرُكُ غنماً ، أَوْ إبلاً ، أَوْ بقراً ، لَمْ يُؤَدِّ زكَاتَهَا ، إلا جَاءَتْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْظَمَ ما يَكُونُ ، وَأَسْمَنَ ، حَتَّىٰ تطَأَهُ بِأَظْلافِهَا ، وتَنْطحَهُ بِقُرُونِهَا ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ يَعُودُ أَوَّلُها عَلَىٰ آخِرِهَا »[1] .

---

(١) رواه مسلم (٩٩٠) .

وعن رسولِ ٱللهِ ﷺ ، قَالَ : « ما مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ ، لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا ، إلا إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِح مِنْ نَارٍ ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا في نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ ، وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ ، كُلَّما بَرَدَتْ ، رُدَّتْ لَهُ ، في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ؛ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ العِبَادِ ، فَيرىٰ سبيلها ؛ إما إِلَىٰ الجَنَّةِ ، وَإِما إِلَىٰ النَّارِ »[١] .

إخواني ! قولوا للمفرِّط الجاني : قَالَ لك الشيبُ : أما تراني ؟ أتىٰ كتابُ المنون ، والضعفُ عنواني ، وليس في السطور إلا أنك فاني .

اشتهىٰ الربيعُ بن خُثيمٍ حلواءَ ، فلما صنع ، دعا بالفقراء ، فأكلوا ، فقَالَ أهلُه : أتعبتنا ، ولم تأكل ؟ ! فقَالَ : وهل أكلَ غيري .

عباد ٱلله ! إِلَىٰ متىٰ تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكنون ، والجيدَ في بيوتكم تدَّخرون ، والرديءَ إِلَىٰ الفقراء تخرجون ؟ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ .

حرِّكوا هِمَمكم إِلَىٰ الخير ، وحُثُّوا عزائمكم علىٰ الجد ، وأدلجوا ، والتفتوا عن الحرص علىٰ المال ، وعَرِّجوا ، وآثروا الفقير بما تؤثرون ، ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ .

يا حريصاً ما يستقر !

يا طالب الدنيا ما يقر !

---

(١) رواه مسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

إن كنت تصدِّق بالثواب ، فتصدَّق[1] في السرِّ بالمحبوب المصون ، ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ .

أما المسكينُ أخوكَ من الوالدَيْن ، كيف كففتَ عن إعطائه اليدين ؟ كيف تحثُّ علىٰ النفل ، والزكاةُ [عليك] دَيْن ، وأنتم فيها تتأولون ، ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ .

يا وحيداً عن قليلٍ في رمسه ! يا مستوحشاً في قبره بعدَ طولِ أُنسه ! لو قَدَّمَ خيراً ، نفعَه في حبسه ، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : ٩] ، ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ .

تجمع الدينارَ إلَىٰ الدينار لغيرِك ، وينساك من أخذَ من خيرِك ، ولا تتزوَّدُ منه شيئاً لسيرِك ؛ هٰذا هو الجنون ، ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

* * *

فصل

[الزكاةُ] واجبةٌ من أربعة أصناف من المال : السائمة من بهيمة الأنعام ، والخارج من الأرض ، والأثمان ، وعروض التجارة .

* * *

(١) في الأصل : « فصدقة » .

فصل

ولا تجبُ إلا بخمسة : الإسلام ، والحرية ، وملك النصاب ، وتمام الملك ، والحول .

* * *

فصل

يباح للرجل من الفضة : الخاتمُ ، وقَبيعةُ السيف .

وفي حِليةِ المنطقةِ روايتان .

وجَوْشَنٌ ، وخوذةٌ ، وخف ، وران ، وحمائلُ علىٰ قياسها .

ومن الذهب : قَبيعةُ السيف ، و[ما] دعتْ إليه ضرورةٌ ؛ كأنف ، وما ربطَ به أسنانَه .

وقال أبو بكر : يُباح يسيرُ الذهب ، ويُباح للنساء : كلُّ ما جرت عادة ذٰلك بلبسه ، قَلَّ أو كَثُرَ .

وقَالَ ابن حامد : إن بلغ ألفَ مثقال ، فيه الزكاة .

* * *

فصل

زكاةُ الفطر واجبةٌ علىٰ كل مسلمٍ تلزمه مؤنةُ نَفْسِهِ ، إذا فضلَ عندَه عن قوته ، وقوتِ عياله ، يومَ العيد وليلتَه ، صاعٌ .

* * *

فصل

الواجب : صاعٌ من بُرٍّ ، وشعيرٍ ، ودقيقِهما ، وسَويقِهما .

قال ابن أبي موسىٰ : لا يجزئ السويقُ .

وتمرٍ ، وزبيبٍ ، وأَقِطٍ في إِحدىٰ الروايتين .

قال ابن حامد : يُخرج مما يقتات ، والأفضلُ : تمر ، ثم زبيب ، ثم بُرٌّ ، ثم شعير .

* * *

فصل

إذا جحد وجوبَ الزكاة جهلاً ، عُرِّفَ ذٰلك ؛ فإن أَصَرَّ كفر ، وأُخذت منه ، واستُتيب ثلاثاً ؛ فإن تاب ، وإلا قُتل ، وإن منعها بُخلاً ، أُخذت منه ، وعُزِّرَ .

وقَالَ بعض أصحابنا : إن قاتل عليها ، كفر .

* * *

فصل

أهل الزكاة ثمانية : الفقراء ، والمساكين ، والعاملون عليها ،

والمـؤلَّفـة قلـوبهـم ، والـرقـاب ، والغـارمـون ، وفـي سبيـل ٱلله ، وابن السبيل .

* * *

فصل

لا يجوز دفعُ زكاته إلىٰ كافرٍ ، ولا عبدٍ ، ولا فقيرةٍ لها زوجٌ غنيٌّ ، ولا إِلَىٰ الوالدَيْن ، وإن علوا ، ولا إِلَىٰ الولد ، وإن سَفُل ، ولا إِلَىٰ الزوجة ، ولا إِلَىٰ بني هاشم ومواليهم .

وقيل : يجوز دفعُها إلىٰ الزوجين ، وعمود النسب ، وسائر الأقارب .

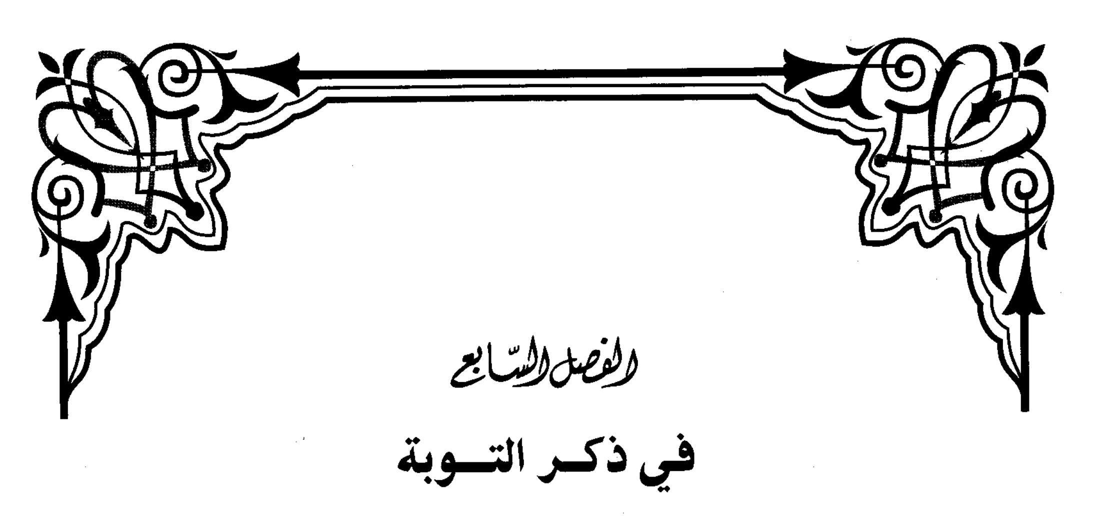
وهل يجوز دفعُها إلىٰ من تلزمُه مؤنتُه من أقارب ، أو إِلَىٰ الزوج ، أو بني المطلب ؟ علىٰ روايتين .

* * *

فصل

صدقةُ التطوُّعِ مستحبةٌ ، والصدقة علىٰ ذي الرحم صدقةٌ وصِلَةٌ .





الفصل السابع

في ذكر التـــوبة

قال ابن مسعود : إني لأعلم آيتين في كتاب ٱلله ، لا يقرؤهما عبد عندَ ذنبٍ يصيبُه ، ثم يستغفرُ ٱلله منه ، إلا غفر له : قوله : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾ [النساء : ١١٠] الآية ، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾ [آل عمران : ١٣٥] الآية .

واعلمْ : أن التوبة إذا صحت ، قُبلت بلا شك ؛ إذا وقعت قبل نزولِ الموت ، ولو كانت عن أيِّ ذنب كان .

وفي « الصحيحين » : أَنَّ رَجُلا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً ، ثُمَّ سَأَلَ : هَلْ لَهُ تَوْبَةٌ ؟ فَقِيلَ لَهُ : اخْرُجْ إِلَىٰ قَرْيَةِ كَذَا ، فَخَرَجَ ، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ ، فَنَأَىٰ بِصَدْرِهِ نَحْوَ القَرْيَةِ ، فَوُجِدَ أَقْرَبَ إِلَيْهَا بِشِبْرٍ ، فَغُفِرَ لَهُ[1] .

وعن ابن مسعودٍ ، قال : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « لله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ رَجُلٍ خَرَجَ بِأَرْضٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ ، وَشَرَابُهُ ، وَزَادُهُ ، وَما يُصْلِحُهُ ، فَأَضَلَّهَا ، فَخَرَجَ في طَلَبِهَا ، حَتَّىٰ إِذَا

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨٣) ، ومسلم (٢٧٦٦) عن أبي سعيد رضي ٱلله عنه .

أدْرَكَهُ المَوْتُ ، وَلَمْ يَجِدْهَا ، قَالَ : أَرْجِعُ إِلَىٰ مَكَانِي الَّذِي أَضْلَلْتُهَا فِيهِ ؛ فَأَمُوتُ فِيهِ ، فَأَتَىٰ مَكَانَهُ ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ ، فَاسْتَيْقَظَ ؛ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا طَعَامُهُ ، وَشَرَابُهُ ، وَما يُصْلِحُهُ »[1] .

أَنَـا عَبْـدُكَ الجَـانِـي وَأَنْـتَ المَـالِـكُ
إِنْ لَـمْ تُسَـامِحْنِـي فَـإِنِّـي هَـالِـكُ
يَـا مَـنْ تَـدَارَكَ طُـولَ جَهْلِـي حِلْمُـهُ
ذُخْـرِي لِحَشْـرِي عَفْـوُكَ المُتَـدَارِكُ
مَـوْلاي أَسْـرَرْتُ القَبِيـحَ وَظَـاهِـرِي
حَسَـنٌ وَأَنْـتَ بِحَجْـبِ سِتْـرِي مَـالِـكُ
حَسْبِـي خَسَـاراً أَنْ تَـرَانِـي مُسْـرِفـاً
وَيَظُـنُّ هَـٰذا الخَلْـقُ أَنِّـي نَـاسِـكُ

سبحانَ من أنعمَ علىٰ الأحباب ، سبحانَ من سخَّر لهم الأسباب ، سبحانَ من جعل جزاءَ الصوم عن الطعام والشراب ، يُطاف عليهم بآنيةٍ من ذهبٍ وأكواب ، وصلَ أولو الألباب ، وقد زالت تلك الأسقام والأَوْصاب ، وقيل لأيوبَ : البلاء إلىٰ كم المصاب ، ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [صٓ : ٤٢] .

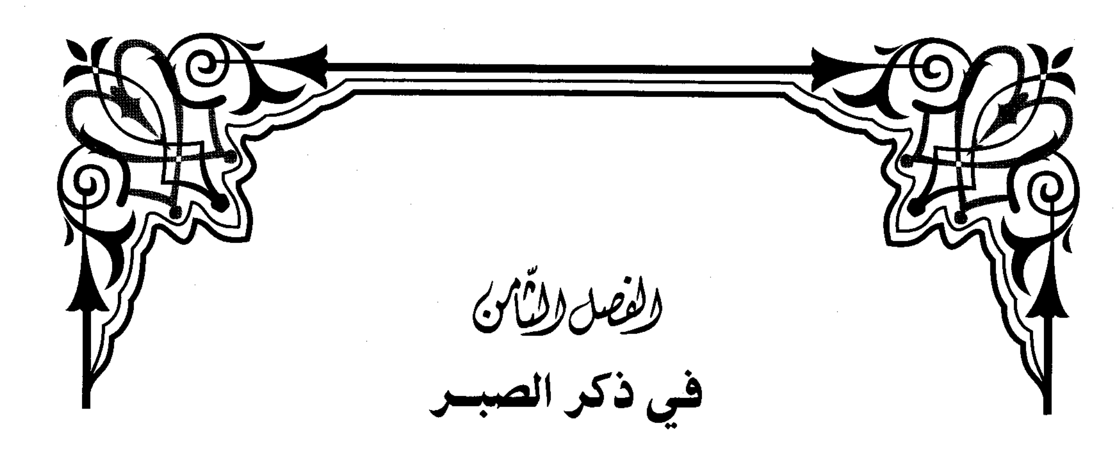
يا حُسْنَهم وقد قدم الغُيَّاب ، وأُلبسوا ثيابَ العتاب ، وتلقتهم الحورُ الخفِرَاتُ بلا نِقاب ، لا نقص عندهم ولا عاب ، ولا شَرَدَ عنهم مطلوبٌ

(١) رواه البخاري (٥٩٤٩) .

ولا غاب ، ولا يعتري شيبٌ ذاك الشباب ، طابت الدار ، ودار ذاك الشراب ، وغنت الغناء فرنَّت القِباب ، وسمعوا من الغناء ما أغنىٰ عن عُودٍ ورَباب ، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ .

فتح لهم باب الرضا فدخلوا ، ومُهِّدَت لهم المساكنُ فنزلوا ، وإليه ثم والله لقد وصلوا إلَىٰ ما لم يكن في الحساب ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف : ٧١] .

❐ ❐ ❐



الفصل الثامن

في ذكر الصبر

قَالَ ٱللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

المعنىٰ : أنهم يعطَوْن أجراً كثيراً .

عن النبي ﷺ ، قال : « ما أُعْطِي أَحَدٌ عَطاء خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ »(١) .

وقال عليه السلام : « أَلا إِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ ، أَلا إِنَّهُ لا إِيمَانَ لِمَنْ لا صَبْرَ لَهُ »(٢) .

وقالَ الحسن : الصبر كنزٌ من كنوز الجنة ، لا يعطيه ٱلله إلا لعبدٍ كَرُمَ عليه .

واعلمْ أن الصبر علىٰ المصائب له فضلٌ عظيم ، ومنهُ : الصبرُ علىٰ الميت .

* * *

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٠) ، ومسلم (١٠٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٤٣٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٧١٨) من كلام علي رضي ٱلله عنه .

فصلٌ

وأما البكاء على الميت ، يجوز البكاء على الميت ، وتكره النياحة والندب .

يَـــا نَفْــسُ مــا هِــيَ إلا صَبْــرُ أَيَّــام
كَــأَنَّ مُــدَّتَهَــا أَضْغَــاثُ أَحْــلامِ
يـا نَفْسُ جُـوزِي عَـنِ الـدُّنْيـا مُبَـادِرةً
وَخَـلِّ عَنْهَـا فَـإِنَّ العَيْـشَ قُـدَّامِـي

إخواني ! البلاء يختصُّ الأخيار ، والمحنُ تلاصِقُ الأبرار .

أَتَـرْحَـلُ عَـنْ حَبِيبِـكَ ثُـمَّ تَبْكِـي
عَلَيْـهِ فَمـا دَعَـاكَ إِلَـىٰ الفِـرَاقِ
كَـأَنَّـكَ لَـمْ تَـذُقْ لِلبَيْـنِ طَعْمـاً
فَتَعْلَـمَ أَنَّـهُ مُـرُّ المَـذَاقِ

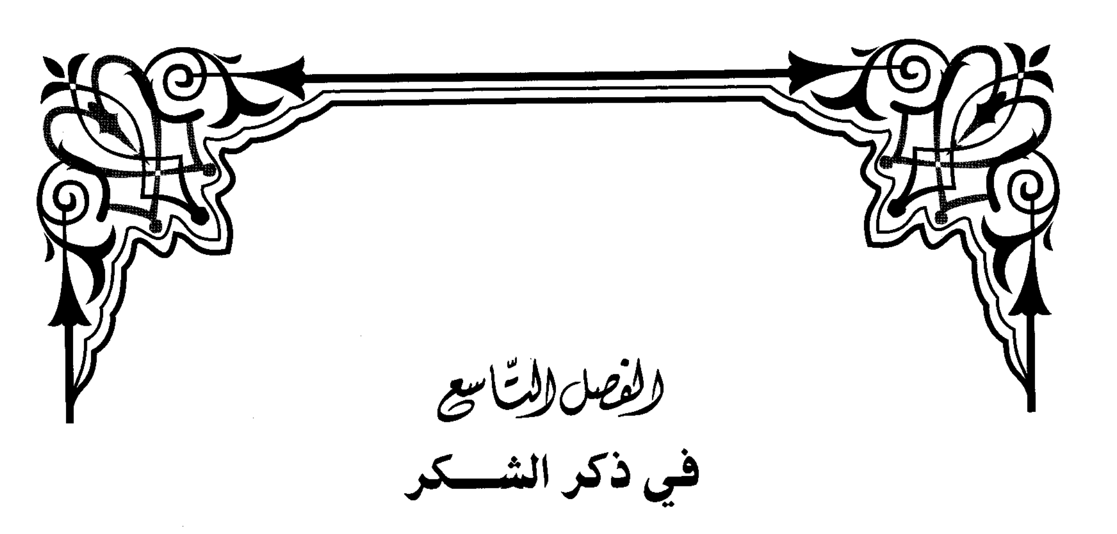
ما مضىٰ من تنعُّم القوم يومٌ ، إلا وانقضىٰ من صبر الصابر إِلَىٰ أن يجمعها يوم ، ويقع فرق ما بين القوم ، كما بين اليقظة والنوم .

طُـوبَـىٰ لِعَبْـدٍ بِحَبْـلِ ٱللهِ مُعْتَصَمُـهْ
عَلَـىٰ صِـرَاطٍ سَـوِيٍّ ثَـابِـتٍ قَـدَمُـهْ
فَـذَاكَ أَعْظَـمُ مِـنْ ذِي التَّـاجِ مُتَّكِئَـاً
عَلَـىٰ النَّمَـارِقِ مُحْتَفّـاً بِـه حَشَمُـهْ

يا مسرورون على الزلل ستظهر أسرارُكم ، يا مغمورون بالحلم ، عنهم ستكشف أستارُكم ، لا بد أن نميّز خياركم وأشراركم ، ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ .

كم أقبل إليكم لطفُنا وزاركم ، وما تركتُم أوزاركم ! كم منحكم الهدىٰ وأعاركم ، ثم اخترتم في الضلال عاركم ! لقد زجرناكم إذْ أخذنا خياركم ، ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد : ٣١] .

❒ ❒ ❒



الفصل التاسع

في ذكر الشكر

قَالَ ٱللهُ تعالىٰ : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٧] .

عن النبي ﷺ ، قال : « ما أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ نِعْمَةً ، فَعَلِمَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ ٱللهِ ، إلا كَتَبَ ٱللهُ لَهُ شُكْرَهَا ، وَما عَلِمَ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ عبد نَدَامَةً عَلَىٰ ذَنْبٍ ، إلا غَفَرَ لَهُ قَبْلُ أَنْ يَسْتَغْفِرَهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْتَرِي الثَّوْبَ بالدِّينَارِ ، فَيَلْبَسُهُ ، فَيَحْمَدُ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ، فَما يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ حَتَّىٰ يَغْفِرَ لَهُ »(١) .

اعلم يا أخي ! أن جهنمَ سوداءُ مظلمة ، لا رفيقَ تأنس به ، ولا صديقَ تشكو إليه ، ولا نوم فيريح ، ولا نفس تستريح ، سبحانَ من قضىٰ عليهم بهٰذا المعاش ، يبكون ولا ينفع البكاء والإجهاش ، أكبر حسراتهم ، فالكل عطاش ، ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ .

تعبوا من الاستغاثة ، وكلّوا وضَجِروا من الاعتذار ، وملّوا وسجنوا

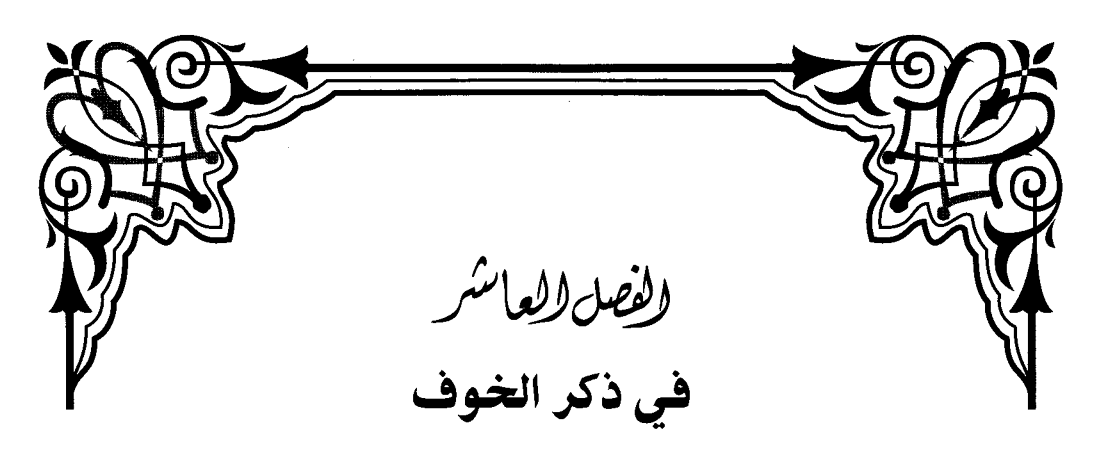
---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (٤٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٣٧٩) .

في جهنم فذلوا ، وكم كان يخدُمهم فرَّاش ، ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ .

فتهيأ أيُّها العاصي لِلَظَىٰ ، فما لكَ عملٌ يصلُح للرضا ، يا مَنْ عمرُه كلُّه قد مضىٰ في لاش ، ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف : ٤١] .

❒ ❒ ❒



الفصل العاشر

في ذكر الخوف

قَالَ ٱللَّه تعالىٰ : ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

الخوفُ واجبٌ علىٰ كل مؤمن .

بكىٰ آدمُ لما خرج من الجنة ثلاث مئة عام ، وكذا بكىٰ نوح ، وكان الخليل إذا قام إِلَىٰ الصلاة ، يُسمَع لصدره أزيزٌ من شدة الخوف ، وبكىٰ داود ، وكذا جميع الأنبياء ، والصحابة ، والخائفون كثير ، وليس هٰذا مكان ذٰلك .

ولٰكن منهم من صلىٰ صلاة الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ، ومنهم من صام أربعين سنة لا يعلم به أحد .

كان جبريل يرثي لبكاء آدم ، ويقول : يا آدم ! ما هٰذا القلق ؟ ! ولٰكن حاله يجيب .

سَبيلي إنِ اسْتَحْيا بِهِ الصَّبْرُ عَنْهُمُ
وَذَاكَ سَبِيلٌ ما إِلَيْهِ سَبِيلُ
يَقُولُونَ لِي هَلْ في فُؤَادِيَ لَوْعَةٌ
وَهَلْ فِيهِ إلا لَوْعَةٌ وَغلِيلُ

قَالَ الحسن : لو بكىٰ عبد من خشية ٱللهِ ، لرحمَ ٱللهُ مَنْ حوله ، ولو كانوا عشرينَ ألفاً .

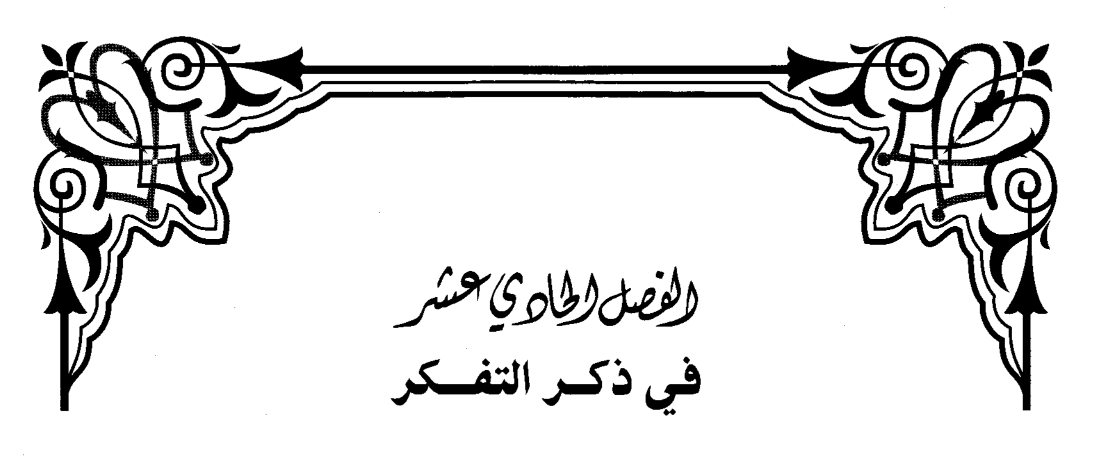
حملوا بالنهار عطشاً وجوعاً ، وسهروا بالليل سجوداً وركوعاً ، وسلوا علىٰ تقصيرهم ، وما قصروا دموعاً ، ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ .

قطعوا النهار صائمين ، ونُزُلهم بالليل قائمين .

أظلم الدجىٰ لا عن نائمين قد رفضوا هجوعاً ، ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ .

هجروا الدنيا وقاطعوها ، وكفوا أنفسهم عن الشهوات ومنعوها ، فنادىٰ لطف الإباحة دعوها ، تزدْ بعد خمس شروعاً ، ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

❐ ❐ ❐



الفصل الحادي عشر
في ذكـر التفـكر

قـال ٱلله تعـالـىٰ : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

قيل لإبراهيمَ بنِ أدهمَ : إنك تُطيل الفكرة ، قَالَ : الفكرةُ مخُّ العمل[١] .

وقال بِشْرٌ الحافي : لو تفكّر الناسُ في عظمة ٱلله ، ما عَصَوهُ ، ومن تفكر في خلق نفسِه ، دهش ، أو في إمساكِ الأرضِ بالجبال ، وانظر إِلَىٰ أقلِّ الأشياء ، وهو العنكبوت ، كيف تبني بيتاً في موضعين متقاربين ؟ ! حَتَّىٰ يمكنها أن تصل الخيط بين طرفيها ، فإذا أحكمت المعاقد ، اشتغلت بالجمع ، وتجعل ذٰلك شباكة للذباب ، فإن عجزت عن الصيد ، علّقت نفسَها بخيط ، وتنكس ، فإذا قاربها ذباب ، رمت نفسَها إليه ، ولفّت خيطَها علىٰ رجليه ، أفتراها تعمل هـٰذه الصناعة من نفسها ؟ !

وذكر القزويني في « عجائب المخلوقات » : أن للعنكبوت أنواعاً كثيرة .

---

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ١٠٩) .

وكذا الفأر ، إلا أنه ذُكر منه صنف يجيء منه مسكٌ خيرٌ من مسك الغزلان بعشرة أمثاله .

والنحل تعمل لها ملكاً يهندس لحكم العمل ، وتعمل بواباً لا يدع أحداً يدخل وعليه نجاسة .

مَـا مَـرَّ يَـوْمٌ عَلَـىٰ حَـيٍّ وَلا ابْتَكَـرَا
إلا رَأَىٰ عِبَـراً فِيـهِ إِنِ اعْتَبَـرَا
وَما مَضَتْ سَاعَةٌ في الدَّهْرِ وانْصَرَفَتْ
حَتَّـىٰ تُـؤَثِّـرَ فـي قَـوْمٍ لَهَـا أَثَـرَا
إِنَّ اللَّيَـالِـيَ وَالأَيَّـامَ لَـوْ سُئِلَـتْ
عَـنْ عَيْـبِ أَنْفُسِهَـا لَـمْ تَكْتُـمِ الخَبَـرَا

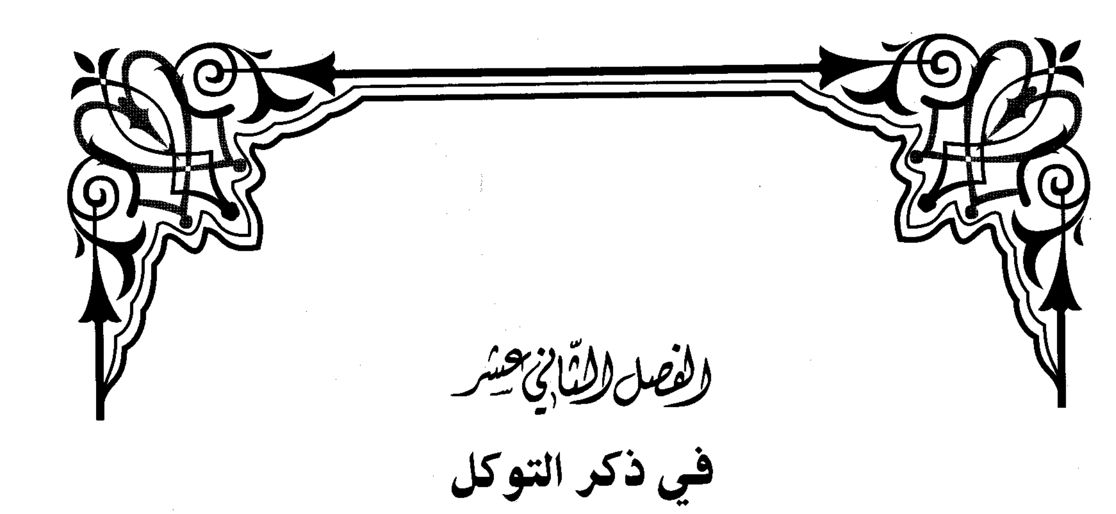
يا هٰذا ! تفكَّر في أمرك ، وانقضاءِ عمرك ، وإخراجِك من قصرك ، والوزرِ الذي علىٰ ظهرك ، ومحاسبتِك علىٰ سرِّك وجهرك .

عن أبي بكرٍ القرشيِّ ، قال : كان رجلٌ من أهل النعمة واليسار ، له جاريةٌ كان بها مشغوفاً ، وكان يتمنىٰ الولدَ منها ، فمكثت عندَه سنتين ، ثم إنها اشتملت علىٰ حملٍ ، فاشتد [فرحُه] بذٰلك ، وطالت عليه الأيام ؛ لشوقه إِلَىٰ ولدها ، حَتَّىٰ إذا دخلت شهرَها ، وَحَزَبَها الطلقُ ، عرضت له علةٌ ، فمرض أياماً يسيرةً ، وهي في طُلْقها ، ثم إن الموتَ نزلَ به ، وولدتِ الجارية غلاماً في الليلة التي مات منها ، فقال رجل من قريش ، يعتبر بذٰلك :

فِيمَـنْ مَضَـىٰ لَـكَ إِنْ فَكَّـرْتَ مُعْتَبَـرُ
وَفـي اللَّيَـالِـي وَفـي الأَيَّـامِ مُـدَّخَـرُ

بيْنَــا الفَتَــىٰ بِلَــذِيــذِ العَيْــشِ مُغْتَبِــطٌ
إِذْ صَــار فــي القَبْــرِ لا عيــنٌ وَلا أَثَــرُ
لــوْ لَــمْ يَــرَ المَــرْءُ إِلا مــا يُعَــايِنُــهُ
لَكَــانَ فيــهِ لَــهُ وَعْــظٌ وَمُــزْدَجَــرُ
أما رَأَيْــتَ ابــن حَفْــصٍ يَــرْتَجِــي ذَكَــراً
مِــنْ مُنْبِــهٍ زَانَهَــا مَــعَ دِلِّهــا الخَفَــرُ
لمَّــا دَنَــا دك مِنْهَــا وامْتَــلا فَــرَحــاً
وَمَــدَّ عَيْنَيْــهِ لِلمَــوْلُـ[ــو]دِ يَنْتَظِــرُ
إذا المَنِيَّـــــةُ وَافَتْـــــهُ تـــــركـــــت
والصَّفْــوُ لا بُــدَّ مَقْــرُونٌ بِــهِ الكَــدَرُ
فهُــوْ يُعَــالِــجُ كَــرْبَ المَــوْتِ مُشْتَغِــلاً
وَتِلْــكَ فــي الطَّلْــقِ قَــدْ حَلَّــتْ بِهَــا الغِيَــرُ
لــم يَلْبَــثِ المَــرْءُ حَتَّــىٰ مَــجَّ مُهْجَتَــهُ
وَأَتْبَــعَ المَيْــتَ مَــوْلُــودٌ لَــهُ ذَكَــرُ
يــا يُتْمَــهُ قَبْــلَ أَخْــذِ القَــابِــلاتِ لَــهُ
أَضْحَــىٰ يَتِيمــاً وَلَــم تُقْطَــعْ لَــهُ السُّــرَرُ
مــنْ ذَا حَفِيَّــاً بِــهِ مَــنْ ذَا يُسَــرُّ بِــهِ
لا يَعْــرِفُ الأبُ أن الفَــيْ لَــهُ عَبَــرُ
[. . . . .] فــــاصْطَبِــــروا
فَــالصَّبْــرُ أَفْضَــلُ شَــيءٍ نَــالَــهُ البَشَــرُ

❐ ❐ ❐



في ذكر التوكل

قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] .

وقال : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٣] .

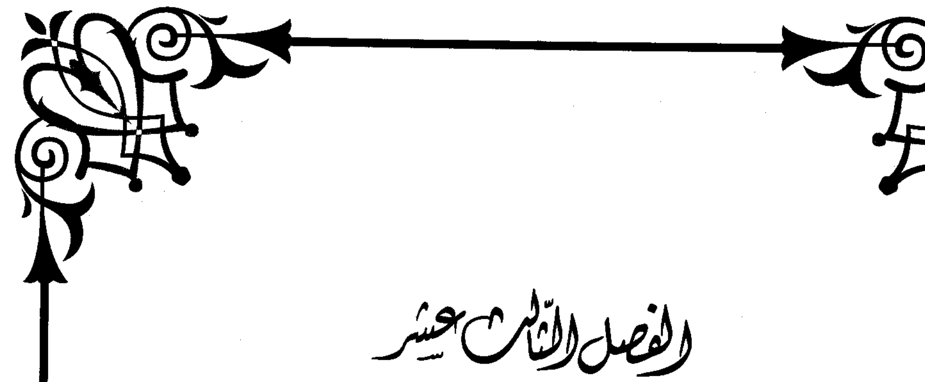
لقد أبانت لكم الدنيا مصيرَها ، وكشفت لكم عن سرِّها ؛ كما قيل :

تَمَنَّيْتَ الإقَامَةَ يَا خَلِيلِي
وَمَا دُنْيَاكَ دَارٌ لِلإِقَامَهْ

اعلم يا أخي ! أنك عن الدنيا محروف ، ومنها مخطوف ، فإذا صعُب بك أمر ، أو كنت منه مخوفاً ، فقل : توكلت علىٰ ٱلله ؛ فإن ٱلله تعالىٰ يقول : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : ٣] .

إخواني ! كم أنعم عليكم ، وحُبيتم ؟ ! كم أرشدتم إِلَىٰ الصواب وهُديتم ؟ ! كم وقعت لكم حاجة فكُفيتم ؟ ! يا مبارزين بالذنوب ما خفيتم ، اعملوا ما شئتم .

❑ ❑ ❑



الفصل الثالث عشر

وفيه فصلان :

الفصل الأول : في فعل المعروف .

الفصل الثاني : في ذم الغيبة والنميمة .



الفصل الأوّل

في فعل المعروف

قال رسول ٱلله ﷺ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرَباً مِنْ كُرُوبِ الدُّنْيَا ، نَفَّسَ ٱلله عَنْهُ كُرَباً مِنْ كُرُوبِ الآخِرَةِ[1] »[2] .

وعن بلال ، عن النبي ﷺ ، قال : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، وَالمَعْرُ[و]فُ يَقِي سَبْعِينَ نَوْعاً مِنَ البَلاءِ ، وَيَقِي مِيتَةَ السُّوءِ »[3] .

وروىٰ مسلم ، عن النبي ﷺ ، قال : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ »[4] .

قَالَ رسول ٱلله ﷺ ، قال : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، وَمِنَ المَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَائِهِ » أفرده البخاري[5] .

---

(١) في الأصل : « الدنيا » .

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » (١) .

(٤) رواه مسلم (١٠٠٥) عن حذيفة رضي ٱلله عنه ، ورواه البخاري (٥٦٧٥) عن جابر بن عبد ٱلله رضي ٱلله عنهما .

(٥) لم يروه البخاري ، وإنما رواه الترمذي (١٩٧٠) عن جابر رضي ٱلله عنهما ، وقال : حسن .

فصل

وأما ثواب المعروف في الآخرة ، فروي عن أنس بن مالك ، قال : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ ، جَمَعَ ٱلله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَهْلَ الجَنَّةِ صُفُوفاً ، وَكَذَا أَهْلَ النَّارِ ، فَنَظَرَ الرَّجُلُ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ النَّارِ إِلَىٰ الرَّجُلِ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فيَقُولُ : يا فُلان ! ما تَذْكُرُ يَوْماً اصْطَنَعْتُ إِلَيْكَ فِيهِ مَعْرُوفاً ؟ ! ، قالَ : فيُقَالُ : خُذْ بِيَدِهِ فَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ »[1] .

* * *

فصل

وعلىٰ المؤمن أن يكافئ ولو بالشكر .

رُوي عن [ابن] عمرَ ، عن النبي ﷺ ،قال : « مَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً ، فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ما تُكَافِئُونَهُ بِهِ ، فَادْعُوا لَهُ ، حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ »[2] .

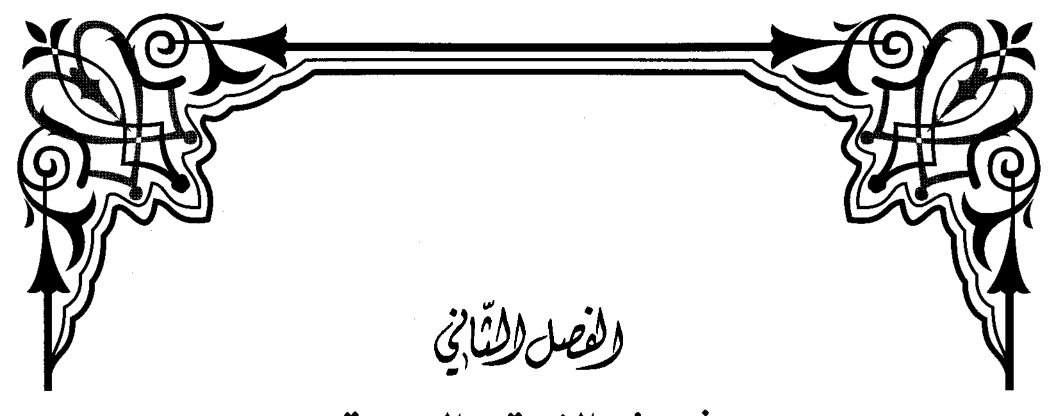
سبحانَ مَنْ كسر الخلائق أجمعين ، ويميز بين من يصدق ويبين ، ويصير في ذات الشمال وذات اليمين ، فهـٰؤلاء [مع] حزب الشيطان اللعين ، وهـٰؤلاء مع الولدان والعين ، ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الزمر : ٧٥] .

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » (١٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٦٨٧) .

(٢) رواه أبو داود (١٦٧٢) ، والنسائي (٢٥٦٧) .



الفصل الثاني

في ذم الغيبة والنميمة

قَالَ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾ [الحجرات : ١١] .

قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

قال ابن عباس : نهىٰ المؤمن أن يظنَّ بالمؤمن(١) شراً(٢) .

وقال الزجَّاج : هو أن يظن بأهل الخير سوءاً ، ﴿ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

ثم قال بعض العلماء : يأثم بنفس ذٰلك الظن ، وإن لم ينطق به(٣) .

﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

عن أبي هريرة قال النبي ﷺ : « يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا ، فَيُقَالُ لَهُ : كُلْ لَحْمَ أَخِيكَ مَيْتاً كَما أَكَلْتَهُ حَيّاً »(٤) ، وذٰلك قولُه

---

(١) في الأصل : « الموت » .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٦ / ١٣٥) .

(٣) انظر : « زاد المسير » لابن الجوزي (٧ / ٤٦٩ ـ ٤٧١) .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٨٥٣) .

تعالىٰ : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات : ١٢] .

عن جابر : قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « الغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا » قالَوا : يا رسولَ ٱللهِ ! كيف ؟ قَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ يَزْني ، فَيَتُوبُ ، فَيَتُوبُ ٱللهُ عَلَيْهِ ، وَأَما صَاحِبُ الغِيبَةِ لا يَغْفِرُ لَهُ حَتَّىٰ يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ »(١) .

قيل للربيعِ بن خُثَيْمٍ : ما نراكَ تَعيبُ أحداً ، ولا تذمُّه .

فقَالَ : ما أنا عن نفسي براض(٢) .

روي عن أنسِ بن مالكٍ ، عن النبي ﷺ : « لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عبد حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ »(٣) .

سبحانَ من خلق سعيداً وشقياً ، وعاصياً وتقياً ، وأحضر جهنم متهماً وبريّاً ، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ .

جمع [. . .] ، وفرق علىٰ الفريقين رياً ، [. . .] وجعل التقي [. . .] ، ويصير الشقي عَمِيًّا ، فسلَّم مطيعاً ، وأهلك عصياً ، ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم : ٧٢] .

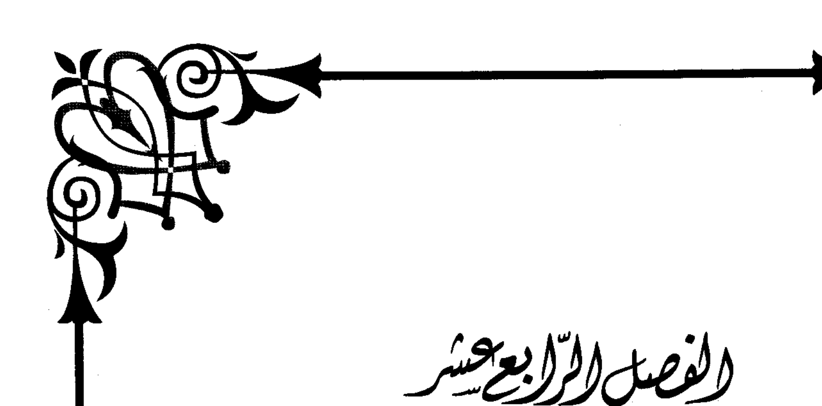
❒ ❒ ❒

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥٩٠) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢ / ١١٠) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٣ / ١٩٨)

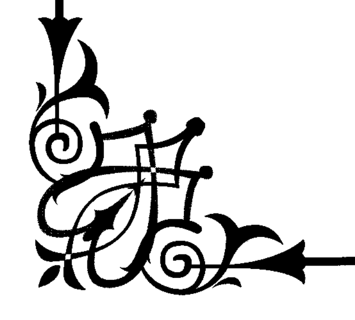


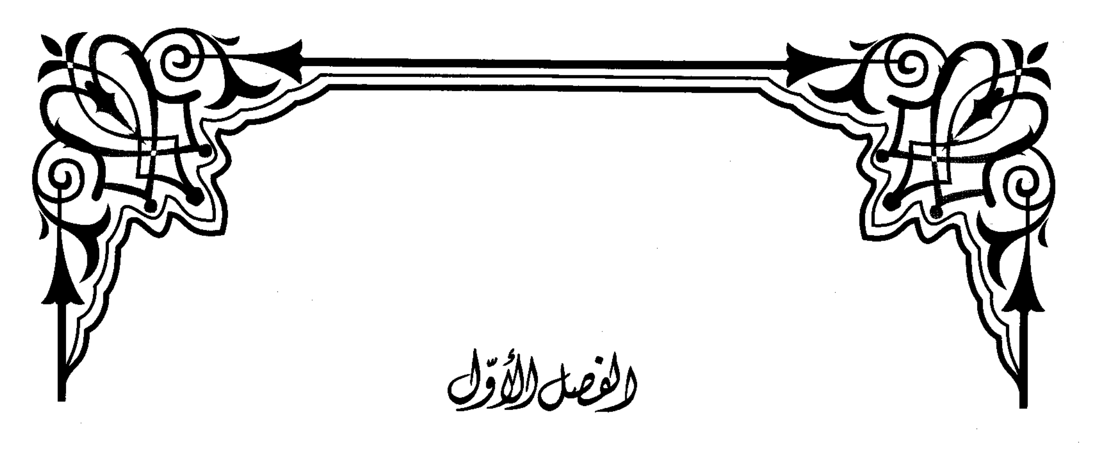
الفصل الرابع عشر

وفيه فصلان :

الفصل الأول : في كسر شهوة البطن .

الفصل الثاني : كسر شهوة الفرج .





الفصل الأول

في ذكر كسر شهوة البطن

قَالَ بعض السلف : من أكل كثيراً ، شربَ كثيراً ، ومن شرب كثيراً ، نام كثيراً ، ومن نام كثيراً ، فاته خير كثير .

عن أبي هريرةَ : قالَ النبيُّ ﷺ : « الكَافِرُ يَأْكُلُ في سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ ، وَالمُؤْمِنُ يَأْكُلُ في مِعًىٰ وَاحِدٍ »(١) .

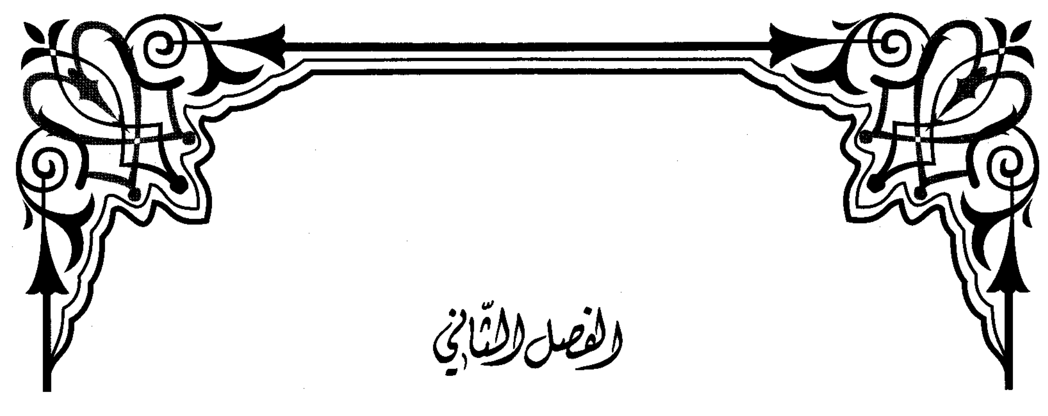
عن رسول ٱلله ﷺ : أنه قال : « طَعَامُ اثْنَيْنِ كَافٍ ثَلاثَةً ، وَطَعَامُ ثَلاثَةٍ كَافٍ أَرْبَعَةً »(٢) .

والأكلُ علىٰ مقام القدر يصلح البدنَ ، ويبطل المرض ، ويقلل النوم ، ويخفف موته ، ويَرِقُّ القلبَ ويُصَفِّيه .

❐ ❐ ❐

(١) رواه البخاري (٥٠٨١) ، ومسلم (٢٠٦١) عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما .

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٧) ، ومسلم (٢٠٥٨) من حديث أبي هريرة رضي ٱلله عنه .



الفصل الثاني

في ذكر كسر شهوة الفرج

عن [أسامةَ بنِ] زيدٍ : [أن] النبي ﷺ قال : « ما تَركْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ »[1] .

عن النبي ﷺ ، قال : « ما مِنْ ذَنْبٍ ـ بَعْدَ الشِّرْكِ بِٱللهِ ـ أَعْظَمَ مِنْ نُطْفَةٍ وَضَعَهَا رَجُلٌ في رَحِمٍ لا يَحِلُّ لَهُ »[2] .

عن النبي ﷺ ، قالَ : « يا مَعْشَر العُزَّابِ ! مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ ، فَلْيَتَزَوَّجْ ؛ فَإِنَّهُ أَغضُّ لِلبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلفَرْجِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَعَلَيْهِ بِالصِّيَامِ »[3] .

لما تلتحق الطباع إِلَىٰ الدنيا صابية ، رفضوها عن عزيمة أبية ، ثنوا قلوبهم إِلَىٰ الدار النائية ، ورأوها بعين اليقين دانية ، فآثر[و]ها علىٰ

---

(١) رواه البخاري (٤٨٠٨) ، ومسلم (٢٧٤١) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا ، عن الهيثم بن مالك الطائي مرسلاً ، كما ذكر المناوي في « فيض القدير » (٥ / ٤٧٩) .

(٣) رواه البخاري (٤٧٧٩) ، ومسلم (١٤٠٠) عن عبد ٱلله بن مسعود رضي ٱلله عنه .

الحقيرة والفانية ، يطلبون العيشة الهانية ، هِمَمُهم ليس متدانية ، تنهض نهوضَ السباع الضارية ، سارية عن عاداتها ، منتصبة في عباداتها كالسارية ، كانوا يقومون والليالي داجية ، قيامَ نفس خائفةٍ راجية ، يسهرون طولَ الليالي الشاتية ، يستعدون للصيحة الآتية .

❑ ❑ ❑



الفصل الأول

في ذم الدنيا

قال رسولُ ٱلله ﷺ : « وَٱلله ! ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هٰذهِ في اليَمِّ ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ ؟ » ، وأشار بالسبابة[1] .

عن المستورِدِ ، قال : كنتُ مع رسول ٱلله ﷺ ، إذ مر بسخلةٍ منبوذةٍ ، فقالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « أَتَرَوْنَ هٰذهِ هَانَتْ عَلَىٰ أَهْلِهَا ؟ » ، فقالَوا : يا رسول ٱلله ! مِنْ هوانها ألقَوْها ، قال : « فَوَ الَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! الدُّنْيا أَهْوَنُ عَلَىٰ ٱلله مِنْ هٰذهِ عَلَىٰ أَهْلِهَا »[2] .

قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ »[3] .

وعن رسولِ ٱلله ﷺ، قال : «إِنَّ ٱللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لَيَحْمِي عَبْدَهُ المُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيا وهو يحبُّه كَما تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ »[4] .

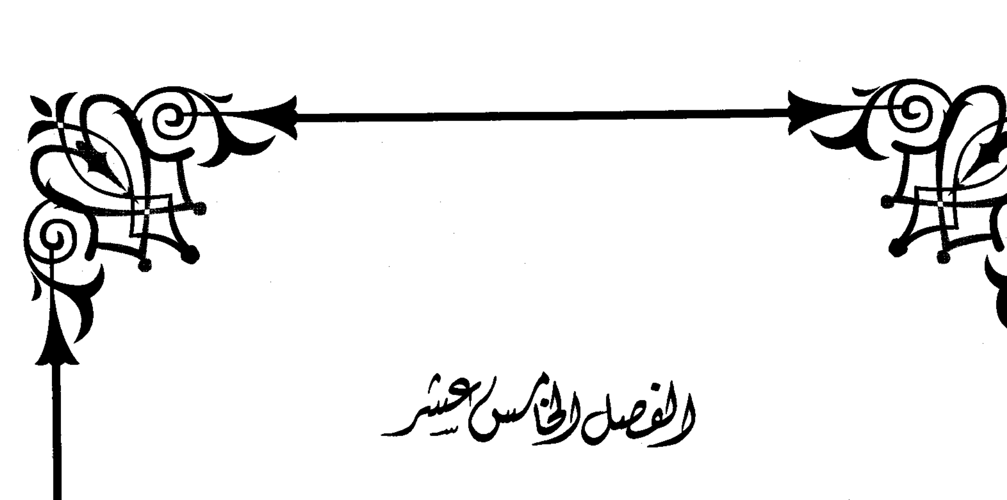
---

(١) رواه مسلم (٢٨٥٨) ، عن المستورد رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢١) ، وابن ماجه (٤١١١) .

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٦) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٤) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٥ / ٤٢٧) عن محمود بن لبيد رضي ٱلله عنه .

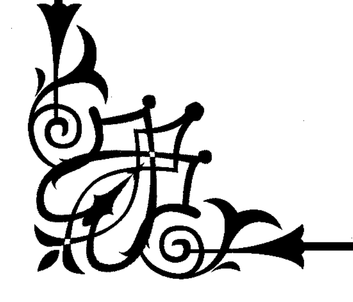


الفصل الخامس عشر

وفيه فصلان :

الفصل الأول : في ذم الدنيا .

الفصل الثاني : في ذم الأمل .

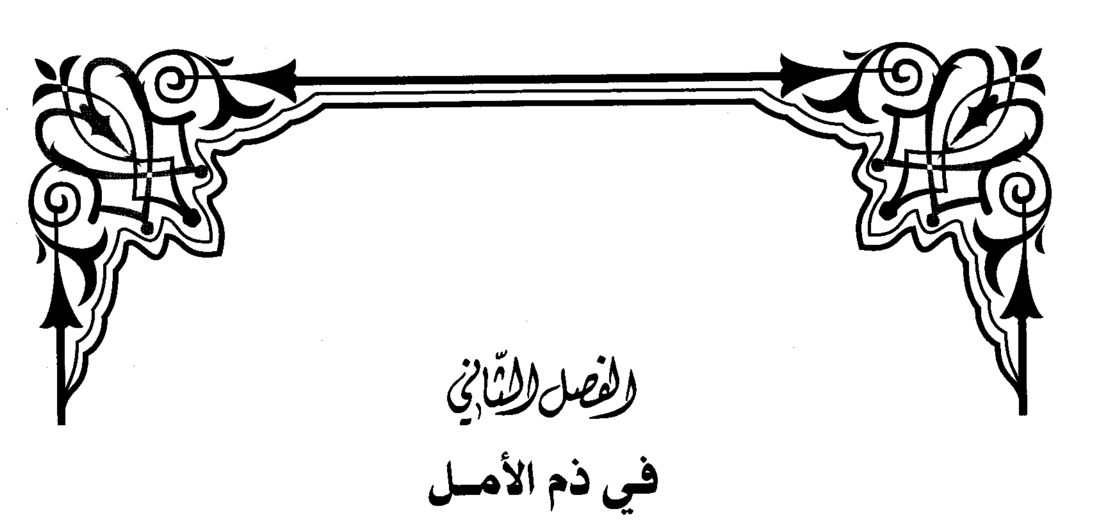


وروىٰ أبو موسىٰ : عن النبي ﷺ ، قال : « مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ ، أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ ، أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ »[1] .

لقد وعظَكَ الدهرُ بمرور الأيام والشهور ، ورأيتَ الحزنَ عقيبَ السرور ، وعلمتَ أن الزمان بأهله معثور ، وتيقنتَ أن آخر الأمرِ القبور ، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد : ٢٠] .

❐ ❐ ❐

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٧٠٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٧٨٥٣) .



الفصل الثاني

في ذم الأمـل

عن أنس ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « يَهْرَمُ ابن آدمَ ، وَيَبْقَىٰ فِيهِ خَصْلَتَانِ : الحِرْصُ ، وَطُولُ الأَمَلِ »(١) .

وقد أمرَ رسولُ ٱلله ﷺ بتقصير الأمل .

عن رسولِ ٱلله ﷺ ، قال : « يَحْيَا أَوَّلُ هـٰذهِ الأُمَّةِ بِاليَقِينِ وَالزُّهْدِ ، وَيَهْلِكَ آخِرُهَا بِالبُخْلِ وَالأَمَلِ »(٢) .

وجدوا حجراً منقوراً فيه مكتوب : ابن آدمَ ! إنك لو رأيتَ قريبَ ما بقيَ من أجلك ، لزهدت في طولِ أملِك ، ولرغبتَ في الزيادةِ من عملك ، ولقصرْتَ من حرصِك وحِيَلِك ، وإنما يلقاك غداً ندمُك ، ولو قد زلَّتْ قدمُك ، وأسلمكَ أهلُك وحشَمُك ، فبان منك الولدُ القريب ، ورفضك الوالدُ والنسيب ، فلا أنتَ إِلَىٰ دنياك عائد ، ولا في حسناتك

(١) رواه البخاري (٦٠٥٨) ، ومسلم (١٠٤٧) ، واللفظ له .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٢٠) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٥٠) ، من حديث عبد ٱلله بن عمرو بن العاص رضي ٱلله عنهما .

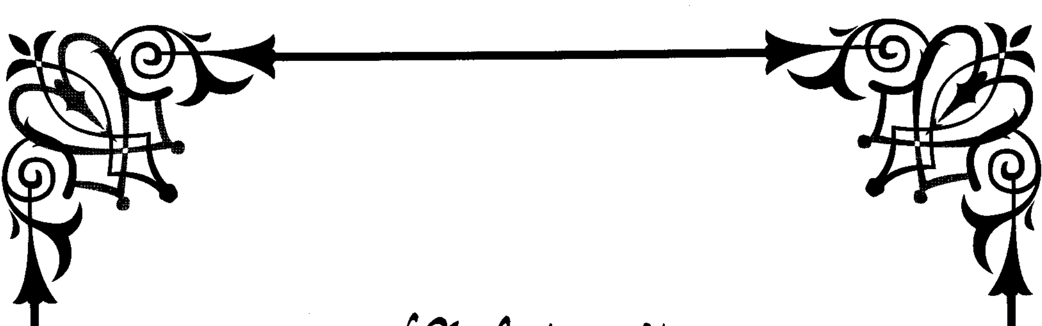
زائد ، فاعمل ليوم القيامة ، قبلَ الحسرة والندامة . هـٰذا آخره .

قُـــلْ لِلمُـــؤَمِّـــلِ وَالمَنَـــايـــا شُـــرَّعٌ
مَـــاذَا يَغُـــرُّكَ أيـــنَ مَـــنْ لَـــمْ يَخْلُـــدِ
يـــا بْـــنَ الَّـــذِيـــنَ تَقَطَّعَـــتْ أَوْصَـــالُهُـــمْ
تَـــرْجُـــو البَقَـــاءَ وَأَنْـــتَ غَيْـــرُ مُخَلَّـــدِ
وَأبـــوكَ قَبْلَـــكَ كَـــانَ يَـــأْمُـــلُ مـــا تَـــرَىٰ
حَتَّـــىٰ أَتَتْـــهُ مَنِيَّـــةٌ لَـــمْ تُـــرْدَدِ

لَوْ رأيتَ الفاجرَ يومئذٍ قد أسر ، وَغُلَّ بعدَ الإطلاق ، وحُبِس وقسر ، ولِما ربح المتقون حُسر ، ﴿ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ .

عرض علىٰ العاصي ما كُتب وسُطر ، وذلَّ ذاك المتجبرُ البَطِر ، وودَّ لو أنّه عاد كما فُطر ، ﴿ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر : ٨] .

❐ ❐ ❐



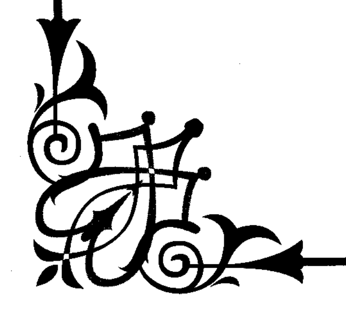
الفصل السادس عشر

فيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في ذم البخل .

الفصل الثاني : في ذم الحسد .

الفصل الثالث : في ذم الغضب .





الفصل الأول

في ذم البخل

قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

عن النبي ﷺ : أنه كان يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ »[١] .

عن النبي ﷺ ، قال : « اتَّقُوا الشُّحَّ ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ؛ حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَهُمْ »[٢] .

* * *

مسألة

إن قيل : البخلُ والشحُّ واحد ؟

---

(١) رواه أبو داود (١٥٣٩) ، والنسائي (٥٤٨١) ، وابن ماجه (٣٨٤٤) ، من حديث عمر بن الخطاب رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٨) ، عن جابر بن عبد ٱلله رضي ٱلله عنهما .

فالجواب : أنه يعبر بهـٰذا عن هـٰذا .

قَالَ الخطابي : الشحُّ أبلغُ ، فهو بمنزلة الجنسِ ، والبخلُ بمنزلة النوعِ ، والبخلُ : في أفرادِ الأمور ، والشحُّ عام .

وقَالَ بعضهم : البخلُ : أن يبخل بماله ، والشحُّ : أن يبخل بماله ومعروفه[1] .

* * *

مسألة

فإن قيل : ما البخلُ المذموم ؟

فالجواب : إن قوماً حَدُّوه بمنع الواجب ، وإنما أرادوا البخل الذي يقع عليه العقوبة ، ومن أدىٰ الواجب يسلمْ من العقوبة ، وٱلله كريم يحبُّ الكريم ؛ جواد يحب الجواد .

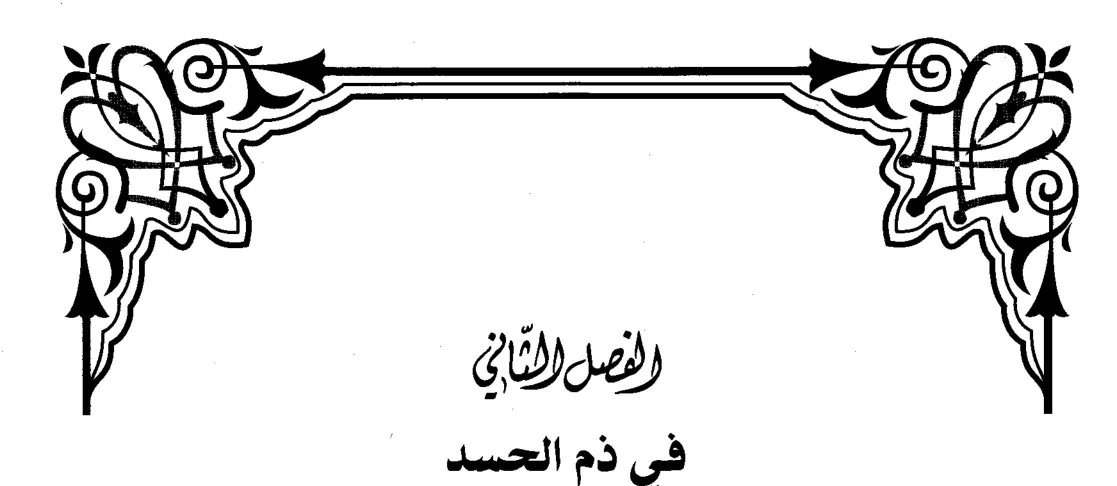
روي عن النبي ﷺ : أنه كان أجودَ من الريحِ المرسَلَةِ[2] .

❐ ❐ ❐

---

(١) انظر : « زاد المسير » لابن الجوزي (٨ / ٢١٥) .

(٢) رواه البخاري (٦) عن ابن عباس رضي ٱلله عنهما .



في ذم الحسد

روي عن النبيِّ ﷺ : أنّه قال : « لا تَحَاسَدُوا ، وَلا تَبَاغَضُوا ، وَلا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا ـ عِبَادَ ٱلله ـ إِخْوَاناً »[1] .

وروي عن أنسٍ : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَما تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ »[2] .

وقيل : إن رجلاً انقطعَ إلىٰ بعض [الكرماء] ، فأتحفه بشحمه ، وكفاه مؤنَتَه ، فبَطِرَ النعمةَ ، وسعىٰ بذٰلك الكريم إلىٰ الأمير ، فأرسل إليه الأميرُ ، فأخبره بما نقل عنه ، فانكسر ، فقَالَ : فلان يخبر عنك بذٰلك ، فسكت متعجباً !

فقال الأمير : ما لك ؟

فقال : أخاف أن أكونَ قصَّرت في الإحسان إليه ، فحملَه ذٰلك علىٰ مساوئ أخلاقه .

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢١٠) .

فقال له الأمير : سبحان ٱلله ! أعجب ما بينكما في الطبع ، أنت تحنو عليه ، وهو يسعىٰ في سفكِ دمك ، أشهدُ إنك لكريم ، وإنَّه للئيم .

ذكر ابن الجوزي هنا مسألة ؛ فقال : إن قال قائل : الحسدُ أمرٌ باطن ، فكيف السبيلُ إِلَىٰ زواله ؟ .

فالجواب : أن الآدمي قد جُبل علىٰ حب الرفعة ، فلا يحب أن يعلو أحدٌ عليه في نعمة من نعم ٱلله تعالىٰ ، فإذا علا عليه أحدٌ ، شَقَّ عليه ، وأحبَّ زوال ما علا به .

* * *

مسألة

فإن قيل : هل للحسد دواء ؟

فالجواب : إنّ الحسد أولاً يضرُّ الحاسدَ في الدين والدنيا ، ولا يستضر بذٰلك المحسود .

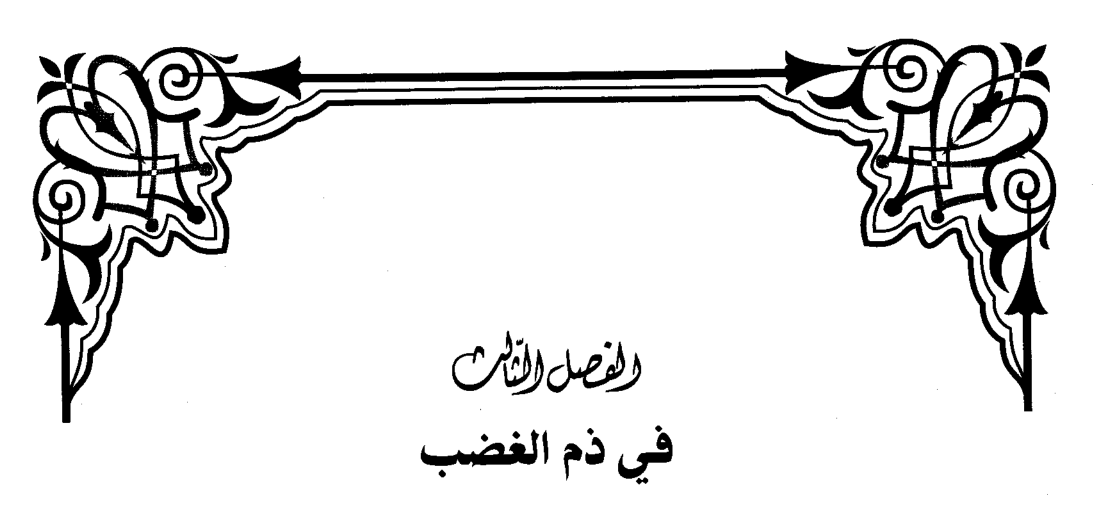
[أَلا] أَيُّهَا القَلْبُ الكَثِيرُ عَلائِقُهْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ تَجْرِي بَوَائِقُهْ
تُسَابِقُ رَيْبَ الدَّهْرِ في طَلَبِ المُنَىٰ
بِأَيِّ جَنَاحٍ خِلْتَ أَنَّكَ سَابِقُهْ
أَلا أَيُّهَا البَاكِي عَلَىٰ المَيْتِ بَعْدَهُ
رُوَيْدَكَ لا تَعْجَلْ فَإِنَّكَ لاحِقُهْ

وَمـا تَخْطَـفُ السَّـاعَـاتُ إِلَّا عَلَـىٰ الفَتَـىٰ
تُعَـــافِصُـــهُ طَـــوْراً وَطَـــوْراً تُسَـــارِقُـــهْ
أَرَىٰ صَـــاحِـــبَ الـــدُّنْيـــا مُقِيمـــاً بِجَهْلِـــهِ
عَلَـــىٰ ثِقَـــةٍ مِـــنْ صَـــاحِـــبٍ لا يُـــوَافِقُـــهْ
هِـــيَ الـــدَّارُ دَارٌ يُسْتَـــذَلُّ عَـــزِيـــزُهَـــا
وَإِنْ كَـــانَ مَغْشِيـــاً عَلَيْـــهِ سُـــرَادِقُـــهْ

قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « لا تَزُولُ قَدَما امْرِىءٍ حَتَّىٰ يُسْأَلَ : عَنْ عُمُرِهِ فِيما أَفْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيما فَعَلَ فيهِ ، وَعَنْ مَالِهِ فِيما فَعَلَ فِيهِ ، وَمِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيما أَبْلاهُ »[1] .

❐ ❐ ❐

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧) عن أبي برزة الأسلمي رضي ٱلله عنه .



الفصل الثالث

في ذم الغضب

قَالَ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورىٰ : ٣٧] .

عن النبي ﷺ ، قال : « إِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ في قَلْبِ ابن آدَمَ ، أَلا تَرَوْنَ إِلَىٰ حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ، وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ ؟ »[١] .

قال القاضي : يُستحب لمن غضب : إن كان قائماً ، جلس ، وإن كان جالساً ، اتكأ .

عن أبي هريرةَ ، قال : أتىٰ إِلَىٰ النبيِّ ﷺ رجلٌ ، فقَالَ : أوصني ، قَالَ : « لا تَغْضَبْ » ، فردَّد مراراً ، قَالَ : « لا تَغْضَبْ »[٢] .

عن النبيِّ ﷺ ، قال : « مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ ، سَتَرَ ٱللهُ عَوْرَتَهُ »[٣] .

عن النبيِّ ﷺ : أنه قال : « ما تَرَجَّىٰ عبد رَجْوىٰ أَفْضَلَ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ حَبْسِ غَضَبِهِ » .

---

(١) رواه الترمذي (٢١٩١) عن أبي سعيد رضي ٱلله عنه .

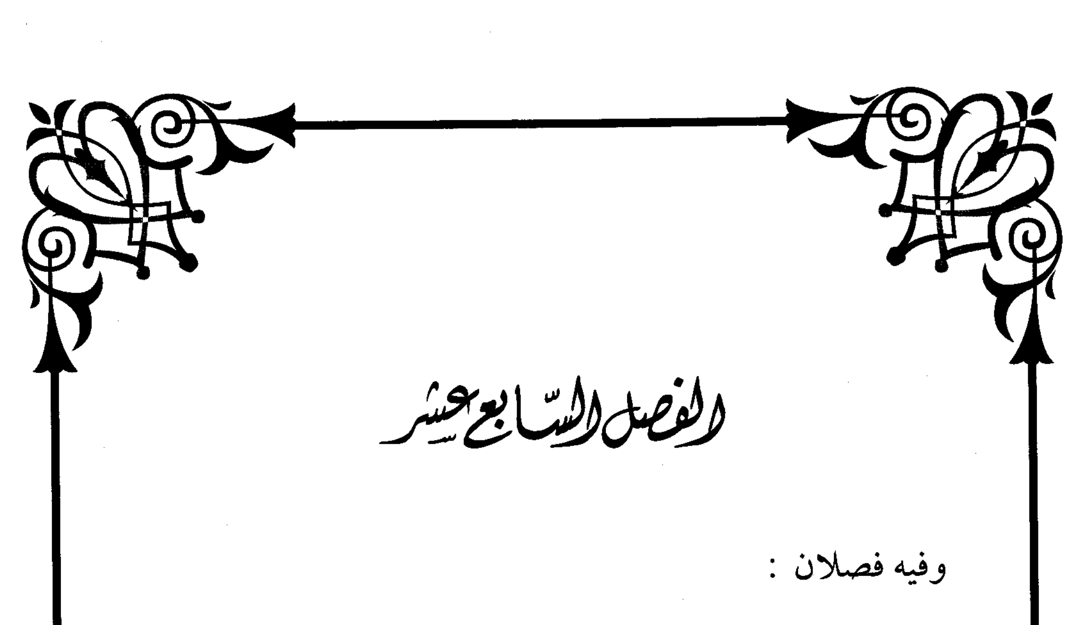
(٢) رواه البخاري (٥٧٦٥) .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٠٢٦) عن ابن عمر رضي ٱلله عنهما .

خُـذْ مـا صَفَـا لَـكَ فَـالحَيَـاةُ غُـرُورُ
وَالمَـوْتُ آتٍ وَاللَّبِيـبُ خَبِيـرُ
لا تَعْتَبَـنَّ عَلَـىٰ الـزَّمَـانِ فَـإِنَّـهُ
فَلَـكٌ عَلَـىٰ قُطْـبِ الهَـلاكِ يَـدُورُ

إذ لقي الفاجرُ ملائكةً صِعابا ، وشاهدَ النار تلهَّبُ التهابا ، وسئل ولم نسمع لهٰذا العتاب جوابا ، فتلقته سهامٌ ما زالت صِيابا ، قَالَ بلسان الحسرة وقد صار له دابا : ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ : ٤٠] .

❐ ❐ ❐

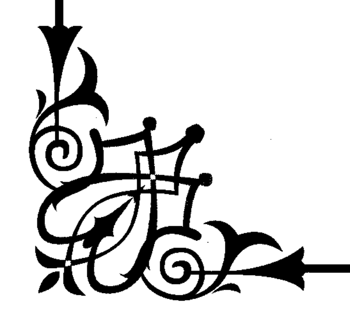


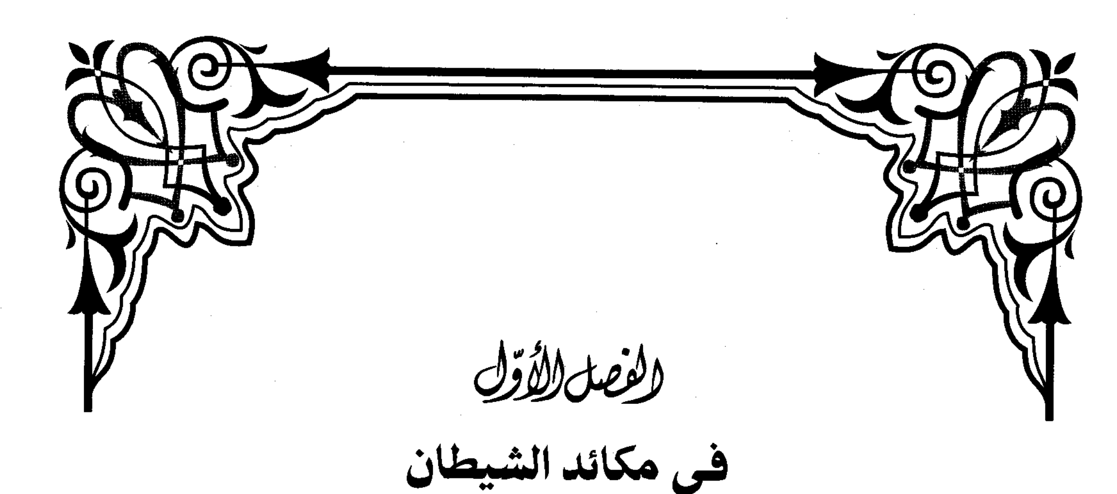
الفصل السابع عشر

وفيه فصلان :

الفصل الأول : في مكائد الشيطان .

الفصل الثاني : في التحذير من الغرور .





الفصل الأوّل

في مكائد الشيطان

قال ٱلله ـ عز وجل ـ : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

الشيطان : اسم لكل متمرد .

قَالَ أبو عبيدة : من الجن والإنس ، والدواب ، واختلفوا : هل نونُ الشيطان أصلية ، أم زائدة ؟ علىٰ قولين .

المراد بالشيطان هاهنا : إبليس .

في « الصحيحين » : عن النبيِّ ﷺ ، قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابن آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ »(١) .

كانت رابعةُ تقول : أما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب ، يوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل .

إخواني ! هٰذا العدو الذي أخرج أباكم من الجنة ، فإنه ساعٍ في

---

(١) رواه البخاري (١٩٣٤) ، ومسلم (٢١٧٥) عن صفية رضي ٱلله عنها .

منعكم منها بكل سبيل ، والعداوة بينكم وبينه قديمة ، فإياكم منه ! فلا تجعلوا له عليكم سبيلاً .

وأنشد بعضهم :

فَحَــيَّ عَلَــىٰ جَنَّــاتِ عَــدْنٍ فَــإِنَّهَــا
مَنَــازِلُــكَ الأُولَــىٰ وَفِيهَــا المُخَيَّــمُ
وَلٰكِنَنَــا سَبْــيُ العَــدُوِّ فَهَــلْ تُــرَىٰ
نَعُــودُ إِلَــىٰ أَوْطَــانِنَــا وَنُسَلَّــمُ

❐ ❐ ❐



في التحذير من الغرور

عن ابن مسعودٍ : أن النبيَّ ﷺ قرأ : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ، قيل : وكيف ذٰلك ؟ قال : « يُدْخِلُ النُّورَ في قَلْبِهِ ، فَيَنْفَتِحُ لَهُ » ، قيل : وما علامة ذٰلك ؟ قال : « التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ ، وَالإِنَابَةُ إِلَىٰ دَارِ الخُلُودِ ، وَالاِسْتِعْدَادُ لِلمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ »(١) .

قَالَ أبو الجواد المغربي : كنت ببيت المقدس جالساً ، وإذا قد طلع شابٌّ ، والصبيان حوله يرمونه بالحجارة ، ويقولون : مجنون ، فدخل المسجد ، وجعل ينادي : اللَّهُمَّ أَرِحْني من هٰذه الدار ، فقلت له : هٰذا كلام حكيم .

فقَالَ : ليس بي جنون وولق ، بل قَلَق وفَرَق ، ثم أنشأ يقول :

هَجَرْتُ الكِرَىٰ في حُبِّ مَنْ جَادَ بِالنِّعَمْ
وَعِفْتُ الكَرَىٰ شَوْقاً إِلَيْهِ فَلَمْ أَنَمْ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٣١) ، والحاكم في « المستدرك » (٧٨٦٣) .

وَمَــوَّهْــتُ دَهْــرِي بِــالجُنُــونِ عَــنِ الهَــوَىٰ
لِــأَكْتُــمَ مــا بِــي مِــنْ هَــوَاهُ فَمــا انْكَتَــمْ
فَلَمَّــا رَأَيْــتُ الشَّــوْقَ وَالحُــبَّ بَــائِحــاً
كَشَفْــتُ طِبَــاعِــي ثُــمَّ قُلْــتُ نَعَــمْ نَعَــمْ
فَــإِنْ قِيــلَ مَجْنُــونٌ فَقَــدْ جَنَّنِــي الهَــوَىٰ
وَإِنْ قِيــلَ مِسْقَــامٌ فَمــا بِــيَ مِــنْ سَقَــمْ
وَحَــقِّ الهَــوَىٰ وَالحُــبِّ وَالعَهْــدِ بَيْنَنَــا
وَحُــرْمَــةِ رُوحِ الأُنْــسِ فــي حِنْــدِسِ الظُّلَــمْ
لَقَــدْ لامَنِــي الــوَاشُــونَ فِيــكَ جَهَــالَــةً
فَقُلْــتُ لِطَــرْفِــي أَفْصَــحَ العُــذْرُ فَــاحْتَشَــمْ
فَعَــاتَبَهُــمْ طَــرْفِــي بِغَيْــرِ تَكَلُّــمِ
وَأَخْبَــرَهُــمْ أَنَّ الهَــوَىٰ يُــورِثُ السَّقَــمْ
فَبِــالحِلْــمِ يــا ذَا المَــنِّ لا تُبْعِــدَنَّنِــي
وَقَــرِّبْ مُــرَادِي مِنْــكَ يــا بَــارِئَ النَّسَــمْ

فقلت له : أحسنتَ ، لقد غلطَ من سَمَّاك مجنوناً ، فنظر إلي وبكىٰ ، وقال : أَوَ لا تسألني عن القوم كيف وصلوا فاتصلوا ؟ قلت : بلىٰ ، أخبرني .

فقال : طَهَّروا الأخلاق ، ورضُوا منه بيسير الأرزاق ، وهاموا من محبته في الآفاق ، واتَّزَروا بالصدق ، وارْتَدَوْا بالإشفاق ، وشَمَّروا تشمير الجهابذة الحُذَّاق ، حَتَّىٰ اتصلوا بالواحدِ الرزَّاق ، فشرَّدَهم في الشواهق ، وغيبهم عن الخلائق ، لا تُؤويهم دار ، ولا يقرهم قرار ، فالنظر إليهم اعتبار ، ومحبتُهم افتخار ، وهم صفوةُ الأبرار ، ورهبانٌ أخيار ، مدحَهم

الجبار ، ووصفهم النبيُّ المختار ، إن حضروا ، لم يعرفوا ، وإن غابوا ، لم يفتقدوا ، وإن ماتوا ، لم يشهدوا . ثم أنشأ يقول :

كُــنْ مِــنْ جَمِيــعِ الخَلْــقِ مُسْتَــوْحِشــاً
مِــنَ الــوَرَىٰ تَسْــرِي إِلَــىٰ الحَــقِّ
وَاصْبِــرْ فَبِــالصَّبْــرِ تُنَــالُ المُنَــىٰ
وَارْضَ بِمــا يَجْــرِي مِــنَ الــرِّزْقِ
وَاحْــذَرْ مِــنَ النُّطْــقِ وَآفَــاتِــهِ
فَــآفَــةُ المُــؤْمِــنِ فــي النُّطْــقِ
وَجِــدَّ فــي السَّيْــرِ مُجِــدّاً كَمــا
شَمَّــرَ أَهْــلُ السَّبْــقِ لِلسَّبْــقِ
أولـئــك الصَّفْــوَةُ مِمَّــنْ سَمَــا [1]
وَخِيــرَةُ ٱللهِ مِــنَ الخَلْــقِ

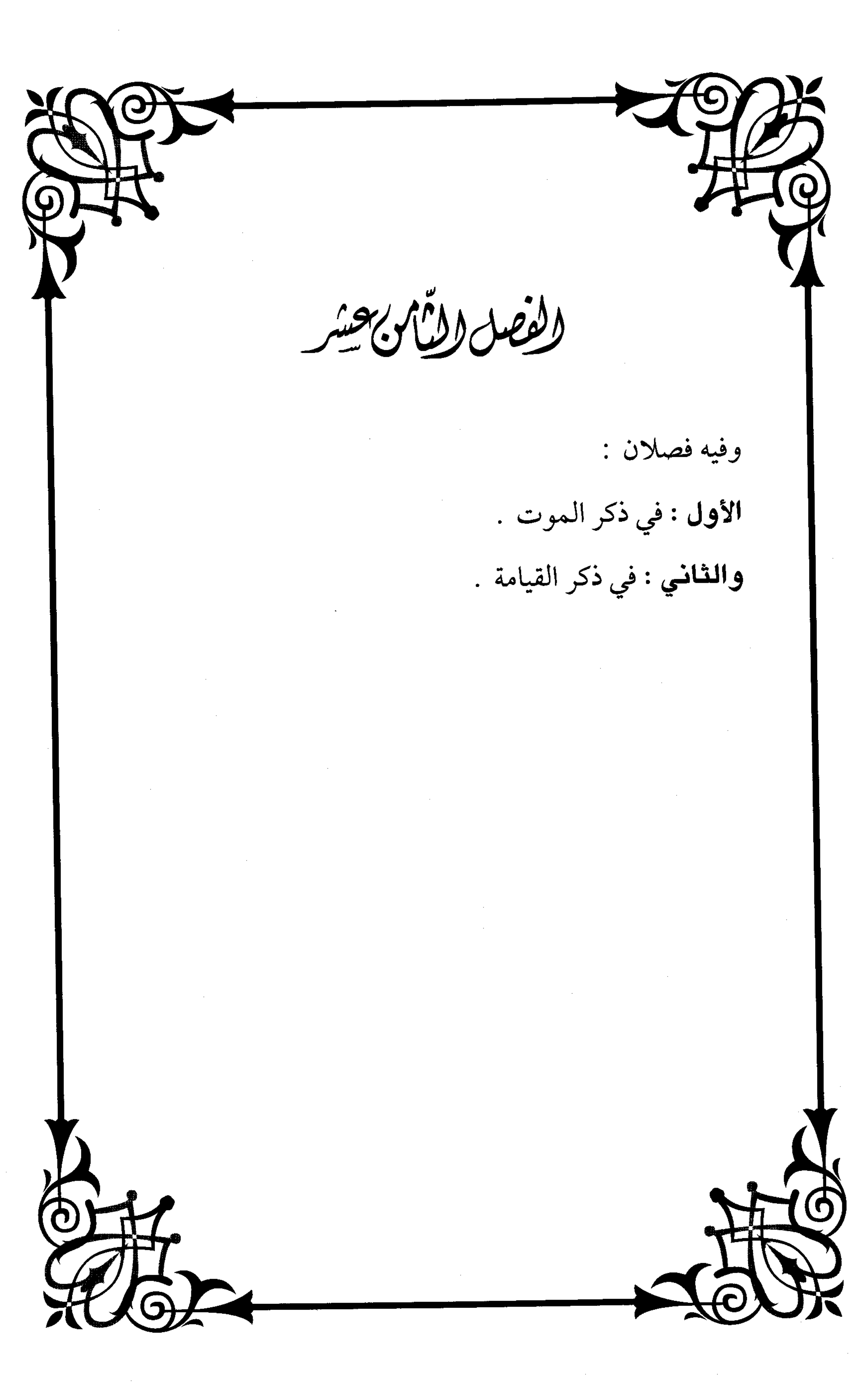
قَالَ : فأنسيت الدنيا عند حديثه ، ثم ولىٰ هارباً ، فأنا متأسفٌ عليه .

يا مَنْ جمعَ الأموال ورباها ، وأقرضَها ، ثم أكل رِباها ، وعلا من المحرمات علىٰ رُباها ، وافتخر بماله وجمعَه وباهىٰ ، كأنك بأشلائك والقبرُ قد حواها ، والترابُ قد أكلها وأبداها ، ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

❏ ❏ ❏

---

(١) في الأصل : « تسمىٰ » .

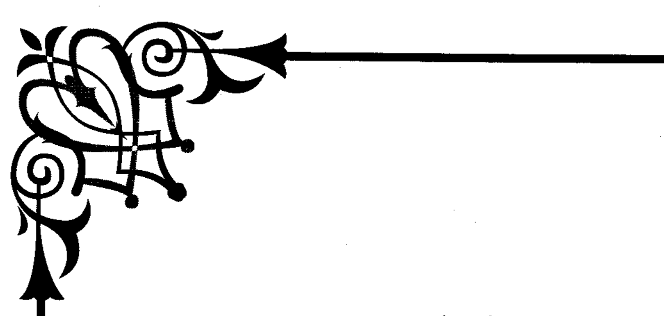
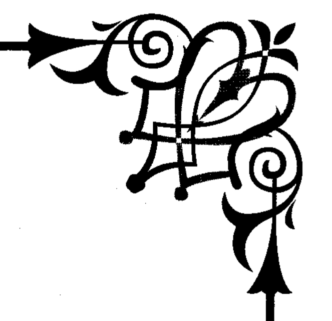


الفصل الثامن عشر

وفيه فصلان :

الأول : في ذكر الموت .

والثاني : في ذكر القيامة .

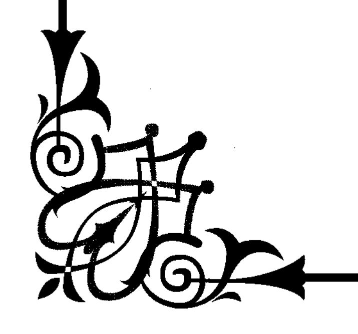
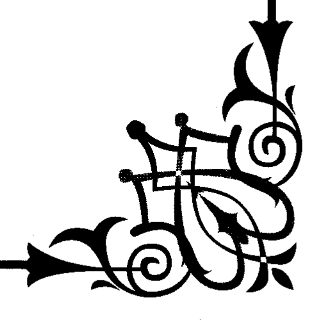



الفصل الأوّل

وفيه فصلان :

الفصل [الأول] : في ذكر الموت .

الفصل الثاني : في ذكر القبر .



الفصل [الأوّل]

في ذكر الموت

عن أبي هريرةَ ، قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « أَكْثِروا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ »[1] .

قال الربيعُ بن أبي راشدٍ : لو فارق ذكرُ الموت قلبي ، لفسدَ[2] .

قال مجاهد : ما من ميتٍ إلا عُرض عليه جلساؤه ، إن كانوا أهلَ ذكرٍ ، أو كانوا أهلَ لهوٍ[3] .

ويجتمع علىٰ ابن آدم ستٌّ شدائد :

الشدة الأولىٰ : مفارقةُ المالِ والولدِ والدنيا .

الشدة الثانية : [. . . . .] الأعمال .

الشدة الثالثة : حسراتُ الفوت حين لا يمكن الاستدراك ، وهي أشدُّ شدةٍ .

---

(١) رواه النسائي (١٨٢٤) ، والترمذي (٢٣٠٧) ، وابن ماجه (٤٢٥٨) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥ / ٧٥) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٤٩٧٧) .

الشدة الرابعة : معاينة المَلَك ، وهي حالة عظيمة .

الشدة الخامسة : ألمُ الموت ، ومنها قوله ﷺ : « إِنَّ لِلمَوْتِ سَكَرَاتٍ »[1] .

الشدة السادسة : نزولُه القبر ، وسؤاله .

وفي الآخرة ، وفيه أربعة شدائد :

الشدة الأولىٰ : القيامُ من قبورهم ، وما يقع بهم من العَرَقِ وشخوصِ الأبصار .

الشدة الثانية : الحساب .

الشدة الثالثة : المرور علىٰ الصراط .

الشدة الرابعة : الميزان .

المَوْتُ بَحْرٌ هَائِلٌ مَوْجُهُ
تَضِلُّ فيهِ حِيلَةُ السَّابِحِ
لا يَنْفَعُ الإِنْسَانَ فِي قَبْرِهِ
غيرُ[2] التُّقَىٰ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ

كان سليمانُ التيميُّ إذا مات في الحي ميتٌ ، لم ينم تلك الليلةَ .

وكان يحيىٰ بن أبي كثيرٍ إذا شاهدَ جنازةً ، لم يَتَعَشَّ تلك الليلةَ .

---

(١) رواه البخاري (٤١٨٤) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) في الأصل : « إلا » بدل « غير » .

إِخْوَانِي ! تذكروا ما لا ينساكم ، وتفكروا فيما لابدَّ يلقاكم ، وعمِّروا القبور ؛ فإنّها مأواكم ، وأخروا الغرور ، فكم غرَّ دنياكم ، واعتبروا بمن سواكم بسواكم .

دخل سابقٌ البربريُّ علىٰ عمرَ بن عبد العزيزِ ، فقال له : عِظْني وازجر ، فأنشده :

إِذَا أَنْـتَ لـمَ تَـرْحَـلْ بِـزَادٍ مِـنَ التُّقَـىٰ
وَوَافَيْـتَ بَعْـدَ المَـوْتِ مِـنْ قَـدْ تَـزَوَّدَا
نَـدِمْـتَ عَلَـىٰ أَنْ لا تَكُـونَ شَـرِيكَـهُ
وَأَرْصَـدْتَ قَبْـلَ المَـوْتِ مـا كَـانَ أَرْصَـدَا

فبكىٰ عمرُ ، وسقط مغشياً عليه .

❐ ❐ ❐



الفصل الثاني

في ذكر القبر

قال ابن الجوزيِّ : أخبرنا هبةُ ٱللهِ بن محمدٍ : أخبرنا الحسنُ بن عليٍّ التميميُّ : أخبرنا أحمدُ بن جعفرٍ : حدثنا عبد ٱلله بن أحمدَ : حدثنا أبي : حدثنا أبو معاويةَ : حدثنا الأعمشُ ، عن المنهالِ بن عمرَ ، عن زاذانَ ، عن البراءِ بن عازبٍ ، قال : خرجنا معَ رسولِ ٱللهِ ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلىٰ القبر ، ولَمَّا يُلْحَدْ ، فجلسَ رسولُ ٱللهِ ﷺ ، وجلسنا حولَهُ كأنّ علىٰ رؤوسنا الطيرَ ، وفي يده عودٌ ينكُتُ به الأرضَ ، فرفع رأسَه فقالَ : « اسْتَعِيذُوا بِٱللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ـ مرتين ، أو ثلاثاً ـ » .

ثم قال : « إنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ في انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ! اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَانٍ ، قَالَ : فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَما تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا ،

لَمْ يَدَعْهَا في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا ، وَيَجْعَلُوهَا في ذٰلك الكَفَنِ وَالحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ » .

قَالَ : « فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلا مِنَ المَلائِكَةِ إِلا قَالُوا : ما هٰذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلانُ ابن فُلانٍ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا في الدُّنْيَا ، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَيُفْتَحُ لَهُ ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ ٱللهُ ـ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ ـ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي في عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ » .

قال : « فَتُعَادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : ٱللهُ رَبِّي ، فَيَقُولانِ لَهُ : ما دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِيَ الإِسْلامُ .

فَيَقُولانِ لَهُ : ما هٰذا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟

فَيَقُولُ لَهُ : هُوَ رَسُولُ ٱللهِ .

فَيَقُولانِ لَهُ : ما علّمك ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ ٱللهِ ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَىٰ الجَنَّةِ » .

قَالَ : « فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ في قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ » .

قَالَ : « وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ ، حَسَنُ الثِّيَابِ ، طَيِّبُ الرِّيحِ ،

فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ، هـٰذا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي يَأْتِي بِالخَيرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ ، حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي » .

قَالَ : « وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الآخِرَةِ ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الدُّنْيَا ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ سُودُ الوُجُوهِ ، مَعَهُمُ المُسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ ! اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ ٱللهِ وَغَضَبٍ » .

قال : « فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كَما يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا ، لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ [رِيحِ] جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلأٍ مِنَ المَلائِكَةِ إِلا قَالُوا : ما هـٰذا الرُّوحُ الخَبِيثَةُ ؟ ! فَيَقُولُونَ : فُلانُ ابن فُلانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ ، فَلا يُفْتَحُ لَهُ » .

ثم قرأ رسولُ ٱللهِ ﷺ : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

« فَيَقُولُ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَىٰ فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً » .

ثم قرأ : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج : ٣١] .

« فَتُعَادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟

فَيَقُولُ : هَاهْ ، هَاهْ ، لا أَدْرِي .

فَيَقُولانِ لَهُ : ما دِينُكَ ؟

فَيَقُولُ : هَاهْ ، هَاهْ ، لا أَدْرِي .

فَيَقُولانِ لَهُ : ما هٰذا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟

فَيَقُولُ : هَاهْ ، هَاهْ ، لا أَدْرِي .

فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ كَذَبَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوه في النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَىٰ النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا ، وَسَمُومِهَا ، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هٰذا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ ! لا تُقِمِ السَّاعَةَ »(١) .

إِخْوَانِي ! لقد وعظَ الزمانُ وما قَصَّر ، وتكلمَ الصامتُ وما أَقْصَر ، ولاح الهدىٰ ، وإنَّما الشأنُ فيمن أبصر .

روىٰ أبو بكرٍ القرشيُّ : أنّ رجلا كان يحفر القبور بالبصرة ، قَالَ : فحفرتُ قبراً ، ووضعت رأسي قريباً منه ، فأتتني امرأتان في منامي ، فقَالَت إحداهما : نشدْتُكَ ٱلله إلا صرفتَ عنا هٰذه المرأةَ ، ولم تجاورني

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤ / ٢٨٧) .

بها ، فاستيقظتُ فَزِعاً ، فإذا جنازةُ امرأةٍ قد جيء بها ، وصرفْتُهم إِلَىٰ غير ذٰلك القبر ، فلما كان الليل ، إذا أنا بامرأتين في منامي ، تقول لي إحداهما : جزاكَ ٱللهُ عنا خيراً ، صرفْتَ عنا شراً طويلاً ، قلت : ما بالها صاحبتُك لا تكلمني كما تكلمينني أنت ؟ قالت : إنَّ هٰذه ماتت علىٰ غير وصيةٍ ، وحقَّ لمن ماتَ علىٰ غيرِ وصيةٍ أن لا يتكلمَ إِلَىٰ يوم القيامة .

تُنَـــاجِيـــكَ أَجْـــدَاثٌ وَهُـــنَّ سُكُـــوتُ
وَسُكَّـــانُهَـــا تَحْـــتَ التُّـــرَابِ خُفُـــوتُ
فيـــا [1] جَـــامِـــعَ الـــدُّنْيـــا لِغَيْـــرِ بَـــلاغَـــةٍ
لِمَـــنْ تَجْمَـــعُ الـــدُّنْيـــا وَأَنْـــتَ تَمُـــوتُ

وقرئ علىٰ قبرٍ :

مُقِيـــمٌ إِلَـــىٰ أَنْ يَبْعَـــثَ ٱللهُ خَلْقَـــهُ
لِقَـــاؤُكَ لا يُـــرْجَـــىٰ وَأَنْـــتَ قَـــرِيـــبُ
تَـــزِيـــدُ بَـــلاً فـــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ وَلَيْلَـــةٍ
وَتُنْسَـــىٰ كَمـــا تَبْلَـــىٰ وَأَنْـــتَ حَبِيـــبُ

وقرئ علىٰ قبرٍ آخر :

يَمُـــرُّ أَقَـــارِبِـــي جَنَبَـــاتِ قَبْـــرِي
كَـــأَنَّ أَقَـــارِبِـــي لَـــمْ يَعْـــرِفُـــونِـــي
وَقَـــدْ أَخَـــذُوا سِهَـــامَهُـــمُ وَعَـــاشُـــوا
فَيَـــا للَّـــهِ أَسْـــرَعَ مَـــا نَسُـــونِـــي

---

(١) في الأصل : « يا » بدل « فيا » .

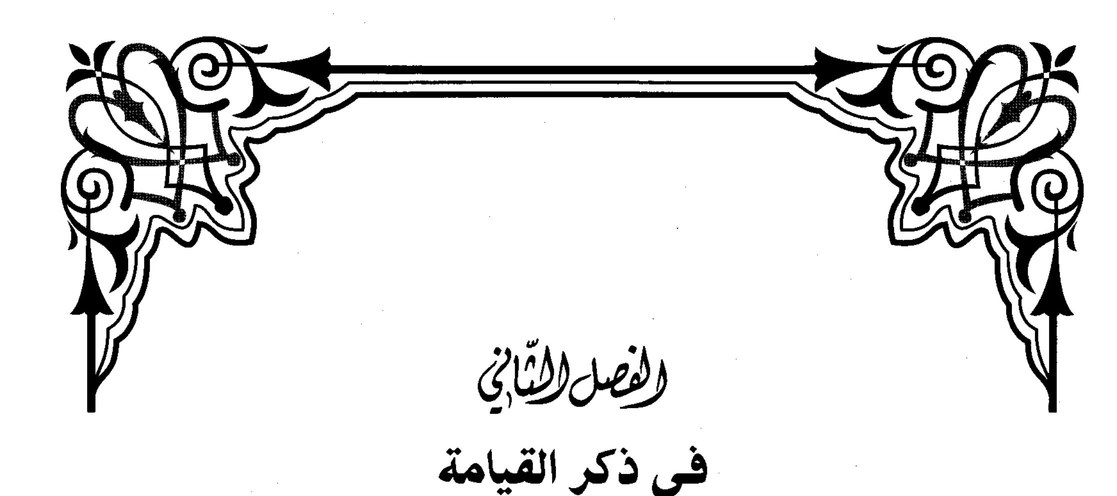
وعلىٰ قبرٍ آخر :

وَلَـــوْ أَنَّـــا إِذَا مِتْنَـــا تُـــرِكْنَـــا
لَكَـــانَ المَـــوْتُ رَاحَـــةَ كُـــلِّ حَـــيِّ
وَلٰكِنَّـــــا إِذَا مِتْنَـــــا بُعِثْنَـــــا
وَنُسْـــأَلُ بَعْـــدَهُ عَـــنْ كُـــلِّ شَـــيِّ

وعلىٰ قبرٍ آخر :

وَقَفْـــتُ عَلَـــىٰ الأَحِبَّـــةِ حِيـــنَ صُفَّـــتْ
قُبُـــورُهُـــمُ كَـــأَفْـــرَاسِ الـــرِّهَـــانِ
فَلَمَّـــا أَنْ بَكَيْـــتُ وَفَـــاضَ دَمْعِـــي
رَأَتْ عَيْنَـــايَ بَيْنَهُـــمُ مَكَـــانِـــي

❐ ❐ ❐



الفصل الثاني

في ذكر القيامة

عن أبي هريرة : قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « ما بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعِينَ » ، قالوا : يا أبا هريرة ! أربعين يوماً ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعين شهراً ؟ قال : أبيت ، قالَوا : أربعين سنة ؟ قال : أبيتُ ، قال : « ثُمَّ يُنْزِلُ ٱللهُ تعَالَىٰ مَاءً مِنْ سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَنْبُتُونَ كَما يَنْبُتُ البَقْلُ » .

قال : « وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إلا يَبْلَىٰ ، إِلا عَظْمٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يوْمَ القِيامَةِ »[١] .

وروي عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ : أنه قَالَ : « يُنْزِلُ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَاءً مِنْ تَحْتِ العَرْشِ ، يُقَالُ لَهُ : الحَيَوَانُ ، وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ أَرْبَعِينَ يَوْماً حَتَّىٰ يَكُونَ المَاءُ فَوْقَكُمُ اثْنَي عَشَرَ ذِرَاعاً ، فَتَنْبُتُ الأَجْسَادُ كَنَبَاتِ البَقْلِ ، أَوْ كَنَبَاتِ الطَّرَاثِيثِ ، حَتَّىٰ تَكَامَلَ أَجْسَادُكُمْ فَتَكُونَ كَما كَانَتْ ، ثُمَّ يَدْعُو ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بِالأَرْوَاحِ ، فَيُؤْتَىٰ بِهَا ، فَتَخْرُجُ كَأَمْثَالِ النَّحْلِ ، وَقَدْ مَلأَتْ ما بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَيُلْقِيهَا في الصُّورِ ، أَرْوَاحُ المُؤْمِنِينَ

(١) رواه البخاري (٤٦٥١) ، ومسلم (٢٩٥٥) .

تَتَوَهَّجُ نُوراً ، وَالأُخْرَىٰ مُظْلِمَةٌ ، فَتَدْخُلُ الأَرْوَاحُ في الخَيَاشِيم ، فَتَدِبُّ دَبِيبَ السُّمِّ في اللَّدِيغِ ، ثُمَّ يَقُولُ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : لِيَحْيَ حَمَلَةُ العَرْشِ ، فَيَحْيَوْنَ ، ثُمَّ يَأْمُرُ إِسْرَافِيلَ ، فَيَقْبِضُ الصُّورَ ، فَيَنْفُخُ ، فَيَخْرُجُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً »[١] .

وقال أبو رَزين العقيليُّ : قلت : يا رسولَ ٱللهِ ! كيف يُحيي ٱللهُ الموتىٰ ؟

قال : « هَلْ مَرَرْتَ بِأَرْضٍ مِنْ أَرْضِكَ مُجْدِبَةً ، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهَا مُخْصِبَةً ؟ » ، قلت : نعم ، قال : « كَذٰلك النُّشُورُ »[٢] .

وفي أفراد مسلم : عن جابرٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « يُبْعَثُ كُلُّ عبد عَلَىٰ ما مَاتَ عَلَيْهِ »[٣] .

وفي « الصحيحين » : عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ يَوْمَ القِيَامَة ، حفَاةً ، عُرَاةً ، غُرْلاً » ، قالت عائشةُ : قلتُ : يا رسول ٱللهِ ! الرجالُ والنساء ، ينظر بعضهم إِلَىٰ بعضٍ ؟ قال : « يا عَائِشَةُ ! إِنَّ الأَمْرَ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذٰلك »[٤] .

وفي « الصحيحين » : عن عَدِيِّ بن حاتمٍ ، عن النبيِّ ﷺ : أنه قَالَ : « ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ ، لَيْسَ بَيْنَهُ

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١ / ٣١٢) ، وقال : في إسناده مقال .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤ / ١١) .

(٣) رواه مسلم (٢٨٧٨) .

(٤) رواه البخاري (٦١٦٢) ، ومسلم (٢٨٥٩) .

وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ ، فَلا يَرَىٰ إِلا شَيْئاً قَدَّمَهُ ، وَيَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ ، فَلا يَرَىٰ إِلا شَيْئاً قَدَّمَهُ ، وَيَنْظُرُ أَمَامَهُ ، فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَلْيَفْعَلْ »[1] .

ويشفعُ النبيُّ ﷺ .

* * *

فصلٌ

وهنا مسألة :

وهي أنّ الناس حين يأتون في الشفاعة[2] إلىٰ نبينا محمد ، ثم يأتي إلىٰ تحت العرش ، فيسجد ، فلما أن يرفع رأسه ، فيقال : أَخْرِجْ من النار ، والحاصل : أنّ الناس بعدُ ما دخلوا النار ، ولا حوسبوا .

فالجواب :

أن هٰذه السجدة قدرُها جمعةٌ من أيام الدنيا ، فيقال : قد يفصل بين الناس في هٰذه الجمعة ، ويدخلون النار .

ويقال أيضاً : إن الحديث متداخل ، أدخل الراوي بعضَه في بعض ، وهو أصح .

* * *

(١) رواه البخاري (٧٠٧٤) ، ومسلم (١٠١٦) .
(٢) في الأصل : « في الشافع » .

فصلٌ

ثم يُنْصَبُ الصراطُ علىٰ مَتْن جهنم ، وهو أرقُّ من الشعرة ، وأحدُّ من السيف ، فنسأل ٱلله السلامةَ ، من يوم الحسرة والندامة .

مَضَىٰ زَمَانُ الصِّبَا وَحُبِّ الحَبَايِبْ
كَفَاكَ زَجْراً وَوَعْظاً شَيْبُ الذَّوَائِبْ
أَفِقْ لِنَفْسِكَ وَاسْمَعْ قَوْلَ المُعَاتِبْ
لا تَغْتَرِرْ بِالأَمَانِي فَرُبَّ خَائِبْ
يَا غَافِلاً فَاتَهُ أَفْضَلُ المَنَاقِبْ
أَيْنَ البُكَا لِلخَوْفِ العَظِيمِ المطَالِبْ
لَيْتَ الزَّمَانَ الَّذي ضَاعَ في المَلاعِبْ
نَظَرْتَ فِيهِ إِلَىٰ آخِرِ العَوَاقِبْ
كَمْ في القِيَامَةِ مِنْ أَدْمُعٍ سَوَاكِبْ
عَلَىٰ ذُنُوبٍ حَوَاهَا كِتَابُ كَاتِبْ
مَنْ لِي إِذَا قُمْتُ مِنْ مَوْقِفِ المُحَاسَبْ
وَقِيلَ لِي مَا صَنَعْتَ في كُلِّ وَاجِبْ
تَرْجُو النَّجَاةَ وَتَلْهُو يَا شَرَّ لاعِبْ
إِذَا أَتَتْكَ الأَمَانِي تَظُنُّ كَاذِبْ
المَوْتُ صَعْبٌ شَدِيدٌ مِنَ المَشَارِبْ
يَلْقَىٰ بشدَّةٍ فيه صدورَ الكتائِبْ

انْظُـرْ لِنَفْسِـكَ وَانْظُـرْ قُـدُومَ غَـائِـبْ
يَـأْتِـي بِقَهْـرٍ يَـرْمِـي بِسَهْـمٍ صَـائِـبْ
يـا آمِـلاً أَنْ يَبْقَـىٰ آمِنـاً لِلنَّـوَائِـبْ
بَنَيْـتَ بَيْتـاً وَلٰكـن لِنَسْـجِ العَنَـاكِـبْ
أَيْـنَ الَّـذِيـن عَلَـوْا مُتُـونَ الـرَّكَـائِـبْ
فَـأَصْبَحـوا الخيـلَ كيـف مَـنْ غَيـرُ تَـائـبْ
دَبَّ الهَـلاكُ إِلَيْهِـمْ مِثْـلَ العَقَـارِبْ
ضَـاقَـتْ بِهِـمُ المَنَـايـا كُـلَّ المَـذَاهِـبْ
وَأَنْـتَ بَعْـدُ عَـنْ قَلِيـلٍ خَلَـفُ المَصَـائِـبْ
فَـانْظُـرْ وَفَكِّـرْ وَدَبِّـرْ كُـلَّ العَجَـائِـبْ

لو تُفكر النفوسُ فيما بين يديها ، أو تذكرتْ حسابها فيما لها أو عليها ، لبعثَ حزنُها بريدَ دمعِها كلَّ وقت إليها .

وَمِـنْ أَعْجَـب الإِنْسَـانِ أَنَّـكَ تَعْلَـمُ
بِـأَنَّـكَ مَـأْخُـوذٌ بِمـا تَتَجَـرَّمُ
وَأَنْـتَ عَلَـىٰ مـا أَنْـتَ غَيْـرُ مُقَصِّـرٍ
وَلا مُقْلِـعٍ عَمـا عَلَيْـكَ يُحَـرَّمُ
كَـأَنَّـكَ فـي يَـوْمِ القِيَـامَـةِ آمِـنٌ
إِذَا بُـرِّزَتْ لِلمُجْـرِمِيـنَ جَهَنَّـمُ
وَلا تَغْتَـرِرْ بِـالعُمْـرِ إِنْ طَـالَ وَاعْتَبِـرْ
فَـإِنَّـكَ لا تَـدْرِي مَتَـىٰ يَتَصَـرَّمُ

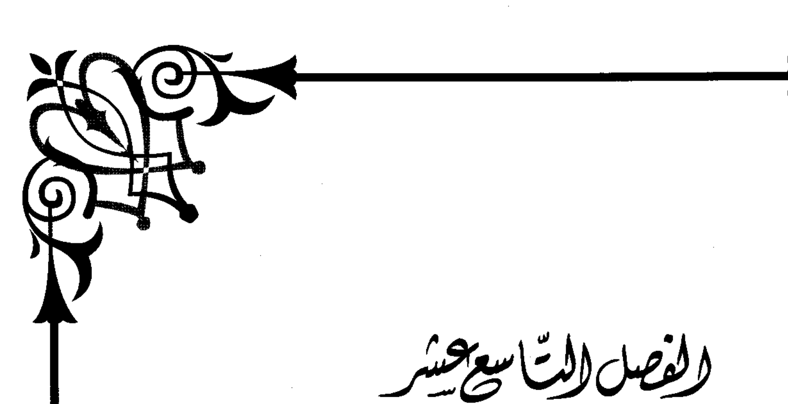
وتَسْكُـــنُ بَيْتـــاً غَيْـــرَ بَيْتِـــكَ مُظْلِمـــاً
وَلا فِيـــهِ مَشْـــرُوبٌ وَلا فِيـــهِ مَطْعَـــمُ
وَتَتْـــرُكُ مـــا [قـــد] كُنْـــتَ فِيـــهِ مُحَكَّمـــاً
وَغَيْـــرُكَ فِيـــهِ لَـــوْ عَلِمْـــتَ المُحَكَّـــمُ
وَتَـــأْتِـــي كَـــذَا مِـــنْ بَعْـــدِ يُسْـــرِكَ مُعْسِـــراً
وَمـــا لَـــكَ دِينَـــارٌ وَلا لَـــكَ دِرْهَـــمُ
فَإِنْ كُنْتَ [قَدْ] قَدَّمْتَ مِنْ قَبْلُ صَالِحاً
فَـــإِنَّـــكَ مِـــنْ هَـــوْلِ القِيَـــامَـــةِ تَسْلَـــمُ
فَكُـــنْ مُقْلِعـــاً وارْجِـــعْ إِلَـــىٰ ٱللهِ وَاغْتَنِـــمْ
بَقَـــاءَكَ فـــي الـــدُّنْيـــا فَعُقْبَـــاكَ مَغْنَـــمُ

أما يحقُّ البُكا لمن قد مضىٰ زمانُه ، أما يحق البكا لمن طال عصيانُه ، نهاره في المعاصي ، فقد زادَ خسرانُه ، وليله في الخطايا ، فقد خفَّ ميزانُه ، وبين يديه الموتُ الشديد لقاؤه وعيانُه ، والقبرُ المظلم المتهدمةُ أركانُه ، والحشرُ العنيف ذلُّه وهوانُه ، والحسابُ العسير يُنشر فيه ديوانُه ، والموقف الطويل فيه غمومُه وأحزانه ، والجحيمُ الشديد فيه من العذابِ ألوانُه .

أَنُـــوحُ عَلَـــىٰ نَفْســـي وَأَبْكِـــي خَطِيئَـــةً
تَقُـــولُ خَطَـــايَـــايَ اثْقَلـــت مِنِّـــيَ الظَّهْـــرَا
فيـــا لَـــذَّةً كَـــانَـــتْ قَلِيـــلاً بَقَـــاؤُهَـــا
وَيـــا حَسْـــرَةً دَامَـــتْ وَلَـــمْ تُبْـــقِ لِـــي عُـــذْرَا

لقد أفات الظالمُ نفسَه خيراً جَمّاً ، واستجلَبَ لها عقاباً وذَمّاً ، ضَمَّ الأموالَ إليه ضَمّاً ، وإنما تناول على الحقيقة سُماً ، عقبه ما فرح به غَمّاً ، وألحقه إثما وَهماً ، وكفاهُ أنها لظالم سيما ، ولقد ودَّ أنّه نجا ، وأنه [. . . . . .] قدَّر أن الظالم ملك لحماً ودماً ، أما الاستمتاع إِلَىٰ أجل مسمىٰ ، كيف به إذا سلك طريقاً [. . . . . .] ، نفض عن رأسه التراب ، ثم أحضر الحساب ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه : ١١١] .

❒ ❒ ❒

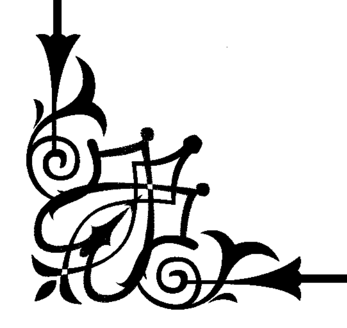


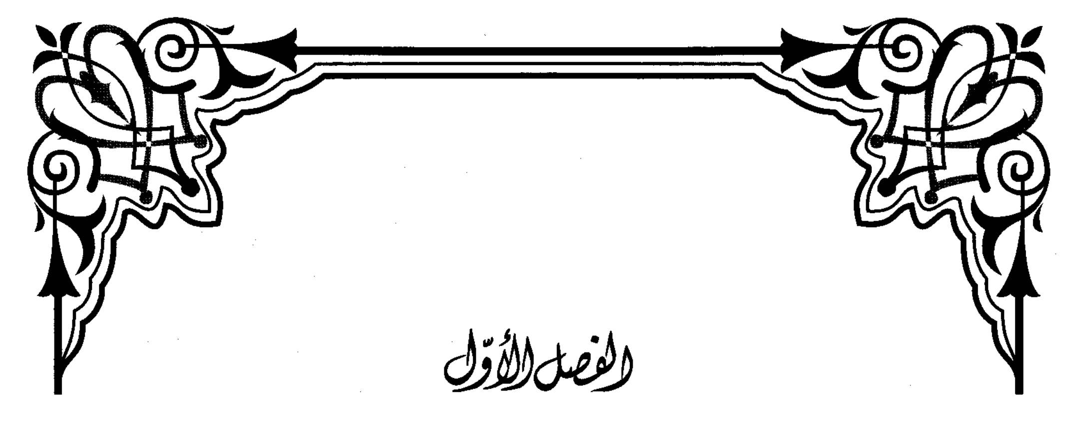
الفصل التّاسع عشر

وفيه فصلان :

الفصل الأول : في ذكر البرد .

الفصل الثاني : في ذكر الحر .





في ذكر البرد

خَرَّجَ الإمامُ أحمدُ من حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « الشِّتَاءُ رَبِيعُ المُؤْمِنِ »[1] .

وخرَّجَه البيهقيُّ ، وغيره ، وزاد : « طَالَ لَيْلُهُ فقَامَهُ ، وَقَصُرَ نَهارُهُ فَصَامَهُ »[2] .

المؤمنُ يقدر في الشتاء علىٰ صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة تحصل له ؛ من جوعٍ ، ولا عطش ؛ فإن نهارَه قصيرٌ بارد ، فلا يحسُّ فيه بمشقة الصيام .

وفي « المسند »، و« الترمذي »: عن النبيِّ ﷺ ، قال : « الصِّيَامُ في الشِّتَاءِ الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ »[3] .

---

(1) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٣ / ٧٥) .

(2) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤ / ٢٩٧) .

(3) رواه الترمذي (٧٩٧) ، والإمام أحمد في « المسند » (٤ / ٣٣٥) عن عامر بن مسعود ، مرسلاً .

وكان أبو هريرةَ يقول : ألا أدلُّكم على الغنيمة الباردة ؟ قَالَوا : بلىٰ ، قَالَ : الصيامُ في الشتاء[1] .

وأما القيامُ في الشتاء ، فيشقُّ علىٰ النفس من وجهين :

أحدهما : من جهة تألُّم النفس بالقيام من الفراش في شدة البرد .

قال داودُ بن رشيدٍ : قام بعضُ إخواني إلىٰ وِرْدِهِ بالليل في ليلة باردةٍ شديدةِ البرد ، فكان عليه خُلْقَانٌ ، فضربه البردُ ، فبكىٰ ، فهتف به هاتف : أقمناكَ وأنمناهم ، ثم تبكي علينا ![2] .

الثاني : إسباغُ الوضوء في شدة البرد يتألم به .

روي في « صحيح مسلم » عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ ما يَمْحُو ٱللهُ بِهِ الخَطَايَا ، ويَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ » ، قالوا : بلىٰ يا رسولَ ٱللهِ ، قال : « إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَىٰ المَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَىٰ المَسَاجِدِ ، وانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ ، فَذٰلكمُ الرِّبَاطُ ، فَذٰلكمُ الرِّبَاطُ »[3] .

إسباغُ الوضوء في شدة البرد من أعلىٰ خصال الإيمان .

في « المسند »، و« صحيح ابن حبان »: عن عقبةَ بن عامرٍ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِي ؛ يَقُومُ أَحَدُهُما مِنَ اللَّيْلِ فَيُعَالِجُ

(١) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤ / ٢٩٧) .
(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨ / ٣٣٥) .
(٣) رواه مسلم (٢٥١) .

نَفْسَهُ إِلَىٰ الطَّهُور ، وَعَلَيْهِ عُقَدٌ ، فَيَتَوَضَّأُ ، فَإذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، وَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ؛ فَيَقُولُ الرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : انْظُرُوا إِلَىٰ عَبْدِي هٰذا يُعَالِجُ نَفْسَهُ ، ما سَأَلَنِي عَبْدِي هٰذا ، فَهُوَ لَهُ »[1] .

ورأىٰ بعضُهم خِياما ضُربت ، فسأل : لمن هي ؟ فقيل : للمجتهدين بالقرآن ، فكان بعد ذٰلك لا ينام .

فَمَالِي بَعِيدَ الدَّارِ لَمْ أَقْرُبِ الحِمَىٰ[2]
وَقَدْ نُصِبَتْ لِلسَّاهِرِينَ خِيَامُ
عَلامَةُ طَرْدِي طُولَ لَيْلِي نَائِمٌ
وَغَيْرِي يَرَىٰ أَنَّ المَنَامَ حَرَامُ

عن النبيِّ ﷺ ، قال : « إِنَّ جَهَنَّمَ تَتَنَفَّسُ نَفَساً في الشِّتَاءِ ، ونَفَسَاً في الصَّيْفِ ، فَأَشَدُّ ما تَجدُونَ مِنَ البَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا ، وَأَشَدُّ ما تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ مِنْ سَمُومِهَا »[3] .

كَمْ يَكُونُ الشِّتَاءُ ثُمَّ المَصِيفُ
وَرَبِيعٌ يَمْضِي وَيَأْتِي خَرِيفُ

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤ / ١٥٩) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٠٥٢) .
(٢) في الأصل : « إلىٰ الحمىٰ » .
(٣) رواه البخاري (٥١٢) ، ومسلم (٦١٧) ، وابن ماجه (٤٣١٩) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

وَارْتِحَـــالٌ مِـــنَ الحَـــرُورِ إِلَـــىٰ البَـــرْ
دِ وَسَيْـــفُ الـــرَّدَىٰ عَلَيْـــكَ مُنِيـــفُ
يـــا قَلِيـــلَ المُقَـــامِ فـــي هٰـــذِهِ الـــدُّ
نْيـــا إِلَـــىٰ كَـــمْ يَغُـــرُّكَ التَّسْـــوِيـــفُ
يـــا طَـــالِـــبَ الـــزَّائِـــلِ حَتَّـــىٰ مَتَـــىٰ
قَلْبُـــكَ بِـــالـــزَّائِـــلِ مَشْغُـــوفُ

❐ ❐ ❐



الفصل الثاني

في ذكر الحر

في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة ـ رضي ٱلله عنه ـ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « اشْتكَتِ النَّارُ إِلَىٰ ربِّهَا ، فقَالَتْ : يا ربِّ ! أكَلَ بَعْضِي بَعْضاً ، فأَذِنَ لَهَا بِنفَسَيْنِ : نَفَسٍ في الشِّتَاءِ ، ونَفَسٍ في الصَّيْفِ ، فَشِدَّةُ ما تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ فَمِنْ سَمُومِ جَهَنَّمَ »[1] .

قال الحسن : كلُّ بردٍ أهلكَ شيئاً ، فهو من نَفَسِ جهنم ، وكلُّ حرٍّ أهلك شيئاً ، فهو من حَرِّ جهنّم .

وفي الحديث الصحيح : أن النبي ﷺ قال : « إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ ، فَأَبْرِدُوا بِالصَّلاةِ ؛ فَإِنَّما شِدَّةُ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ »[2] .

كان بعضُهم إذا أحرمَ ، لم يستظلَّ ، فقيل له : لو أخذْتَ بالرخصةِ ، فأنشدَ يقول :

---

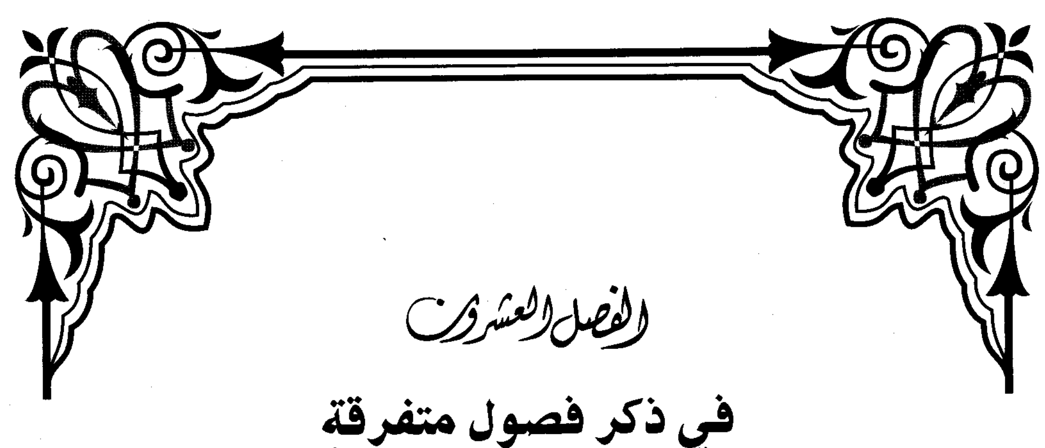
(١) تقدم تخريجه قريباً .

(٢) رواه البخاري (٥١٢) ، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

ضَحِيْــــتُ لَـــهُ كَـــيْ أَسْتَظِـــلَّ بِظِلِّـــهِ
إِذَا الظِّـلُّ أَضْحَـىٰ فـي القِيَـامَـةِ قَـالِصَـا

فَـــوا أَسَفَـــا إِنْ كَـــانَ سَعْيُـــكَ خَـــائِبـــاً
وَوَاأَسَفَـــا إِنْ كَـــانَ حَظُّـــكَ نَـــاقِصَـــا

❐ ❐ ❐



في ذكر فصولٍ متفرقةٍ

فصلٌ في الصدق

قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

وعن عبد ٱلله بن مسعودٍ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، قال : قال رسولُ ٱلله ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ البِرِّ ، وَالبِرُّ يَهْدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ ، وَما يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ ، حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ ٱلله صِدِّيقاً »(١) .

مَنْ صَدَقَ ٱللهْ في الامْرِ نَجَا
وَفَازَ وَأُعْطِيَ ما قَدْ رَجَا
وَمَنْ يَتَّقِ ٱلله يَجْعَلْ لَهُ
كَما قَالَ مِنْ أَمْرِهِ مَخْرَجَا

والصدقُ أفضلُ الأعمال ، وخيرُ ما اعتاده الإنسان ، قال بعضُ السلف : خيرُ ما أُعطي العبد لساناً صادقاً .

---

(١) رواه البخاري (٥٧٤٣) ، ومسلم (٢٦٠٧) .

وفيه أحاديثُ أيضاً كثيرة .

* * *

فصلٌ في الكذب

جاء في الحديث : « إِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ ؛ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الفُجُورِ ، وَالفُجُورُ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ ، وَما يَزَالُ العَبْدُ يَكْذِبُ ، وَيَتَحَرَّىٰ الكَذِبَ ، حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللهِ كَاذِباً » رواه البخاري ، ومسلم ، وغيرهمـ[ـا][1] .

قال بعضُ السلف : قل لمن لا يصدق : لا يتعنَّ .

وقال آخرُ : شَرُّ ما أُعطي الإنسانُ لساناً كاذباً .

* * *

فصلٌ في النوم علىٰ طهارة

عن أنسِ بن مالكٍ ، قال : قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « مَنْ بَاتَ عَلَىٰ طَهَارَةٍ ، ثُمَّ مَاتَ في لَيْلَتِهِ ، مَاتَ شَهِيداً »[2] .

عن النبيِّ ﷺ ، قال : « مَنْ بَاتَ عَلَىٰ طَهَارَةٍ ، بَاتَ في شِعَارِه

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (ص : ٦٦٥) .

مَلَكٌ ، فَلا يَتَقَلَّبُ في سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، إلا قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلانٍ »[١] .

* * *

فصلٌ : فيما يقول إذا استيقظ من الليل

عن عبادة ،عن النبيِّ ﷺ ، قال : « مَنْ تَعارَّ مِنَ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَسُبْحَانَ ٱللهِ ، وَالحَمْدُ للهِ ، وَلا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، وَٱللهُ أَكْبَرُ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِٱللهِ ، ثُمَّ قَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِي ، أَوْ دَعَا ، اسْتُجِيبَ لَهُ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ ، وَصَلَّىٰ ، قُبِلَتْ صَلاتُهُ »[٢] .

* * *

فصلٌ : فيما يقول إذا قام إِلَىٰ الصلاة بالليل

في « الصحيح » : عن ابن عباس : أَنَّ رسولَ ٱللهِ ﷺ كانَ إذا قامَ إِلَىٰ الصّلاة من جوف الليل ، يقول : « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ نُورُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، أَنْتَ

---

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (١٠٥١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٣٦٢١) ، من حديث ابن عمر رضي ٱلله عنهما .

(٢) رواه البخاري (١١٠٣) .

الحقُّ ، وَوَعْدُكَ الحقُّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ ، وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ ، وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ إِلَـٰهِي ، لا إِلَـٰهَ إِلا أَنْتَ »[١] .

وفي الحديث : « إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ ، فَصَلَّوْا رَكْعَتَيْنِ ، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ ٱللهَ كَثِيراً ، وَالذَّاكِرَاتِ »[٢] .

* * *

فصلٌ : ما يقول إذا أصبح

عن عبد الرحمـٰن بن أبزىٰ ، عن أبيه ، قالَ : كان رسولُ ٱللهِ ﷺ إذا أصبح ، قَالَ : « أَصْبَحْنَا عَلَىٰ فِطْرَةِ الإِسْلامِ ، وَكَلِمَةِ الإِخْلاصِ ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ »[٣] .

وليقلْ : « اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا ، وَبِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا ، وَبِكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ » ، وإذا أمسىٰ قالَها ، « وَإِلَيْكَ المَصِيرُ »[٤] .

---

(١) رواه البخاري (١٠٦٩) ، ومسلم (٧٦٩) .

(٢) رواه أبو داود (١٤٥١) ، وابن ماجه (١٣٣٥) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي ٱلله عنهما .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٣ / ٤٠٧) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩٨٢٩) .

(٤) رواه أبو داود (٥٠٦٨) ، والترمذي (٣٣٩١) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه ، إلا أنه=

وليقلْ : « أَصْبَحْنَا ، وَأَصْبَحَ المُلْكُ للهِ ، وَلا إِلَـٰهَ إلا ٱللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[١] .

* * *

فصلٌ : فيما يقول إذا دخل السوق

عن عمرَ بن الخطابِ ـ رضي ٱلله عنه ـ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « مَنْ دخل [السُّوقَ] ، وقَالَ : لا إِلَـٰهَ إلا ٱللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، يُحْيِي ، وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ الخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، كَتَبَ ٱللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ »[٢] .

* * *

فصلٌ : فيما يقول إذا خرج من منزلهِ

عن أنسِ بن مالكٍ ، قال : قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « مَنْ قَالَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ : بِاسْمِ ٱللهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ ٱللهِ ، هُدِيَ ، وَكُفِيَ ، وَوُقِيَ ، وَتَنَحَّىٰ عَنْهُ الشَّيْطَانُ »[٣] .

* * *

= يقول : « وإليك النشور » عندما يمسي .

(١) رواه مسلم (٢٧٢٣) من حديث ابن مسعود رضي ٱلله عنه .

(٢) رواه الترمذي (٣٤٢٨) ، وابن ماجه (٢٢٣٥) .

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٥) ، والترمذي (٣٤٢٦) .

فصلٌ : فيما يقول إذا دخل منزله

عن جابرٍ : أنّه سمعَ رسولَ ٱللهِ ﷺ يقول : « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ ، فَذَكَرَ ٱللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : لا مَبِيتَ لَكُمْ ، وَلا عَشَاءَ هُنَا ، وَإِذَا دَخَلَ ، وَلَمْ يَذْكُرِ ٱللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ، قَالَ : أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ ٱللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ : أَدْرَكْتُمُ العَشَاءَ »[1] .

* * *

فصلٌ : في الاستخارة والمشاورة

قال بعضُ السلف : من استخارَ الخالقَ ، واستشارَ المخلوق ، وتثبَّتَ في أمره ، لم يخبْ فيما يطلُبُ ويقصدُ في الأمور كلِّها .

وروي عن النبي ﷺ قال : أنه كان إذا عزمَ علىٰ أمرٍ ، قال : « اللَّهُمَّ خِرْ لِي ، وَاخْتَرْ لِي »[2] .

وفيها أحاديثُ أيضاً كثيرة .

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢٠١٨) .

(٢) رواه الترمذي (٣٥١٦) عن أبي بكر رضي ٱلله عنه ، وإسناده ضعيف كما ذكر الترمذي .

فصلٌ : في فضل الوضوء

عن عثمانَ بن عفانَ ، قال : قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ »[1] .

وإحسانُ الوضوء : إسباغُه في الأعضاء من غير إسراف ، ولا تقصير .

وعن أبي هريرة ـ رضي ٱلله عنه ـ : أن رسول ٱلله ﷺ قال : « إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ ـ أَوْ المُؤْمِنُ ـ ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ ، خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْها بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ ـ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةِ الماءِ ـ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ ـ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةِ المَاءِ ـ ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاهُ مَعَ المَاءِ ـ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةِ المَاءِ ـ ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ نَقِياً مِنَ الذُّنُوبِ »[2] .

*   *   *

فصلٌ : فيما يقول إذا فرغ من وضوئه

عن عمرَ بن الخطاب ـ رضي ٱلله عنه ـ ، قال : قالَ رسولُ ٱللهِ ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا ٱللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ

(١) رواه مسلم (٢٤٥) .
(٢) رواه مسلم (٢٤٤) .

التَّوَّابينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ ، فُتِحَتْ لَهُ أبوابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ يَدْخُلُ »[1] .

* * *

فصلٌ : في المشي إلى الصّلاة

عن أبي موسىٰ ، قال : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْراً في الصَّلاةِ أَبْعَدُهُمْ مَشْياً »[2] .

* * *

فصلٌ

وليتجنب المصلِّي الغلوَّ ، والوسواسَ في الصلاة ، وأنّ ذٰلك من الشيطان .

* * *

فصلٌ : في بعض آداب المولود

رُوي في تَحْنِيكِه في « الصحيحين » من حديث أبي بُردةَ ، عن

(١) رواه الترمذي (٥٥) .
(٢) رواه البخاري (٦٢٣) ، ومسلم (٦٦٢) ، وعندهما : « ممشىٰ » بدل « مشياً » .

أبي موسىٰ ، قال : وُلِدَ لي غلامٌ ، فأتيتُ به النبيِّ ﷺ ، فسماه : إبراهيمَ ، وحَنَّكَه بتمرٍ[1] .

* * *

فصلٌ : في العقيقة

العقيقةُ سنةٌ مؤكدة ، وقَالَت طائفةٌ : العقيقةُ واجبةٌ .

* * *

فصلٌ : في الوقت الذي تستحبُّ فيه العقيقة

يوم السابع ، فإن لم يفعل ، ففي أربع عشرة ، فإن لم يفعل ، ففي إحدىٰ وعشرين .

* * *

فصلٌ

عن الجارية شاة ، وعن الغلام شاتين ، وقَالَ مالك : شاة عن الذكر ، والأنثىٰ .

ولا يكسر عظمَها ، ويستحبُّ حلقُ رأسه ، والتصدُّقُ بوزنه وَرِقاً .

* * *

(١) رواه البخاري (٥١٥٠) ، ومسلم (٢١٤٥) .

فصلٌ

يستحب أن يسمَّىٰ : عبد ٱلله ، وعبدَ الرحمـٰن ؛ لأنّ في الحديث : « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ »[1] .

* * *

فصلٌ

ومن المحرم التسمي[2] بملك الموت ، وسلطانِ السلاطين ، وشاهنشاه .

* * *

فصلٌ

ويكره التسمِّي بأسماء الشياطين ، والفراعنةِ ، والملائكةِ ؛ كجبرائيلَ ، وميكائيلَ ، وإسرافيلَ ، ونحوِ : حَرْبٍ ، ومُرَّةَ ، وكلبٍ ، وحَيَّةَ .

ولا يجوز تسمية الملوك : بالقاهر ، والظاهر ، ونحوه .

ولا يجوز تسميةُ أحد بالصمدِ ، والخالقِ ، والرازقِ ، ونحوِه .

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٨) عن أبي الدرداء رضي ٱلله عنه .

(٢) في الأصل : « التشبه » .

ويمنع من تسميته بالقرآن ، وسورٍ منه ؛ مثل : طه ، ويس ، وحم .

وفي التسمية بأسماء الأنبياء قولان .

* * *

فصلٌ

والتسمية حقُّ الأبِ ، لا الأمِّ .

* * *

فصلٌ

الختانُ واجبٌ عند أكثرِ العلماء ، منهم : أحمدُ ، والشافعيُّ ، ومالكٌ .

وعند بعضِهم : سنةٌ ، ولٰكن عندهم السنةُ يأثم بتركها .

وقيل : لا يختتن الكبير إذا يخافه علىٰ نفسه .

* * *

فصلٌ

وقت وجوبه عند البلوغِ ؛ لأنه وقتُ وجوبِ العبادات ، ولا يجب قبل ذٰلك ، وهل يكره يوم السابع ؟ علىٰ روايتين .

* * *

فصلٌ

والختان مَكْرُمَةٌ للنساء ؛ لما جاء في الحديث : « الخِتَانُ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ ، مَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ »[1] .

* * *

فصلٌ

ولا يجب ختانُ الميت ، ولا يمنع الإحرامُ من الختان ـ نَصَّ عليه ـ .

* * *

فصلٌ : في ختان النبي ﷺ

فيه أقوالٌ :

أحدُها : ولد مختوناً .

الثاني : ختنه جبريلُ حين شقَّ صدره .

الثالث : ختنه جدُّه عبد المطلب .

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٥ / ٧٥) عن أسامة الهذلي . ورواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨ / ٣٢٤) عن ابن عباس رضي ٱلله عنهما وضعفه وقال : المحفوظ موقوف .

فصلٌ : في ثقب الأذن

يجوز ثقبُ أُذن البنتِ للزينة ، نَصَّ عليه ، ونصَّ علىٰ كراهته في حقِّ الصبي .

* * *

فصلٌ : في استحباب تقبيل الأطفال

في « الصحيحين » : عن أبي هريرةَ ، قال : قبّل النبيُّ ﷺ الحسنَ بن عليٍّ ، وعندَه الأقرعُ بن حابسٍ التميميُّ جالسٌ ، قَالَ الأقرع : إنّ لي عشرةً من الولد ، ما قَبَّلْتُ منهم أحداً ، فنظرَ إليه رسولُ ٱللهِ ﷺ ، وقال : « مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ »[1] .

* * *

فصلٌ : في تأديب الأولاد

قال ٱلله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم : ٦] .

قال عليٌّ ـ رضي ٱلله عنه ـ : عَلِّموهم ، وأَدِّبوهم[2] .

---

(١) رواه البخاري (٥٦٥١) ، ومسلم (٢٣١٨) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٨ / ١٦٦) .

وقال الحسنُ : مُروهم بطاعة ٱلله ، وعلِّموهُمُ الخيرَ[1] .

ورد في الحديث : « لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ »[2] .

وفي الحديث : « مُرُوا أبناءكُمْ بِالصَّلاةِ لِسَبْعٍ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَىٰ تَرْكِهَا لِعَشْرٍ »[3] .

* * *

فصلٌ : في أولاد المشركين

هل يدخلون الجنة ، أو النار ؟ أقوالٌ :

منهم من قال : كلُّهم في الجنة .

ومنهم من قال : كلُّهم في النار .

ومنهم من وقف عنده .

ومنهم من قال : يحكم ٱلله بعلمه .

ومنهم من قال : بعضُهم في الجنة ، وبعضُهم في النار .

ومنهم من قال : يُمْتَحنون في دار الآخرة .

---

(١) انظر : « تحفة المولود » لابن القيم (ص : ٢٢٤) .

(٢) رواه الترمذي (١٩٥١) عن جابر بن سمرة رضي ٱلله عنه .

(٣) رواه أبو داود (٤٩٦) ، والإمام أحمد في « المسند » (٢ / ١٨٧) من حديث عبد ٱلله بن عمرو بن العاص رضي ٱلله عنهما .

ومنهم من قال : هم أهل الأعراف ، لا في الجنة ، ولا في النار .

والصحيحُ - إن شاء ٱلله - : أنهم كلهم في الجنة ، والدليلُ عليه الكتابُ ، والسنةُ .

أما الكتاب : فآياتٌ كثيرة : منها : قولُه - عز وجل - : ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [الملك : ٨] .

ومنها : قولُه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ، وآيات كثيرة .

وأما السنة : فأحاديثُ كثيرة : منها : ما جاء في « صحيح البخاري » من حديث سمرةَ بن جندبٍ : أن النبي ﷺ أخبرهم أنهم في الجنة[١] .

ومنها : قوله ﷺ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ »[٢] .

* * *

فصلٌ : الاستحبابُ في طلب الأولاد

عن عائشةَ - رضي ٱلله عنها - ، قالت : قالَ رسولُ ٱلله ﷺ : « النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ تَرَكَ سُنَّتِي ، فَلَيْسَ مِنِّي ، وَتَزَوَّجُوا ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ »[٣] .

---

(١) رواه البخاري (١٣٢٠) .

(٢) رواه البخاري (١٣١٩) ، ومسلم (٢٦٥٨) عن أبي هريرة رضي ٱلله عنه .

(٣) رواه ابن ماجه (١٨٤٦) .

فإذا كان مُكاثِراً بنا الأممَ ، فيستحبُّ طلبُ الولد .

عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ : أنه قال : « إِنَّ العَبْدَ لَتُرْفَعُ لَهُ الدَّرَجَةُ ، فَيَقُولُ : يا رَبِّ ! مِنْ أَيْنَ لِي هٰذهِ ؟ فَيَقُولُ : بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ مِنْ بَعْدِكَ »[1] .

* * *

فصلٌ

قَالَ ٱللَّهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [هود : ٦٩] وآيات كثيرة فيها ، ولمَّا كانت البشارة تسرُّ العبدَ وتُفرحه ، استحب للمسلمِ أن يبادرَ إلىٰ مسرةِ أخيه .

* * *

فصل

قال أبو حفصٍ العكبريُّ : سمعت أبا بكرِ بن مليحٍ يقول : بلغني عن أحمدَ قالَ : إذا أرادَ الرجلُ أن يزوِّج رجلاً سألَ عن الدنيا ، فإنْ حُمِدَ سألَ عن الدين .

* * *

(١) رواه ابن ماجه (٣٦٦٠) .

فصل

قَالَ القاضي : يستحب لمن غضب إن كان قائماً جَلَس ، وإن كان جالساً اضطجع .

* * *

فصلٌ : في شيءٍ من أدب [....]

يا أخي ! أتعرف[1] أن الشيطانَ لك صديقٌ ، أما تعلمُ أنه عن طاعات ربك مُعيق ، أما تخاف يومَ الحريق ، إنّما الشيطان عدوٌّ ، فوٱلله بئسَ القرين ، ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

فإياك من الشيطان وأعوانه ، وإياك من يوم الحشر وذلِّه وهوانِه ، وإياك من العذاب المختلِفِ ألوانُه ، أما تعلم أن الجحيم مسجَّرة فيه بذلِّه وهوانِه ، وما تعلم بما في القبر من [. . .] أركانه ، والسعير فيه من العذاب بألوانه ، يومَ لا ينفع المرءَ مالُه ولا ولدانُه ، وإنّما ينفعه إيمانُه واليقين ، ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

تَمَّ والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلَّىٰ ٱلله علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ آلِه ، وصحبِه وسلَّمَ .

الحمدُ لله علىٰ كلِّ حال ، ونعوذ بٱلله من حالِ أهلِ النار .

اللَّهُمَّ اغفرْ لنا وللمسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمين .

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلها : أتظن .

تَمَّ الكتاب ، والحمدُ لله وحدَه ، وصلىٰ ٱلله علىٰ سيدنا محمد .

وكتبه : يوسفُ بن حسنِ بن أحمدَ بن حسنِ بن عبد الهادي الحنبليُّ المقدسيُّ ، وهو مؤلفه ، والحمدُ لله ، وصلىٰ ٱلله علىٰ سيدنا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

وَإِنْ تَجِدْ عَيْباً أَخِي فَسَتَرْتَهُ
فَجَلَّ الَّذِي لا عَيْبَ فِيهِ وَقَدْ عَلا
هُوَ رَبِّي وَعَلَيْهِ تُكْلانِي
مَا خَابَ عبدٌ عَلَيْهِ تَوَكَّلا (١)

❐ ❐ ❐

---

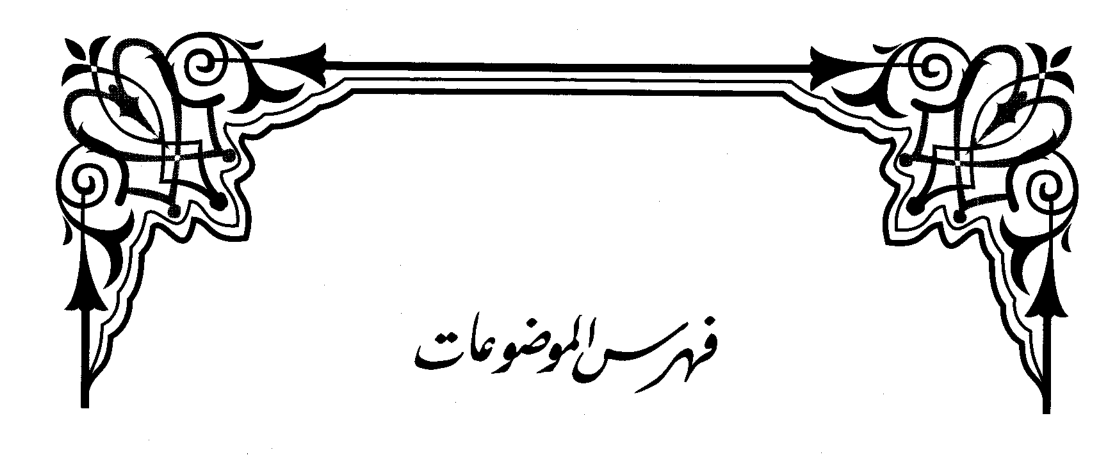
(١) جاء في آخر النسخة الخطية ما نصه : « سمعَ جميعَ هٰذا الكتاب : أحمدُ بن عثمانَ بن سليمانَ بن [. . .] القنواتي ، وأبو بكرِ بن حسنِ بن أحمدَ بن أحمدَ بن حسنِ بن عبد الهادي في الرابعة ، ومفلحُ بن مفلحِ بن أحمدَ المرداويُّ ، وهو [. . . .] بن عامر الجماعيليِّ ، وفاته من عند : (أين من كان . . . . في الزمان الماضي) إلىٰ الفصل الثاني عشر .

وسمع بينها عجيبة بنت [. . . . . .] بن محمد بن علي بن قطيش من قرية مجدل شمس ، سمع إلىٰ الفصل الرابع عشر ، وعبد ٱلله بن محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، وسمع من أوله إلَىٰ (أين مَنْ كان . . . . في الزمان الماضي) ، ومن الفصل العشرين إلَىٰ آخره .

وصح ذٰلك ، وأجزت لهم أن يرووا عني جميع ما لي وغيره بشرطه .

وذلك في يوم الثلاثاء ، سادس شهر ربيع [الأول] من سنة [تسع] وخمسين وثمان مئة ، وذٰلك بقراءتي ، وصح ذلك .

وكتبه يوسفُ بن حسنِ بن أحمدَ بن حسنِ بن عبد الهادي المقدسي ـ عفا ٱلله عنه ـ » .



فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

❐ ❐ ❐